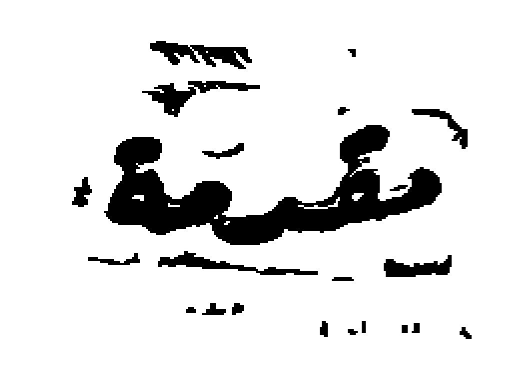

كتب سياسية
مجموعة عربية ١٠٠٪
مذكرات
المارشال
مونتجمري

كتب سياسية
الكتاب ٢٤٣

مذكرات
المارشال مونتجومري



لم أدفع إلى تأليف هذا الكتاب بميل خاص نحو الانتاج الأدبي ولا بسبب توسيع شعبيتي بل فقط لأنني أظن أن بعض ما فيه من الاقتراحات ان تكون بدون جدوى ، وفائدة .

هدفي من هذا الكتاب أن أنقل إلى الاجيال المقبلة انطباعات جمعتها اثناء حياة لم تذهب سدى ، وأن احدد المبادىء التي بمقتضاها فكرت وعملت .

كل سطر من هذا الكتاب كتبته بيدي أولا على المسودة ؛ ثم بعد كتابة كل فصل على الآلة الكاتبة ، كنت اسلمه إلى أصحاب لي أصحاء ثلاثة لينقحوه ، ثم اعيد النظر فيه أنا بنفسي ، واخيراً نقبل على التدقيق فيه معاً انا واصحابي الثلاثة الذين ذكرت ، وهم قائد اللواء وليمس والسر جامس جريج اللذين ورد اسماهما غير مرة هنا طيه ، واخيراً المؤرخ المعروف السر ارثور بريانت . فلهم من ثلاثتهم ، الشكر الجزيل على الوقت لذي انفقوه في الخدمة الجليلة الى ادوها لي . كما انني اشكر كل من ساعدني، بعمل مباشر أو غير مباشر على اخراج كتابي هذا .

لا انكر انني تعرضت غير مرة للوم الشديد . إلا ان افكاري

واعمالى واخطائى لا مصدر لها إلا عاطفتى الإنسانية . فما سعيت قط ، مدة حياتى كلها ، ان احمل الغير على موافقتى فيما أرى ، بل ان اسير بمقتضى معتقدى وواجبى ووجدانى. فما خفت يوما من أن اجاهر بما كنت اراه العدل والانصاف ، وان ابقى مصراً على ما كنت مقتنعا به ، متيقناً منه . واعترف أن ذلك طالما جر على المشاق .

ففى كتابى هذا ما حاولت أن ارد على النقد الذى وجه إلى ، بل أن أروى قصة حياتى باقصى ما يمكن من البساطة ولا غرو فان رفاقى فى الحرب العالمية الثانية ، سبقونى ورووا قصتهم، ولقد حان اليوم دورى.

هذا وقد حاولت أن أعرض ما كنت اراه مهما ، وأن اقف عند مجرد الأمور التى أعرفها انا معرفة تامة.

فمها كانت نواقص مؤلفى من الناحية الأدبية ، إن املى ان يكون كل ما ورد فى ذلك المؤلف ، لا عيب فيه ولا شوب من حيث الصحة والحقيقة .

مونتجومرى العلمين ف . م .

الفصل الأول

خطواتى الأولى فى الجيش

فى سنة ١٩٠٧ كان دخول مدرسة سندهرست الحربية نتيجة امتحان يسبقه قبل ذلك فحص يثبت فيه المرشح اقل ما يطالب به من امكانيات عقلية . فاجتزت هذين الحاجزين بدون صعوبة وكنت الثانى والسبعين فى الامتحان . ولقد بوغت ، فيما بعد ، عندما علمت ان بعض رفاقى كانوا قد غادروا المدرسة قبل نهاية العام الدراسى ليستعدوا لذلك الامتحان تحت توجيه مدرسين يضمنون لهم النجاح .

وفى ذلك الوقت ما كان الجيش ليستميل نخبة العقول فى انجلترا . فان المعيشة فيه كانت غالية جداً ولا يستطيع أن يدخل فيه إلا من كان له دخل لا يقل عن المائة جنيه سنوياً . وكنت جاهلا هذه الناحية المالية ومشاكلها ، كما كان يجهلها والدى وما اطلعت عليها إلا عندما دخلت سند هرست وتحتم على أن اختار كتيبتى .

اما المصروف فى سندهرست فكان يبلغ المائة والخمسين جنيها كل سنة مع ما فيه المرتب السنوى والسكن وما إليهما من ضرورات المعيشة . هذا ما عدا اللازم للنفقات على اللهو مهما كان ضئيلا . فبعد

المناقشة رضى والدى أن يتكرما على بجنيهين كل شهر مع ما فيه اشهر العطلة الصيفية .

فكان يصلنى منهما لهذا الغرض أربع وعشرون جنيها كل سنة ولا شك فى أن رفاقى الذين كانوا على حالتى تلك من حيث الفقر كان عددهم قليلا . ولكن ما كنت لأتألم كثيراً من الأمر ولو كان عندى رغبة قوية فى أن أشترى ساعة يد وكانت ابتدأت آنذاك أن تنتشر فكنت أراها عند الكثير من رفاقى . فما حصلت على ساعة يد إلا فى اوائل حرب سنة ١٩١٤ . وبما أن امكانياتى المادية ما كانت لتسمح لى أن الهو كثيرا انصرفت إلى الرياضة البدنية وإلى الدرس .

أما فى مدرسة القديس بولس فما باليت بالدرس إلا بعد الصدمة التى نالتنى عند قراءة شهادتى المدرسية التى كانت تنذرنى بصعوبة دخولى المدرسة الحربية إن لم اجتهد . أما فى سندهرست فكان اجتهادى مرضياً فى أول الأمر . والعادة آنذاك أن يعين من بين المتفوقين عرفاء ستة أشهر بعد دخولهم المدرسة ، وكان ذلك امتيازاً لهم على سائر رفاقهم . ثم كان هؤلاء "عرفاء يعينون رقباء فى النصف الثانى من السنة الدراسية فيتقلدون حلة حمراء وأخيراً كان يرفع واحد أو اثنان إلى رتبة نائب ضابط وهى أعلى الرتب يومذاك لطلاب المدرسة الحربية . فعينت عريفاً . ومهما كان من أمر فإن سقوطى وتأخرى يرجعان إلى ذلك العهد . ان فئة السرية « ج » وهى سريتى كان فيها عدد وافر من الطلبة الطائشين فدفعتنى وظيفتى كعريف إلى أن أترأسهم . ثم دخلنا فى سلسلة قتال مع طلبة السرية « ب » الموجودة فوق طابقنا ثم فى مناطق أخرى .

ولقبت سريتنا السرية « ج المدمية » لأسباب لا تحتاج إلى الشرح وأدى كل ذلك أن اضطر بعض الطلبة أن يذهبوا إلى المستشفى ليضمدوا جراحهم وهي حالة ما كان من الممكن أن تدوم ولو كان ضباط سندهرست آنذاك لا يبالون بما كان يعمل الطلبة فى غير أوان الخدمة ، فما هى إلا وساقتنى حماستى أثناء عراك حدث إلى أن أحرق قميص أحد الطلبة فأصابت النار قفاه مما منعه من الجلوس براحة مدة طويلة ـ أما هو فلم يبح باسم المذنب ولكن المذنب لايلبث أن ينكشف ففضحت وأرجعت إلى الصف .

ثم صدر أمر بأن العريف مونتجومرى انتزعت رتبته وذلك بدون تعليل . فأسرعت أمى إلى سندهرست لتتباحث عن مستقبلى مع قائد المدرسة فقيل لها إننى كنت على وشك أن أعين نائب ضابط للسرية « ج » ولكن الآن أصبح لا بحث فى الأمر ، وكان على أن أحسب نفسى سعيداً إذ أننى لم أطرد من المدرسة ، فإن القائد كان حاقداً على ولا عجب فى الأمر ، إلا أنه كان هناك ضابط يعطف على بإخلاص وهو من كتيبة من الرماة الاسكتلنديين الملكية .

بعد مدة غير طويلة استشعرت بأننى لن أستطيع أن أخدم فى انجلترا لأسباب مالية ، فإن والدى لن يتمكنا ، بعد إنهاء دروسى فى المدرسة الحربية ، من أن يواصلا فيساعدانى على تأمين معاشى ، فيصبح لا بد لى من أن أعتمد على ما أتقاضاه كضابط وهذا لا يكفى لسد ما يترتب على من نفقات فى نادى الضباط وحده . ثم إن التقدم فى الرتبة ما كان متعلقاً ، كما هو الأمر اليوم ، بمدة الخدمة بل بالفراغ الذى يحدث

فى الجيش ، وكنت أسمع عن ملازمين بقوا على رتبتهم ولهم تسع عشرة سنة فى الخدمة .

أما فى بلاد الهند فكان الأمر على غير ذلك فى جيش بلاد الهند كانت المعاشات عالية وكان من الممكن أن يؤمن العيش فى فرقة بريطانية مقيمة هناك ، فقيدت اسمى للدخول فى جيش بلادالهند ، وكان الكثير يتزاحمون عليه للاسباب المالية التى ذكرت ولا يحصل عليه إلا من كان فى الثلاثين الأولين أما أنا فكنت السادس والثلاثين فلشد ما كانت خيبتى .

وعرضوا على طلبة أن يختاروا للمرة الثانية ، أما أنا فما كان لى واسطة لا فى الجيش ولا فى السلطات المدنية وبما أننى كنت لابد لى من أن أذهب إلى الهند فقيدت فى كتيبة الوركشير .

وكانت درجتى فى لائحة طلبة سندهرست تفسح لى الأمل بأن أحصل على ما طلبت ، بعد تعيين المترشحين لجيش الهند ، شرط أن تقبلنى الكتيبة التى كنت قد اخترتها ، وما ندمت على اختيارى لأننى كثيراً ما استفدت من الكتيبة التى ضممت إليها ، وذلك خاصة بفضل قائدها حينذاك الكولونيل س ر . ماكدونالد. وهاأنذا الآن كولونيل شرف لكتيبتى الأولى وهذا فخر لى ما كنت لا تصوره عندما انضويت تحت لوائها فى الفرقة الأولى فى البشاور على حدود الهند الشمالية فى ديسمبر ١٩٠٨ . كنت حينئذ أكبر الملازمين الأول سنا لتأخيرى فى دروسى فى مدرسة القديس بولس ولبقائى فى سندهرست ستة أشهر زيادة عن المدة القانونية .

غادرت فرقتي بشوار في أواخر ١٩١٠ للذهاب إلى بومباى حيث كان من الواجب عليها أن تقضى السنتين الأخيرتين من خدمتها خارج الوطن ، وكنت أنا قد انكببت بجد على الدرس ، وتيقنت حينذاك أن النجاح لا يتم إلا للذين يتضلعون التضلع العميق من فنهم وصناعتهم ، ولاحظت أن الضباط القدماء ما كانوا ليستطيعوا أن يؤمنوا بذلك التضلع للذين دونهم رتبة ومدة خدمة لا لشيء إلا لأن معارفهم في الموضوع ما كانت تتجاوز مستوى الفرقة . فعندما كانت الفرقه تصل إلى قلعة جديدة لتقيم فيها كان أول سؤال يطرحه قائدها على نفسه هو السؤال التالى : « ما هو نوع القتال الذى يفضله القائد الأعلى المحلى » ! فيطبق ذلك النوع بصرف النظر عن خواص الموقع والعدو والعوامل الاخرى فكنت أحس أن في ذلك النظر خطأ ولكن ما كنت قادراً على تحليل هذا الخطأ ، بل ما كنت أشغل نفسى بذلك الهم . كنت مسروراً في فرقتي منصرفاً إلى الاهتمام بجنودى . هذا علاوة على أن الحديث في الشؤون الحربية لم يكن مسموحاً به في أندية الضباط .

أغسطس ١٩١٤ كنت في السادسة والعشرين من عمرى وكنت ملازماً . ولقد أطلعتنى الحرب ١٩١٤ - ١٩١٨ على نواقص الجيش فجمعت أفراد فرقتي في شورنكليف وصدرت الأوامر إلى جميع الضباط أن يجهزوا سيوفهم مشحذة ، وما كنت أرى فائدة من ذلك إلا أنني خضعت وفعلت . ثم إن قائد فرقتي أشار إلينا أن نجز شعرنا قصيراً لتأمين النظافة ففعل هو وكان منظره مضحكا نوعاً ما ، أما أنا فقصصت

شعرى كما يليق عند حلاق فى فولكستون . هذا وسألت قائد فرقتى إذا ما كان ضرورياً أن أصطحب شيئاً من المال . فنصحنى أن لا داعى لذلك فإن كل شىء سيكون مؤمناً لنا . ومع ذلك فانى أخذت معى عشرة جنيهات ذهبية وحسناً فعلت كما دلت عليه الظروف فيما بعد .

نزلنا فى فرنسا مع الفوج الرابع ، أياما قليلة فقط بعد معركة مونس ثم اتجهنا نحو لوكاتو .

فى فجر ٢٦ أغسطس ١٩١٤ كان اللواء العاشر وهو لواء فرقتى مخيماً فى الحقول قرب قرية هوكور بعد مسير طويل أثناء الليل مشياً على الأقدام . وكانت على قمة قريبة من هناك فرقة تغطى باقى اللواء القائم وراءها فى الوادى . وفاجأ الألمان تلك الفرقة بهجوم عنيف فهرولت هاربة بدون نظام نازلة إلى الوادى نحونا .

أما فرقتى فكانت تنبسط على خطين : سريتى وسرية أخرى فى الخط الأمامى والسريتان الباقيتان مواريتان وراءنا على بعد بضع مئات من الأمتار . فأسرع إلينا قائد الفرقة على جواده وأمرنا بمقاتلة العدو على قمة التل ، طلب منا ذلك من دون أن يرسم لنا خطة ومن دون أن يحمينا بطلقات نارية . فتسلقنا الجبل تحت نار حامية من القنابل فجرح قائد سريتى ولحقت بنا خسائر فادحة . فان الحرب ان كانت كذلك فهى لأمر مدهش ولا علاقة لها بما كنت قد قرأت عنها .

وفى الأيام التالية أخذنا نتراجع القهقرى كما ورد فى الكتاب « تقهقر مونس » ، وبقينا كذلك مدة ثلاثة أيام نمشى غالب الأحيان فى الليل

ونتوارى فى النهار وكان يقود سريتنا آنذاك ضابط ماهر هو الماجور ا ـ ح بول ، والفضل له ان كنا قد استطعنا أن نصل إلى حيث كان الجيش البريطانى وننضم إلى وحدتنا . وهناك بلغنا أن قائد فرقتنا كان قد عزل عن وظيفته، مع قائد فرقة أخرى من اللواء . أما قائد فرقتنا المعزول العقيد الكنجتون فانه دخل فيما بعد الجوقة الاجنبية الفرنسية وأبلى فيها البلاء الحسن .

هكذا كان أول اختبارى بالحرب وما كانت تلك إلا الخطوة الأولى . بعد معارك لا أهمية لها فى جبهة « الأين » نقلنا مع بواقى الجيش البريطانى إلى الجانب الشمالى من جهة الحلفاء وهناك نشبت المعارك الحامية ، وأمرنا بالقتال للمرة الثانية ، ولكن الآن كان « بول » قائدنا وأصبحنا نقاتل بتوجيه خطة مرسومة وأوامر دقيقة . كان يتقدمنا سريتان وسريتى على الشمال موجهة نحو مجموعة أبنية فى ضواحى قرية « ميتيرين » فعند الساعة « س » امتشقت سيفى وصرخت بسريتى أن تلحق بى فاجتزنا القرية عدواً تحت نار حامية من الرصاص . وأصابتنا خسارات فادحة إلا أننا واصلنا هجومنا وفيما كنا نقترب من هدف هجومنا وقع نظرى على ألمانى يوجه نحوى بندقيته .

وعندما كنت أمضى إلى التمرين العسكرى وأنا لا أزال ضابطاً حديثاً كانوا يدربوننا على استخدام الحربة لقتل العدو وكنت قد انتهيت فى استعمال ذلك السلاح إلى مهارة أحرزت بها جوائز ولكن الآن ما كنت أملك لا حربة ولا بندقية ، وليس فى يدى إلا سيف قاطع ، ولم يدربونى فيه على القتل به بل على استخدامه لأخذ السلام العسكرى

ومهما كان من أمر فانى ابتدرت ذلك الألمانى بطعنة برأس سيفى فى مؤخر بطنه وأصبته فى جزء حساس من جسمه فسقط يتخبط فى دمه .

وواصلنا القتال بقية النهار إذ كان هدفنا أن نطرد الألمان من القرية وأصبت برصاصة فى صدرى . ولكن كنا قد طردنا الألمان وحصلنا على غرضنا فقلدت لذلك وسام الخدمات الممتازة وفى ذلك اليوم أنقذنى من الموت أحد جنودى ، عندما أصبت فى صدرى ارتميت على الأرض آملا بذلك أن أصرف انتباه الألمان عنى ، فأسرع إلى أحد الجنود وأخذ يضمد جرحى ، فأصيب برصاصة فى رأسه فسقط أ. مى واستمر الألمان يرموننا بالرصاص فأصبت برصاصة فى ركبتى وأصيب الجندى بعدة رصاصات كانت مصوبة إلى ، ولم يحاول أفراد . يتى أن ينقذونا لأنهم كانو يظنون أننا قد قتلنا . وعند الليل جاء ناقلوا الجرحى ليحملونا ، أما الجندى فكان ميتا ، وأما أنا فكنت على حالة سيئة جداً ، فأخذونا إلى حيث الاسعاف الحربى وحكم الأطباء بأنى لن أحيا وبما أن الإسعاف الحربى كان لابد أن ينتقل إلى مكان آخر . أعدوا حفرتى ، ولكن عندما ..ان وقت الانتقال كنت لاأزال حيا ، فوجهونى إلى أحد المستشفيات وبعد أن تماثلت للشفاء أرجعونى إلى انجلترا حيث قضيت بضعة أشهر فى المستشفى بعيداً عن الحرب . وهناك أخذت أفكر باختبارى القصير المدة فى الحرب ورأيت أن المثل القديم لا يزال صحيحا : القلم أقدر من ال يف : فعندما شفيت طلبت ضمى إلى إحدى الأركان الحربية .

عدت إلى فرنسا فى أوائل ١٩١٦ برتبة مقدم . فى معركة السلوم

أثناء الصيف التابع ، كان لواء من المشاة . أفضل ألا أذكر اسمه ، قد عين ليكون لواء الاصطدام بالعدو فى هجوم يقوم به الفوج جميعه فلا بد آنذاك من أن تصل قائد اللواء الأخبار بسرعة عند تقدم جنوده الموجودين فى خطوط القتال الأولى ، إذ أن عمل الجنود المتخلفين وراء الجبهة كان متعلقا بمصير هؤلاء الذين كانوا فى الخطوط الأولى فكيف السبيل لنقل تلك الاخبار بالسرعة اللازمة ؟ فكروا حينئذ فى حمامة تربى فى محل إقامة أركان اللواء ثم تسلم إلى أحد الجنود الموجودين فى مقدمة القتال ، وأفهموا ذلك الجندى بعدئذ أن ضابطاً سيدون على ورقة مصير أمرهم هناك فتربط الورقة فى قدم الحمامة وتفلت الحمامة فترجع لا محالة إلى مقرها فى محل إقامة أركان اللواء .

ثم مضت مدة طويلة وقائد اللواء يترقب رجوع الحمامة حتى كان يوم شوهدت عن بعد فترقبوا هبوطها وأسرعوا إليها وفضوا الرسالة المعلقة فى قدمها وفى تلك الرسالة ما يلى :

« لقد مللت من حمل هذا الطير الممقوت »

كانت الاتصالات نادرة بين القواد وجنودهم المقاتلين . لقد تجولت فى الجبهة الغربية مدة الحرب كلها ماعدا الوقت الذى قضيته فى انجلترا بعد أن خرجت ، فما رأيت قط القائد البريطانى الأعلى . لا فرنش ولا هيج ، وما التقيت الا مرة واحدة بقائد احد الجيوش . فإن الاركان الحربية كان لا يتصل بها لا الضباط ولا الجنود المقاتلون ،

وبقدر ما كان البعد بين الأركان وبين جبهة القتال بذلك القدر كانت الرفاهية تزداد ، ولا ضير لو كان هناك اتصال وحب بين الطرفين. فالشعور العام حينئذ هو أن الجنود المقاتلين يعملون لراحة الأركان وأما اختباري أنا بالحرب فهو بالعكس وهو أن تكون الأركان فى خدمة المقاتلين وأن ضابط الأركان الجيد يجب أن يخدم قائده وجيشه المقاتل متستراً مجهولا . فلا غرو ان كانت الخسارة فادحة. فالذين يعتبرون من « القواد الممتازين » آنذاك هم الذين لا يبالون بحياة جنودهم. لا شك فى أن هناك شذوذات وبلومير كان من بينها ، ما رأيته إلا مرة وما قط تحدثت إليه .

والجميع يعلم قصة رئيس الأركان السير دوجلاس هيج فقبل رجوعه إلى انجلترا بعد معارك شتاء ١٩١٧ - ١٩١٨ الدامية فى جبهة باسندال أبدى رغبته فى أن يزور مرتفعات باسندال ويلقى نظرة على المنطقة فعندما عاين الوحل والظروف الشنيعة التى قاتل أثناءها الجنود وسقطوا ملكه الرعب وقال :

— أمن الممكن أن يكون قد قاتل أناس فى موحلة كهذه ؟

وعندما أجابوه بأن هذا هو الواقع الراهن قال :

« ولماذا لم يطلعونى قط على الأمر حتى الآن ؟ »

فرئيس الأركان الحربية فى الجيوش البريطانية فى أوروبا كان إذاً جاهلا كل الجهل الظروف التى يحيا فيها ويقاتل ويموت الجندى حينذاك

وهذا يكفى للبيان عن حالتى النفسية فى آخر الحرب

أظن أننى أطلت وأسهبت وأفهمت أنه كان قد اتضح لى فى نهاية الحرب ١٩١٤-١٩١٨ أن فن الحرب قائم قبل كل شيء على درس الحياة وما كان يشعر بذلك ، فيما يبدو ، إلا القليلون من الضباط .

وفى تلك المدة عزمت على أن أهب نفسى لمجرد فنى فأتعمق فى كل تفاصيله وأدع جانباً كل أمر سواه . هذا وأنا جاهل آنذاك ما عسانى أن أفعل ولا معارف لى بين قواد الجيش الكبار ، إلا أننى كنت على يقين من أنه لابد لى من أن أتابع دراسات مدرسة الأركان الحربية التى كانت قد عادت وفتحت أبوابها عند نهاية الحرب . فتقدمت لاتبع سلسلة الدراسات فى ١٩٠٩ ثم فى سنة ١٩٣٠ ولكن منعت عن ذلك فى المرتين ولم يظهر اسمى فى لائحة من كان قد سمح لهم بمتابعة تلك الدروس .

وكان حينئذ القائد الأعلى لجيش الاحتلال فى ألمانيا السير وليم روبرتسون فما كنت أعرفه ، كان يهوى التنس ودعيت يوماً إلى أن ألعب معه فى كولونيا فعزمت على أن أخاطر بنفسى وأن أطلعه على رغبتى ومركز اهتمامى ، وأنا عالم بأنه كثيراً ما كان قد جاهد هو أيضاً مدة شبابه وبأنه سيأخذ طلبى بعين الاعتبار وبعد مدة علمت بأن اسمى قد أضيف إلى اللائحة وبلغنى الأمر بالالتحاق بمدرسة الاركان الحربية فى كامبرلى فى يناير ١٩٢٠ . فان القائد الاعلى كان قد عمل حسب ما كنت قد طلبت منه .

وأصبحت الطريق مفتوحة أمامى . إلاأن الامر لم يكن من السهولة كما ظننت .

ان تاريخ حياتى فى الجيش ـ وسيبدو ذلك جلياً فى الفصول الآتية ـ هو تاريخ جهاد مستمر حالفته الخيبة غير مرة . إلا أننى يمكننى أن أقول إن ذلك التاريخ الآن ، مهما كان من أمر ، كانت نهايته فيما يخصنى ، نهاية حقاً حسنة .

الفصل الثانى

فيما بين الحربين

إلى ذلك العهد من حياتى ما كنت قط تلقيت دروساً نظرية فيما يختص بمعالجة مهنتى ، وما كان على من هذه الناحية يتجاوز اختبار الأربع سنوات التى قضيتها فى المعسكرات ، وكنت قرأت يوماً عن فردريك الكبير أنه قال وهو يتحدث عن ضباط ليس عندهم إلا اختبارهم العلمى لوظيفتهم ويهملون الدراسات النظرية المتعلقة بها :

« ان بغلتين ولو حضرتا أربعين حربا تبقيان بغلتين »

وكنت قد سمعت عن قائد ألمانى ، وهو يتحدث عن الضباط الألمان فيما أرى ، أنه قال : « إننى أقسم الضباط إلى أربع فرق : الأذكياء والحمق والمجتهدين والكسلة . فالأذكياء والمجتهدون لأعلى المراكز فى الأركان الحربية ، والأذكياء والكسلة أهل لتسلم القيادة العليا إذ أن مزاجهم وأعصابهم تمكنهم من الصمود أمام كل موقف . أما الحمق والمجتهدون فإنهم يكونون خطراً ويجب أن يجنبوا كل مسئولية » .

دخلت مدرسة كمبرلى الحربيه فى يناير ١٩٢٠ ولا ادعاء عندى بأننى ذكى . كنت أرى أن فى بعض الفطنة والدهاء ولكن بدون خبرة

وكنت مقتنعاً حينذاك أن المهم هو الفطنة والخبرة . إلا أننى أعترف أننى ما كنت متساهلا فى الآراء ، أميل إلى نقد الغير ، فكان على إذن أن أتعلم أن روح النقد من دون اطلاع هراء لا قيمة له .

فى (ديسمبر) ١٩٢٠ قدمت الامتحان الخروج من مدرسة الأركان الحربية وظنى أن علاماتى كانت جيدة ولو لم يطلعنى أحد عليها . وهو أمر مدهش على الأقل .

على كل حال ومهما كان من أمر فإننى عينت كما جور فى لواء المشاة السابع عشر فى كورك لأشترك فى القتال فى أيرلندا الجنوبية ضد السن فن ، وهذه الحرب كانت أسوأ من حرب ١٩١٤ من عدة أنواع وتحولت إلى مجازر أظهر فيها الجنود مهارة لم تكن فى محلها . فشعرت براحة قوية عندما انتهينا منها .

وفى هذا العهد ابتدأت تعمل فى الجيش ما عرف بعدئذ « بفأس جد » وهو كتابة عن تطهير مبنى على بيان عن كل ضابط فيما إذا كان صالحاً أن يبقى فى الجيش ، فعزل عدد كبير من الضباط غير الصالحين ولكن فى المراتب السفلى ، أما المراتب العليا فبقيت على حالها ، ورأيى بعد اختبارى المستنتج من الحربين العالميتين . هو أن التطهير يجب أن يكون فى المراتب العليا فيفسح ذلك المجال لتقدم الضباط الشباب الذين أظهروا مقدرتهم أثناء الحرب وذلك ما حدث بعد حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ويمكننى أن أقول إنه لم يحدث بعد حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥ .

بعد انتهاء حرب « السن فن » فى أواخر ١٩٢٢ شغلت فى انكلترا مناصب مختلفة فى الأركان حتى ١٩٢٦ . وفى ذلك العام عينت كمدرب فى مدرسة الأركان .

أما السنوات الخمس السابقة فإنها كانت فى حياتى سنوات شغل ودرس شديدين ، خدمت حينذاك تحت عدة قواد قادرين عطفوا على وأحبونى ، ووثقوا فى وتركونى أحقق أفكارى فيما يختص بتدبير الجندى : أذكر بين هؤلاء القواد السير شارلس هاريفتون وقائد اللواء توم هولود ، فلقد علمانى على كيف أعتبر واجبى اعتباراً عاليا وكيف أن النظام عند الجندى يجب أن يتحول إخلاصاً عند الضابط وأظن أنى ، فى ذلك الوقت اشتهرت فى الجيش على أننى ضابط يدرس بجد كل ما يختص بفنه وهذا الذى دفعهم أن يعينونى فى مدرسة الأركان فسررت لذلك التعيين لأننى شعرت بأنه سيؤدى إلى نتائج حسنة فى حياتى الجندية ، وهذا راجع إلى حب التقدم الذى يكون فى كل إنسان وهو صفة جيدة ما زال فى مكانه ، وطالما رفع إلى السعى وراء النجاح بالاجتهاد الشخصى ولا باتباع آثار الذين سبقوا .

والآن يجب أن أتحدث عما كان بالنسبة إلى أهم من حياتى الجندية ، وهى الحياة الزوجية التى عرفتها مدة عشر سنوات قصيرة .

أثناء كنت مدرباً فى مدرسة الأركان فى كمبرلى . أحببت . فتزوجت فى ٢٧ (يوليو) ١٩٢٧ وولد ابنى داود فى ١٨ (أغسطس) ١٩٢٨ . ثم ماتت زوجتى فى ١٩ (اكتوبر) ١٩٣٧ .

فى (يناير) ١٩٢٦ ذهبت إلى سويسرا أقضى فيها عطلتى قبل استلامى وظيفتى فى مدرسة الأركان فى آخر الشهر . كان عمرى حينذاك ثمانى وثلاثين سنة وكنت عازباً لا أريد الزواج . ما كنت أعرف امرأة قط وما كنت أحب الاجتماعات العالمية فى الصالونات . كل حياتى كانت موقوفة لمهمتى اشتغل منذ الصباح إلى المساء ولا اسمح لنفسى إلا ببعض التمارين الرياضية بعد الظهر . حتى أن بعض الضباط قال لى إن الجيش كان امرأتى واننى لن اتزوج . وعلى كل حال فاننى كنت عازماً على الانكباب تماما على شئون وظيفتى وأنا لى يقين من ان بلادى ستجر إلى حرب عالمية أخرى وكنت عارفاً ما جرى فى الحرب العالمية الأولى . وكنت على يقين من أن نداء بلادى سيوجه إلى شخصياً بوجه خاص فاطلب من الله أن يساعدنى إن أكون مستعداً عند الطلب .

فى سويسرا ، فى لنك من مدن الأوبرلند البرنى التقيت . بمسز كارفر وولديها، عمر الأول منهما اثنا عشرة سنة وعمر الثانى إحدى عشرة. كنت ولا أزال أهتم بالأولاد وذلك راجع ولا شك إلى بؤسى فى طفولتى . فاشتدت روابط الصداقة بينى وبين الأم وولديها وقضيت عطلة سعيد . وحصلت أثناء ذلك على صديق آخر السر ادوار كراو واشتدت صداقتنا فيما بعد ولو كان أكبر منى سناً .

فى يناير ١٩٢٧ ذهبت للمرة الثانية إلى لنك مع السر ادوارد كراو وعائلته وأصحابه . وكانت مسز كارفر هناك مع ولديها . كان زوجها قد قتل فى غليبولى سـنة ١٩١٥ ونشأ الولدان على بغض الحرب وكل ما يتعلق بالجندية . وهذه المرة اجتمعت ببتى كارفر أكثر من المرة

الأولى فوقعت فى شراك الحب لأول مرة فى حياتى . وكان زواجى سعيداً ، تزوجنا فى كنيسة رعية شيسويك فى ٢٧ (يوليو) ١٩٢٧ . وما كنت لأظن ان سعادة كالتى عرفتها فى ممكنة . كانت زوجتى ترافقنى أينما حللت وتشاركنى فى كل ما أعمل ولم نفترق إلا مرتين المرة الأولى عندما استلمت قيادة فرقتى فى فلسطين حيث انضمت إلى بعد مدة ، والمرة الثانية عندما أرجعتها إلى انكلترا مع داود بعد الهزة الأرضية فى (الباكستان) فى (مايو) ١٩٣٥ . وفى كلتا المرتين كان افتراقنا لمدة قصيرة كانت امرأتى فى الأربعين لما ولد داود وما كان لها صحة قوية فيما بعد إلا انها كانت دائماً فرحة وصاحبة عزم وحزم وما مرضت قط .

أثناء طفولة داود الأولى كانت أمه منهمكة بأموره وحدها وكان لايرضى بتدخلى . كان ذا إرادة قوية وأمه تتراجع أمامه دوماً . ثم إننى كنت أذكر كيف كانت طفولتى فقررنا أننى سأهتم أنا بتربيته عندما يدخل المدرسة الاعدادية . وكنا قد ابتدأنا بالمشروع ولا تجرى الأمور بدون شرارات تتقدح عندما ماتت أمه فاضطررنا إلى أن ننسجم الواحد منا مع الآخر وتم الأمر بسهولة لانه بعد موت أمه حول حبه بكامله على . وقضينا معاً فترات سعيدة من عطلاتنا وأصبحنا أصدقاء . وعندما ماتت أمه كان فى التاسعة من سنه وكنت أنا فى الخمسين .

وسر أصحابى برجوعى إلى الحياة العادية وظن بعضهم أنى سأتزوج للمرة الثانية ولكنهم ما كانوا يعلمون ماذا يقولون فإننى لا أرى أن الرجل يمكنه أن يحب حقاً مرتين ، وعلى كل حال أن يحب كما أحببت .

الآن كنت أعيش وحدى ، فيما عدا عطلة داود . فانكببت على عملى بنشاط مستجد . إن لوائى التاسع كان يستطيع أن يبارى خيرة الألوية وما كان لواء قط يمكنه أن يتفوق عليه فى المناورات .

وانتخبت لتطبيق التمارين الخاصة التى كان المكتب الحربى قد قررها فى ٩٣٧ و ١٩٣٨ مما زاد فى شهرته وحسن سمعته .

أثناء السنوات التى تلت أواخر الحرب ١٩١٤ و ١٩١٨ خدمت تحت قيادة ضباط عندهم مقدرة عظيمة كانوا فى مدرستى الأركان فى كمبرلى وقطا ، ثم خدمت إلى جانبهم ومعهم ، وبفضل عملى المستمر وخبرتى بالسلطة أصبحت على اطلاع وافر على فنى مما قوى فى الثقة بأننى أستطيع أن أكاد اتحدى كل موقف يعرض لى مهما كان صعبا .

ولربما ثقتى بنفسى فوق اللازم وكنت أبدى ذلك ، إلا أننى صدمت بصدمات عديدة مما جعلنى أن أحذر من أن أكون جسوراً متهوراً وأظن أننى عندما استلمت قيادة لواء بورتسموث سنة ١٩٣٧ كنت قد اجتزت كل خطر وكنت أستطيع أن أسير مطمئنا لاسيما وأننى بحياتى المنفرة كنت قد تعودت على تركيز الفكر واستخراج الأمور الجوهرية من تفاصيل لا حصر لها تكتنفها وتواريها وهذا ساعدنى على النشاط المستجد فى وظيفتى .

فى سنة ١٩٣٨ بعد سنة وأكثر بقليل قضيتها فى بورتسموث بلغنى الأمر أن أتسلم قيادة الوحدات المقاتلة فى شمال فلسطين ضد الثوار العرب وكان على أن أؤلف منها فوجاً وهو الفوج الثامن ، فسررت بذلك إذ

عينت ماجور - جنرال- بورتسموث إلا أنى أصبحت مضطراً أن أفترق عن داود وكان يصعب على ذاك لأنه بقى وحده يتنقل من بيت أطفال إلى بيت أطفال آخر، حتى تعهد إيواءه فى سنة ١٩٤٢ الماجور والمسترس رينولدز فى بيت الأطفال الذى كان قد أحدثاه فى هندهاد وكانا من أصحابى فارتحت إليهما فى تربية ولدى فى حين كنت أقاتل فمنذ ١٩٤٢ إلى ١٩٤٨ أصبحت مدرستهما بيت داود وبيتى، مات الماجور رينولدز سنة ١٩٥٣ بعد أن أنشأ هو وأمرأته عدداً كبيراً من الأولاد، ولقد فقدت الأمة بموته رجلا عظيما . أما أنا وداود فإننا جد مدينين له ولامرأته.

فى شتاء ١٩٣٨ - ١٩٣٩، أثناء كنت أحارب فى فلسطين عينت لقيادة الفوج الثالث فى انجلترا، كان ذلك الفوج فوجاً نظاميا، مركزه العام فى سهل سلسبرى وداخل فيه لواء المشاة التاسع الذى كنت قائده فى بورتسموث قبل إرسالى إلى فلسطين فسررت جداً، فالفوج الثالث ذلك كان داخلا فى القوى البريطانية المعدة لأوروبا إذا ما نشب حرب وكان مفروضاً أن أتسلم قيادته فى أغسطس ١٩٣٩.

غير أنى فى مايو فاجأنى المرض وحملت إلى مستشفى حيفا حيث تبين الأطباء بالتصوير الكهربائى قرحة فى رئتى، فظنونى مصابا بالسل فطلبت الرجوع إلى انجلترا وشغلت أثناء سفرى فى البحر، فعند وصولى إلى مدينة لندن طلبت أن أفحص من جديد فرأوا أن القرحة قد اختفت فارتحت ثلاثة أيام وحضرت إلى المكتب الحربى

وسألت هناك إن كنت أستطيع أن أتسلم قيادة الفوج الثالث . وكانت الحرب على قرب من أن تقع والحكومة على قرب من الدعوة إلى التجنيد فقالوا لى إنه فى حال التجنيد كل التعيينات تبطل ويبقى كل صاحب وظيفة فى وظيفته ، ولذا فإن القائد السابق للفوج الثالث ؛ بعد تعيينه كحاكم على المستعمرات ، ترك فى منصبه على رأس الفوج المذكور فاقترحت أن أرجع إلى فلسطين على رأس الفوج الثامن فأجبت بالنفى وقيل لى أنى أصبحت ماجور - جنرال لا منصب معين له بل باقيا تحت الطلب مثل أفراد كثيرين كانوا فى رتبتى ، فأقلقت راحة المكتب الحربى وفى نهاية الأمر انتقل قائد الفوج الثالث إلى منصبه كحاكم المستعمرات وهو يليق له بالضبط وتسلمت أنا قيادة الفوج الثالث بيوويمات قبل إعلان الحرب .

الفصل الثالث

دخول بريطانيا العظمى الحرب

تسلمت قيادة الفوج الثالث ٢٨ (أغسطس) وكنا آنذاك فى طور تجنيد جزئى إذ أن التجنيد الكلى لم يقرر إلا فى أول (سبتمبر) يوم اجتاح الألمان بولونيا وأرسل التهديد الأخير بالحرب إلى المانيا .

سأكتفى فى هذا الفصل بسرد أخبار القوى البريطانية التى أرسلت إلى فرنسا قليلا بعد أوائل الحرب ، والتى كنت فيها كقائد فوج .

فى سبتمبر ١٩٣٩ لم يكن الجيش البريطانى مستعداً لاحتمال حرب جدى فى اوروبا . فإن الفكرة التى سادت الأوساط المسئولة فى انجلترا مدة طويلة هى أن بريطانيا ، فى حال حرب جديد مع المانيا ، لن تساعد فى الدفاع عن الغرب إلا باستخدام قواها البحرية والجوية . وهذا أمر لا يستسيغه الفكر الصحيح .

ففى أثناء السنوات التى سبقت الحرب لم تحدث فى انجلترا مناورات على مقياس واسع ، والحق أن الجيش البريطانى النظامى ما كان قادراً على الاشتراك فى مناورات واقعية جدية .

أما الجيش المقاتل فكان نظام المخابرات والمواصلات فيه غير

مناسب ، وما كان له سند إدارى ولا تنظيم قيادة عليا قط . كل ذلك كان لابد وأن يرتجل ارتجالا عند التجنيد . ثم إن وسائل النقل كانت لا تكفى ، ومن الواجب ، لتكميلها ، ان تصادر عربات نقل مدنية .

فوسائل النقل فى فوجى كانت مؤلفة من سيارات شحن صودرت فى عدة مدن انجليزية وهى فى حالة يرثى لها وعندما انتقل فوجى من المرافىء حيث كان قد أنزل إلى مراكزه على الحدود الفرنسية البلجيكية ، كنت ترى الشاحنات المكسرة منتشرة فى الحقول الفرنسية .

ومع ذلك فاننا كنا نحن الذين اخترعنا المصفحة والذين استخدمناها قبل غيرنا فى القتال ، فى سنة ١٩١٦ . لابد إذن وأن نعترف مخجولين بأننا دخلنا الحرب على غير استعداد وكنا نحن المسئولين عن الكارثة التى نزلت بنا سنة ١٩٤٠ .

من كان المسئول عن ذلك النقص ؟ أرى أنها الحكومات البريطانية التى توالت فيما بين الحربين ولاسيما تلك التى تسلمت السلطة منذ ١٩٣٢ إذ أنه منذ هذا التاريخ شرع بالمناقشة فى تسليح جديد يتناسب والظروف المعاصرة . حتى ١٩٣٨ لم يتجاوزوا حد المناقشة ، وفى ربيع ١٩٣٩ لم يباشر إلا على حذر بالابتداء فى تسليح جديد . ولانى ، إذ كنت مطلعاً اطلاعاً وافراً على سلاحنا وخاصة سلاح فوجى ، إنى أقول قد ملكتنى الدهشة عندما قرأت فى جريدة فرنسية تصريح سكرتير الدولة للحرب (هوربليشا) فى البرلمان أن الجيش البريطانى كان على خير استعداد وأنه يمكنه أن يبارى كل جيش سواه .

والآن فلنلق نظرة على تنظيم القيادة والمراقبة فى الجيش المقاتل . فنهائياً كل شىء متعلق بذلك بعد تأمين التسليح المناسب والتدريب الصحيح . ففى الحرب المعاصرة كل شىء يتم بسرعة هائلة والهلاك محتوم إذا كان هناك تنظيم غير تام فى القيادة .

هذا وإن ضباط المكتب الحربى الثلاثة ، ولا شك فى أنهم كانوا الثلاثة المهمين عند إعلان الحرب ، كانوا يتتابعون كما يلى : رئيس الأركان الحربية الامبراطورية (لورد جورث) ، رأس الجيش البريطانى من الناحية الفنية ، فإن لفظ « امبراطورية » كانت قد أضيفت إلى اللقب فى ١٩٠٩ ، ولا معنى لها اليوم . مدير الوقائع العسكرية والاستعلامات (ماجور - جنرال هنرى برتيل) ، مسئول عن كل الخطوط الحربية وعن المخابرات . المستندة إليها تلك الخطوط فى ذلك الوقت كان ماجور - جنرال مكلفاً بالوقائع والمخابرات ، أما الآن فإن هذين الفرعين قد فرقا وأصبح كل منهما معلقاً بموظف عام المدير الأعلى للجيش الإقليمى (ماجور - جنرال دوجلاس برونديج) .

ولقد ضوعف عدد أفراد ذلك الجيش فى مارس ١٩٣٩ بعد قرار من الوزارة اتخذته بدون استشارة رئيس الأركان الحربية الامبراطورية .

هؤلاء الضباط الثلاثة غادروا المكتب الحربى نهار اعلان الحرب أصبح جورث القائد الأعلى ، بونيل رئيس الأركان ، برونديج المساعد العام فى القوى البريطانية الراحلة إلى فرنسا . وهذا أمر لا يكاد يصدق ولكن فى الواقع - فإن المكتب أصبح فارغا على نحو ما تم فى ١٩١٤ .

وكان من المعروف منذ البدء فى الجيش أن القائد فى الدرشوت سيكون القائد الأعلى المعين فوراً للجيش البريطانى المفروض إرساله خارج البلاد فى حالة قيام حرب وكان معيناً لذلك. فالجنرال ديل كان فى الدرشوت فى سبتمبر ١٩٣٩ وكنا نفكر بل نأمل جميعاً أنه سيكون هو القائد الأعلى. إلا أنه انتشر الخبر أن القيادة كان قد وعد بها فى حالة الحرب للجنرال أير ونسيد، تعويضاً عن أن جورث كان قد عين رئيساً للأركان الحربية الامبراطورية. وكان إذ ذاك مفتشاً عاماً للقوى الموجودة وراء البحار وهى وظيفة لا تزال حتى اليوم. وسمعت أنه كان ذهب حقاً إلى كمبرلى وشرع بتأليف مركز قيادته العام فى بنايات سندرهرست بيوويمات قبل إعلان الحرب.

ولا شك فى أن ديل ويرونسيد ملكتهما الدهشة عندما بلغهم أن مرشحاً ثالثاً حصل على المحل: جورث الذى كان رئيس الأركان الحربية الامبراطورية. فمن الأكيد ان الجيش وقع فى الحيرة، وازدادت حيرته عندما بلغه أن ايرونسيد عين رئيساً للاركان الحربية الامبراطورية؛ فإنه عزل عن منصبه فى (مايو) ١٩٤٠. ولنلق نظرة الآن على القائد الأعلى ومركز قيادته الأعلى.

كان جورث رجلا لطيفاً، وصديقاً مخلصاً، صادقاً لا يمكن أن يأتى بشىء ذليل دنىء.

كان المثل الأعلى للضابط فى الجيش المقاتل، لا يجهل شيئاً من لوازم الجندى وأعلى وظيفة كان قد شغلها فيما سبق هى قيادة لواء مشاة. كان حاد الذكاء ولا يزعج نفسه بالمسائل الإدارية

جعل جورث مركز قيادته الأعلى فى هابارك وضواحيها ، فى مساحة ثلاث عشرة قرية وهى تربو على الخمسين كيلومتراً مربعاً : فكان ذلك الانتشار يتطلب شبكة مواصلات صعبة التحقيق ، مما يؤدى إلى صعوبة اتصال القائد بمن يريد الاتصال به .

إننى لا أزال ارى أن تعيين جورث فى منصبه كان خطأ ، فالعمل المفروض عليه كان فوق طاقته وكفى بإلقاء نظرة على ما وصله من أوامر مكتوبة وقع عليها هور — بليشا للتيقن مما اقول . ثم انهم كانوا يطلبون منه المستحيل . فإن مراكزه العامة كان عليها أن تتصرف كمركز عام أعلى وتقوم فى الوقت نفسه بمهام قيادة ذات تنفيذ مباشر على القوى المقاتلة والإدارة الملحقة به ، وإليكم التعليمات التى كان مأموراً أن يتقيد بها :

تعليمات للقائد الأعلى للقوى المقاتلة البريطانية

المهمة :

١ - مهمة قوانا الموجودة تحت قيادتكم أن تساعد مع حلفائنا على هزيمة عدونا المشترك .

٢ - ستكونون تحت تصرف القائد الأعلى الفرنسى « المسرح الشمالى - الشرقى للعمليات الحربية » . ففى ملاحقة الهدف المشترك ستطبقون بصدق كل التعليمات التى تتلقونها منه . وفى الآن نفسه إذا ما صدر منه أمر ترونه يجعل فى خطر القوى المحاربة البريطانية فالاتفاق قائم بين الحكومتين البريطانية والفرنسية أن تحتفظوا بحريتكم

فى أن تراجعوا الحكومة البريطانية قبـــل تطبيق ذلك الأمر . لنا الأمل أن حاجة إلى مراجعة كتلك لن تقع إلا فيما يندر . ومع ذلك فإن وقعت لن تترددوا فى استعمال ذلك الحق عندما ترونه مناسباً .

٣ ـ إن القوى الموجودة تحت أوامركم تحدد أولا إلى فرعين كل فرع مؤلف من فوجين مع مركز قيادة أعلى ، كما أنها تحدد بفرع الطيران الحربى الملكى المؤلف من سربى قاذفات قنابل ، وسربى طاردات وسربى مساعدة .

٤ ـ رغبة حكومة صاحب الجلالة هى أن تكون القوى البريطانية الموجودة تحت أوامركم غير موزعة فى أماكن شتى على قدر الإمكان.

وإذا أرغمت الظروف القائد الأعلى الفرنسى « المسرح الشمالى الشرقى للعمليات الحربية » ، أن ينقل جزءاً من الجيش البريطانى المحارب إلى منطقة غير التى تعمل فيها قوتكم الرئيسية ، يجب أن يكون معلوماً ان ذلك لن يكون إلا وقتياً وأن الجيش المنفصل هكذا سيرجع حالما يكون الأمر ممكناً ويضم إلى الكتلة العظمى من القوى البريطانية .

٥ ـ فى حين أن فرع الطيران الملكى موضوع تحت أوامركم ، فان القوى الجوية المتقدمة التى تقوم بمهمات من الأراضى الفرنسية هى وحدات مستقلة موضوعة تحت المراقبة المباشرة من قبل ضابط الجيش الجوى القائد الأعلى فى المملكة المتحدة . إلا أن المكتب الحربى قرر أن تلك القوى ستبقى خارجاً عن قواعدها العادية ، وإنكم ستكونون مسؤولين عنها بصفتكم القائد الأعلى للقوى المحاربة . غير انكم لستم مسؤولين عن حماية مطارات القوى الجوية المتقدمة . فان تلك الحماية

يجب على الفرنسين أن يؤمنوها ولكن إذا مست الحاجة إلى أن تأخذوا على عاتقكم حمــاية تلك القوى ، فستبلغون التعليمات اللازمة من المكتب الحربى .

٦ ـ ربما اضطررتم إلى مساعدة جوية تتجاوز امكانيات فرع الطيران الحربى الملكى الملحق بالقوى المحاربة . ربما مست الحاجة إلى مساعدة اضافية لحماية عامة تؤمنونها لجيشكم ضد هجوم جوى ، أو لهجوم جوى متصل بعمليات حربية برية ، أو للحصول وقتياً على تفوق جوى محلى . فستطلبون مساعدة كتلك ، عندما تمس اليها الحاجة ، من ضابط الجيش الجوى القائد للقوى الجوية المتقدمة .

٣ ـ ٣ ـ ٣٩ التوقيع : لسلى هور ـ بليشا

فبعد اطلاعك على هذه التعليمات التى نظرت على جدول الصفحة التالية وهى تدل على كيف كانت موزعة قيادة القوى المتحالفة فى فرنسا. فان الجنرال جاملين كان القائد الأعلى . ويبدو الجيش البريطانى المحارب على أنه ملحق لمجموعة الجيوش تحت الرقم ١ تحت أوامر الجنرال بيوت . إلا أن التعليمات المعطاة لجورث كانت تجعله مباشرة تحت قيادة الجنرال جورج . ومن ثم ترى جيداً سبب صعوبات لم تلبث أن تحدث فى الجبهة الشمالية الشرقية .

ابتدأت العمليات الحربية فعلا فى ١٠ (مايو) ١٩٤٠ وفى نهار الغد كان تنظيم الجبهة ، من لونجوى إلى البحر، على نحو ما يلى من الشمال إلى الجنوب :

مجموعة الجيوش رقم ١ مع الجنرال بيوت

الجيش الثانى الفرنسى

الجيش التاسع الفرنسى

الجيش الأول الفرنسى

فهذه الجيوش كانت تضبط جبهة من لونجوى إلى وفر مارة فى سودان . فالجزء اردين ـ موز من هذه الجبهة كان يحل فيه الجيش الثانى والتاسع ، وهما مؤلفان خاصة من افواج من الدرجة الثانية . والجيش الأول كان مجاوراً للجيش البريطانى المحارب ، وكان مؤلفاً خاصة من افواج من الدرجة الأولى .

الجيش البريطانى المحارب :

ليس تحت قيادة الجزال بيوت ، بل متقبلا أوامره مباشرة من الجنرال جورج . وكان فوجى الثالث فوج القوى البريطانيةالمحاربة اليسرى ، وكان الجيش البلجيكى على يساره .

الجيش البلجيكى :

مستقل ، يقوده ملك البلجيكيين .

الجيش السابع الفرنسى (جيرو) :

كان داخلا فى مجموعة الجيوش رقم ١ ، وكانت نية الجنرال جورج أن يبقيها لوقت الحاجة وراء الجانب الأيسر ، وكان ذلك من الصواب . إلا أن جاملين لم يوافق عليه بل أمر بأن يجتاز ذلك

الجيش المؤلف من سبعة أفواج بلجيكا متجهاً نحو انفرس ليسند القوى البلجيكية والهولندية . فكابد خسارات فادحة ولم تتوفر لديه العتاد الحربية ثم ولم تؤمن نتيجة قط ولابد للأمر من أن يكون هكذا. وكانت حركة ذلك الجيش أكبر خطأ ارتكبه جاملين لأن تلك الحركة أخلت فى توازن الجبهة الشمالية الشرقية ، وما كانت الحالة أصبحت هكذا سيئة لو كان الجيش السابع قد بقى على ما كان عليه فى نية الجنرال جورج .

وعدا عن ذلك الخطأ من القيادة ، فإن جهاز المواصلات لم يكن ليسهل الأمور . وحينما ابتدأت الحرب ألح الفرنسيون على ضرورة عدم استعمال اللاسلكى بحجة أنه لا يمكن التخابر عن هذا السبيل . ولذا فإن القوات المتحالفة أخذت تتصل بعضها ببعض عن طريق التليفون العادى مما أدى إلى اضطراب كبير . ومن ناحية أخرى فإن مركز القيادة الأعلى للقوات البريطانية المحاربة لم تقم بمناورات حربية مع جيش أو بدون جيش فيما بين انزالنا على أرض فرنسا سنة ١٩٣٩ وابتداء العمليات الحربية الجدية فى (مايو) ١٩٤٠ وكان العذر دوماً ضرورة فرض عدم استعمال اللاسلكى إلا أنه كان من الممكن أن ينظم تمرين على الخريطة ، فيكون مرآة لما سيتم فى الحرب . مما أدى إلى عدم وجود سياسة مشتركة ومذهب استراتيجى عند القوى المحاربة البريطانية ، والخلافات التى كانت تظهر ، فإنها كانت تبقى لأن أحداً ما كان يتلقى أوامر سديدة من المركز الأعلى .

فى ١٢ (مايو) اتفق على أن يجمع الجنرال بيوت بين عمليات

القوى البريطانية وعمليات الجيش البلجيكى وذلك باسم الجنرال جورج . ولكن لم يتحقق هذا لأن الجنرال بيوت جرح فى ٢١ (مايو) ومات بعدذلك بيومين ولم يعين محله الجنرال بلانشار إلا بعدثلاثة أيام بعد موته وكان الأوان قد فات . وكان التليفون دائما يكاد يكون الواسطة الوحيدة للتخابر يحمله ضباط المواصلات مع زيارات القواد الكبار مع أركانهم . منذ ١٦ (مايو) ابتدأ الألمان يقصون الخطوط الجوية وفى النهار نفسه انقطعت المواصلات التليفونية (جاملين) ومركز قيادة الجبهة الشمالية الشرقية (جورج) . وفى التليفونية اليوم نفسه أيضاً انقطعت كل المواصلات المباشرة بين الجنرال جورج ومجموعة الجيوش رقم ١ (بيوت) ومنذ ١٧ (مايو) لم تبق خطوط تليفونية تحت تصرف جورث ليتصل بمركز القيادة البلجيكية عن يساره ، وبالجيش الأول الفرنسى عن يمينه ومركز قيادة الجبهة الشمالية الشرقية (جورج) من ورائه. والواقع هو أن لم يكن ثمة اتصال قطفيا بين القوى البلجيكية والقوى البريطانية والجيش الأول الفرنسى . فإن قواد تلك القوى لم يستطيعوا أن يتصلوا بعضهم ببعض إلاعن سبيل الاجتماعات الشخصية.

وكانت خطة جورث أن يتقدم مع مركز قيادة صغير ، عندما ابتدأت العمليات الحربية الجدية ، وأن يترك فى اراس مركز قيادته الرئيسى . ثم ألح عدد من الضباط أخذ يتكاثر بأن يكون حاضراً فى مركز القيادة المتقدم مما أدى إلى ازدحام قوى . ففكروا حينئذ بجعل مركز قيادة صغير فى خط لا بأس بتقدمه. وأخير اضطربت مصلحة الاستعلامات اضطراباً تاماً وابتدأ الفرنسيون فى ١٥ (مايو) يشعرون

بالصعوبة الشاقة من يمين القوى البريطانية . وشق الألمان جبهة الحلفاء في منطقة الجيش التاسع الفرنسي ولم يكن لمركز القيادة الأعلى البريطاني ضابط يصله بمركز قيادة ذلك الجيش كما كان الأمر مع الجيش الأول الفرنسي فلم يحصل مركز القيادة إلا على تفاصيل الثغر الذي حدث لا من حيث حالة الفرنسيين ولا من حيث حركات العدو . واتخذ في هذا الوقت قراراً مدهشاً ففي (١٦ مايو) استدعى جورث رئيس مصلحة الاستعلامات الخاصة به (ماجور ـ جنرال مازون ـ ماك فرلان) وسلمه قيادة قوة صغيرة مكلفة بحماية الحرس الوراني الأيمن للقوى البريطانية . ثم أخذ الجنرال معه أقدم ضابط أركان تلك المصلحة بصفة ضابط أركان أعلى في القوى الجوية (العقيد جرالد تمبلره) فنتج عن ذلك أن جورث كثيراً ما حدث له أن يصبح بدون استعلامات عن العدو . وهكذا فإن توزيع أعمال الأركان بين مركز القيادة الأعلى ومركز القيادة كان سيء التنظيم منذ البدء وذلك في كل مكان .

وكفى بماقلت حتى يفهم أن المعركة كانت خاسرة حقاً قبل أن ندخل فيها من حيث القيادة ومراقبة القوى المحاربة في فرنسا في (مايو) ١٩٤٠

فعلى من يقع اللوم أولا ؟ لا شك أنه يتمع على الجنرال جاملين . لأنه كان هو القائد الأعلى وعليه فإنه كان مسئولا ولم يأت بشيء تجنباً لذلك النقص . إلا أنني لا أتردد في لوم رؤساء أركان الحرب البريطاني لأنه كان من الواجب عليهم ألا يسمحوا قط بأن يدخل الجيش البريطاني المعركة وهو على ذلك الحد من عدم تنظيم القيادة .وواضح أن جورث ورئيس أركانه يستحقان اللوم . فهما يعرفان نواقص تنظيم القيادة

العليا ، فكان من اللازم عليهما أن ينظما مركز القيادة الأعلى بشكل متقيد بالفن أكثر مما كان . أما أنا فما كنت أعتبر جداً أركان مركز القيادة الأعلى حتى ولا هؤلاء الذين كانوا يشغلون القيادات المتعلقة به .

إن منطقة فوجى كانت فى جنوبى بيل وكانت مهمتى أن أعمل على دفاع الخط الممدود بعد خط ماجينو وراء الحدود البلجيكية . حتى ١٠ (مايو) وكانت بلجيكا بلاداً حيادية بالضبط . وعدا تلك الأعمال الدفاعية كنت أسعى فى أن أدرب الفوج ليكون مستعداً لعمليات حربية وكنت على يقين من أنه سيطلب منه أن يقوم بها . وكنت ساخطاً على ما كان يجرى . فإن فرنسا وبريطانيا العظمى لا تتحركان فى حين أن ألمانيا تبتلع بولونيا . كنا لا نتحرك فى حين أن الجيوش الألمانية كانت تنتقل نحو الغرب وقصدها واضح فى أن تهجم علينا فى بعد . وكنا ننتظر بصبر أن نهاجم . وفى تلك الأثناء كنا نقذف ألمانيا بين الحين والحين بالمناشير والدعايات. إذا كانت الحرب هكذا فإنى لا أفهم

أذكر زيارة قام بها نوفيل شمبرلين إلى فوجى ، فى ١٦ ديسمبر ١٩٣٩ وبعد راحته انفرد بى وقال بصوت منخفض بشكل لا يسمعه أحد.

— « لا أرى أن نية الألمان أن يهاجمونا . ما رأيك » ؟

ما خفيت عليه أنى أرى أن الهجوم سيتم فى الحين الذى يختارونه هم . كنا حينذاك فى الشتاء وكان لابد لنا من أن نتوقع أن تبتدىء المعركة فى أواخر الفصل الممطر البارد .

أما الفوج الثالث فإنه ولا شك استفاد من ذلك الشتاء الأول

وتدرب تدريبا شاقاً ، فإذا هوجم البلجيكيون كان علينا أن نتقدم ونشغل منطقة تمتد إلى ماوراء لوفين ، ووراء نهر الديل . فدربت فوجى على العمل على بعد مسافة مشابهة متجهة نحو الغرب ، أعنى فى فرنسا .

كان قائد الفرع الداخل فى فوجى الجنرال بروك (الآن لورد النبروك) ،كنت معه مدرباً فى مدرسة الأركان وأعرفه جيداً . إننى لا أزال أحبه وأعجب به إعجابا يقويه لاحترام وأنه فيما أرى خير جندى أخرجه وطنى منذ أعوام . ماكنت أزعجه وماكنت أتثاقل عليه بالأسئلة بعد أن أعطى أوامره مهما اشتدت الصعوبات وماكنت فى حاجة إلى تلك الأسئلة لأن أوامره كانت فى غاية الوضوح . كانت ثقته فى كبيرة فيدعنى أطبق أوامره كما أشاء ودافع عنى ضد الذين كانوا يريدون هلاكى . حدث له أن يلومنى إلا أننى كنت أقبل منه كل شىء لأننى كنت استحق كل التوبيخات التى وجهها إلى .

ليس قصدى أن أسرد بالتفصيل ما قام به الفوج الثالث فى المعركة التى ابتدأت فى ١٠ (مايو) ١٩٤٠ . إلا أن هناك وقائع لا بأس بأهميتها فالمهمة الأولى التى تحتم علينا أن نقوم بها هى بالضبط المهمة التى كنت أتوقعها ، أعنى أن نتقدم ونحل فى المنطقة الواقعة على الديل ولوفين فى وسطها . فقمنا بالحركة بنجاح تام . وعند وصولنا فى ١١ (مايو) كان البلجيكيون فى المنطقة نفسها ولاينتظرون الألمان ، وكانوا لايزالون نائمين إذ كنا قد أتممنا كل شىء فى الليل وانتهى احتلالنا للمنطقة عند الفجر . فذهبت إلى القائد البلجيكى وطلبت إليه أن ينسحب فوجه ليتاح لى أن احتل الجبهة ، فرفض وقال إنه لم يتلق أوامر فى الموضوع

وأضاف أنه على الجيش البلجيكى أن يحل فى مدينة لوفين القديمة .

وكان الألمان يقتربون ، أما الجيش البلجيكى الذى كانت جبهته على خط قناة البير فتراجع مهرولا . وكانت المنطقة مزدحمة بعدد من الجنود أكثر مما كان يلزم فركزت فوجى وراء الفوج البلجيكى . ورأيت أن خير وسيلة لأن أصرف البلجيكيين وأحل محلهم هو أن ألاطف كرامتهم قليلا فقلت للقائد البلجيكى إنه لابد من أن توحد القيادة فى المنطقة للنجاح فى عملنا ، وبما أنه هو الذى كان يشغل تلك المنطقة أولا فإننى أجعل نفسى تحت تصرفه . فسر . ووصل الخبر إلى مركز القيـــادة الأعلى فأحدث استياءا عظيما وجاء قائد فرعى إلى للاستفهام فقلت له ألا يضطرب لأننى لجأت إلى حيلة لإزاحة البلجيكيين وسأصبح عن قريب صاحب الجبهة والقائد المسئول . فعندما وصل الألمان على مسافة مرمى المدفعية وابتدأ النسف لم يصعب على أن أحل محل البلجيكيين . فإن فوجهم رجع وراء فوجى ثم انسحب نحو الشمال حيث التحق بكتلة الجيش البلجيكى العظمى .

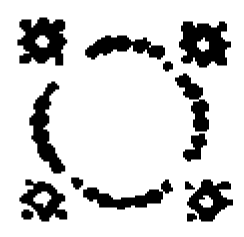
أظن أن أصعب العمليات الحربية التى قمت بها حينذاك كانت فى ٢٧ (مايو) ، إذ تلقيت الأمر بأن أضع الفوج على يسار الجبهة البريطانية لأسد الفرجة التى كانت قد حدثت بين الفوج الخمسين والبلجيكيين . وكان يقتضى ذلك نقل الفوج ليلا على نحو بعد كيلو مترين من الفوج الخامس حيث كانت لا تزال تجرى معركة اشتد وطيسها أثناء النهار كله .

ولو كان طالب في مدرسة الأركان قد فكر في هذا الأمر لاعتبر كمجنون . إلا أنه في الحرب ، وفي شدة الأزمة ، يقوم الإنسان بأعمال مدهشة .

وهكذا فعلت ، وسدت الفرجة في فجر ٢٨ (مايو) .

ويمكنك أن تتصور دهشتي عندما بلغني في صباح النهار أن ملك البلجيكيين كان قد سلم جيشه إلى الألمان في ٢٧ (مايو) في نصف الليل في حين كنت أنتقل فوجي لأسد الفرجة . فبدلا من جيش بلجيكي على يساري ، لم أر شيئاً مما اضطرني إلى الإسراع في اتخاذ تدبير آخر .

وفي أثناء تلك العمليات الحربية كاد الزاد أن ينفد واضطروا أن ينصفوا الوجبات في القوى البريطانية المحاربة . أما فوجي فلم يشعر بذلك لأننا كنا نعيش مما كان يتركه المدنيون الهاربون وتعطى بطاقات المصادرة لحاكم المنطقة عندما نعثر عليه .



الفصل النهائى فى البان

استقر مركز القيادة الأعلى فى البان فى ٢٨ مايو وبقى هناك حتى النهاية . وقد اختير هذا المكان لأن السلك الموجود تحت البحر والذى كان يصلنا مع المملكة المتحدة كان يدخل هناك فى البحر ؛ وبذلك استطعنا أن نبقى متصلين تليفونياً حتى النهاية مع دوفر ولندن .

عسكر فوجى على يسار رأس جسر دنكرك فى ليل ٢٩ إلى ٣٠ مايو وكنا محتلين خط القناة بين فورت ونيوپور . كان مركز قيادتى على تلال الرمل فى جوار البان ، ومركز القيادة الأعلى ، أو ما كان باقياً منه ، فى بيت من جهة البحر وما كان فيه آنذاك إلا جورت نفسه وبعض ضباط أركان .

فى صباح ٣٠ مايو قصدنى بروك إلى مركز قيادتى فى تلال الرمل . قال لى إنه أمر بأن يعود إلى انجلترا وكان جد مضطرب . وكنا أصحاباً فسعيت جهدى فى أن أشجعه قائلا إنه من المهم جداً أن تستعيد انجلترا خيرة قوادها فى أسرع وقت إذ أنه من المتوقع أن نقضى سنوات عديدة فى الحرب . فلو هلكنا جميعا ، يجب على الأقل أن ينجو هو . فقال لى إننى سأحل محله كقائد للفرع الثانى فدهشت لأنى كنت الماجور — جنرال الأصغر فى ذلك الفرع . وعاد بروك إلى انجلترا فى المساء نفسه .

وعقد جورت اجتماعا أخيراً فى مركز قيادته بعد ظهر ٣٠ (مايو) ليعطى أوامره ، وحضرت ذلك الاجتماع بصفة قائد الفرع الثانى فرأيت جورت لأول مرة بعد ١٠ (مايو) وتحدثت إليه قبل الاجتماع لأنى استطعت أن أصل إلى الاجتماع قبل غيرى لقرب مركز قيادتى من مركزه

وفى الاجتماع قرأ لنا البرقية التى تحتوى على تعليمات الحكومة الأخيرة . وهى تقول :

« واصلوا فى مدافعة المحيط الحالى لحماية الإخلاء الذى يتم الآن بشكل مرضى . أفيدونا كل ثلاث ساعات عن سبيل البان. إن استطعنا أن نبقى متصلين بكم سنرسل لكم الأمر بالعودة إلى انجلترا مع الضباط الذين تختارونهم عندما نرى أن قواكم تخف إلى حد أن تصلح أن تكون تحت قيادة قائد فرع . وإذا انقطعت المواصلات استعدوا للرجوع عندما تصبح قواكم لا تجاوز معدل أفواج ثلاثة إن ذلك فى تمام اللباقة من الناحية العسكرية —. »

ثم إن قائد الفرع الذى تعينونه يجب أن يؤمر بتأمين دفاع وإخلاء دنكرك والشاطىء وذلك باتصاله مع الفرنسيين .

إلا أنه إذا ما رأى أن لا نفع فى مواصلة القتال يجب أن يتفق مع القائد الأعلى الفرنسى فيستسلم وفرعه للعدو حقنا للدماء .

فى مساء ٣٠ (مايو) جمعت قواد أفواج الفرع الثانى وأطلعتهم على أوامرى فيما يختص بالانسحاب وبالإخلاء فى المساء المقبل ٣١ (مايو) .

وكانت القنابل تنفجر من كل صوب حول البيت الذى كان فيه الاجتماع منعقداً .

ثم أمرت فيما يختص الرجال الذين لا يمكن إخلاءهم عن سبيل الشاطىء أن يتوجهوا إلى دنكرك حيث يؤخذون على سفن موجودة فى المرفأ وفى المساء التالى أصعدت الفرع الثانى إلى المراكب .

وأخيراً ذهبنا مشياً إلى دنكرك مع قائد اللواء رتشى (اليوم الجنرال سرنيل رتشى) وسائق سيارتى . ووصلنا هناك عند الفجر فأصعدنا إلى ظهر سفينة حربية ونزلنا فى دوفر فى صباح أول حزيران .

لورد جورث

سبقت وقلت إن تعيين جورث لقيادة القوى البريطانية المحاربة فى فرنسا كان خطأ وما قط عدلت عن رأيى حتى اليوم .

وأول شىء يجب أن يفهم هو أن معركة ١٩٤٠ فى فرنسا والفلاندر كانت قد خسرت فى هويتهال قبل أن تبتدىء ، ويمكن أن يضاف بعد لفظة « هويتهال » العبارة « فى باريس » . ولذلك فإن الموقف كان يقتضى أن يخرج من الجيش البريطانى رجلان فوق المستوى الإنسانى : الأول كرئيس الأركان الحربية الامبراطورية والآخر لقيادة المحاربة فى فرنسا . أما الرجلان اللذان انتخبا فكانا أيرونسيد وجورث وهما تعيينان لا يليقان فيما أرى .

فقد كلف جورث بمهمة يكاد لا يمكن القيام بها على ما يرام ؟

إلا أنه تصرف على خير ما كان فى إمكانه . رأينا أن الشىء الكثير الذى كان يجب تحقيقه لم يحقق هذا علاوة عن أن جورث لم يختر بحكمة أعضاء رئاسة أركانه ، فما كان كفئا لمنصبه . فلم يكن جورث صاحب آفاق واسعة إلا أنه كان يتبين بوضوح ما كان ضمن نطاقه الضيق .

وعند ما وقعت الزوبعة فأودت بالجيوش الفرنسية والبريطانية رأى جورث أنه لم يبق عليه إلا شىء واحد : كان لا بد للجيش الفرنسى من أن ينهار ، فيجب إعادة القوى البريطانية إلى انجلترا . صممت خطة الإخلاء فى مركز الأركان الأعلى فى ٢١ (مايو) فيما أظن. وما عاد جورث يميل عما رآه الحل الوحيد المناسب . ثم تأثر عمله فيما بعد مع الوقت باعتبار آخر : واجبه نحو حكومة صاحب جلالته ، كقائد مسئول عن أمانة القوى البريطانية المحاربة . وفى الفترة الأخيرة تخلص من باركر إذ سلم لالكسندر مهمة قيادة الفرع الأول والإخلاء النهائى .

وما استطعنا أن نخرج جميعنا من دنكرك إلا لأن جورث كان يتبين الأمور بوضوح ضمن نطاقه الضيق . رب رجل أشد ذكاء وقف غير ذلك الموقف لحاول أن يتوجه بالقوى البريطانية المحاربة نحو السوم محافظاً على الاتصال بالفرنسيين . ولو كان فعل لكان جنود القوى البريطانية المحاربة قد اتجهوا إلى افريقيا الشمالية ووجدوا أنفسهم هناك لا سلاح لديهم ولا عتاد .

رأى جورث بوضوح أنه كان لا بد على الأقل من إرجاع القوى البريطانية المحاربة إلى انجلترا مع أسلحتهم الفردية . وأنا جد شاكر

له ذلك ولى الأمل بأن التاريخ سيحفظه له كعمل يستحق الشكر عليه .
لقد أنقذ رجال القوى البريطانية المحاربة فى فرنسا ، وبعد إنقاذهم أصبح هؤلاء الرجال فى إمكانهم أن يعودوا إلى القتال يوما وهذا ما فعلوا لأمر كان ، كما أمكن الألمان أن يتحققوه .

الجيش فى انجلترا بعد دنكرك

وصلت إلى لندن فى مساء أول (يونيو) وذهبت صباح الغد إلى المكتب الحربى لأقدم بياناً شخصياً لجاك ديل ، وهو صاحب لى قديم .

كان خائر القوى وقال لى : « أترى ؟ لأول مرة بعد ألف سنة تهدد هذه البلاد بالفتح والغزو » .

كنت قد قضيت الليل فى هدوء ونمت نوماً مريحاً ، فكنت على خير حالة نفسية تزام . فضحكت : فأسخط ذلك منى ديل وسألنى ماعسى أن يكون الأمر المضحك . قلت إن الشعب الانجليزى لن يصدق بخطر الغزو مادام على رأس الجيش قادة لا مؤهلات عندهم وذكرت له بعض الأمثال ، فلم يسعه إلا أن يوافق على ماقدمت ولكن منعنى عن الحديث العلنى بذلك فطلبت إليه أن أجتمع به وحده فى مكتبه فرضى . وفى الغد وصلنى منه كتاب يطلب فيه منى أن أمتنع عن التكلم فى ذلك الأمر فأطعت . إلا أن القادة الذين ذكرتهم عزلوا الواحد تلو الآخر .

مع أننى كنت قائد فرع فى دنكرك طلبت أن أرجع إلى فوجى الثالث لأعده لما كان لابد أن يتم ، وحصلت على طلبى .

إن ضباط القوى البريطانية المحاربة ورجالهم كانوا الآن فى انجلترا ماعدا الشجعان الذى ضحوا بحياتهم ليمكنوا غيرهم من العودة إلى الوطن أما الأسلحة والعتاد فلم يبق فى انجلترا حينذاك إلا ما يكفى لتجهيز فوج . فاتفقوا على إعطائه للفوج الثالث ولإعداد ذلك الفوج لنقله إلى فرنسا من جديد ليعود ويحارب إلى جانب الفرنسيين . كان ذلك اعترافاً بمقدرتنا ولو كنا جميعاً على يقين من أن عودتنا إلى القتال كان لا نفع فيها . ومع ذلك فإن بروك عين كقائد أعلى وكنا نحن ، من الفوج الثالث ، مستعدين أن نذهب حيثما شاؤوا تحت قيادته فبعد أن لمنا شملنا فى سمرست استعددنا لقطع المانش للمرة الثانية ولكن فى تلك الفترة وقعت فرنسا المدنة فى ١٧ يونيو .

فأمر فوجى بأن يحل فى منطقة الشواطىء الجنوبية من انجلترا حيث كانوا يظنون أن الألمان ينزلون قريباً فأسرعنا إلى تجهيز المنطقة لمنعهم من ذلك عندما يتم . واستاء السكان من عملنا الذى كانوا يرون فيه خراباً لحقولهم وبساتينهم وصرحوا لى عن استيائهم فما اكترثت له .

ففى الأيام التى تلت سحق فرنسا ، ما كان الانجليز ليفهموا الحال على صحته . وشد ما كان سخطى وسخط أصحابى عندما كنا نرى أن جمهور الانجليز ينظرون إلى انسحابنا من دنكرك نظرهم إلى انتصار أحرزناه والجنود البريطانيون يتجولون فى شوارع لندن كأبطال : يظنهم الناس هكذا وهم أيضاً يظنون أنفسهم أبطالا . وما كان أحد يشعر أننا هزمنا هزيمة شنيعة هناك ، وأن جزيرتنا أصبحت الآن فى

خطر هائل . ولقد أتى تشرشل فى وقته ليصارح الناس عن ذلك الخطر فى لهجة هى أشبه شىء بلهجة المزامير .

ولقد التقيت بتشرشل فى ذلك الصيف ١٩٤٠ لأول مرة فى منطقة الشواطىء الجنوبية ، قرب بريتون : أصبحنا فيما بعد صاحبين حميمين وحتى الآن لاأزال أعده فى مقدمة خيرة أصحابى ولكن قبل سياق حديثى أريد أن أقف قليلا لأروى قصة ذلك الاجتماع الأول إذ أننى طالما أرجع إليه بفكرى.

كان مركز قيادتى قرب ستنيج فى بيت واقع شمال تلال الرمل بلغنى أن رئيس الوزارة كان يريد أن يقضى مع فوجى بعد ظهر ٢ يوليو يصل فى سيارة وينهى دورته فى بريتون ثم يعود إلى لندن فى القطار الحديدى ، وكنت فى ذلك الوقت لا أقدر رجال السياسة عندنا لأن رأيى فيهم حينذاك هو أنهم المسؤلون عن مصائبنا إلا أننى كنت راغباً فى الاجتماع بذلك الرجل الذى طالما كان قد أنذر الحكومات السابقة عما سيتم وما سمعوا وهذا هو الذى كان قد أنذر به قد حدث .

كان يصحب تشرشل زوجته وغيرها من الشخصيات وبينهم دنكان سانديس لم أعرف حتى الآن ما كان رأى تشرسل فى، أما هو فقد أحدث فى تأثيراً عميقاً فمكنته من أن يرى كل ما كان يمكن أن يرى ودعوته إلى حضور بعض المناورات التى كانت تقوم بها قطعة من الفوج الثالث ، فسر سروروا عظيما وعندما انتهينا إلى بريتون الساعة ٧ر٣٠ مساء دعانى إلى العشاء فى رويال البيون أوتيل وكان الحديث حماسياً أثناء الأكل . سألنى تشرشل عن المشروب الذى أحبه مع الطعام وأجبت : الماء فأدهشه

جوابي فأضفت أنى لا أشرب ولا أدخن وكنت بذلك على خير حالة من العافية ١٠٠٪ . فأجابنى بحدة أنه يشرب ويدخن وكان بذلك على خير من العافية ٢٠٠٪ . لقد سردت هذه القصة غير مرة مع تعديلات شتى والذى ذكرته منها هو الأصل

فى هوايتهول كان واضعو الخطط الحربية منهمكين فى عدة مشاريع وكان الفوج الثالث دوماً يعين لتنفيذ كل مشروع يفكرون فيه لأن ذلك الفوج كان الوحيد المستعد للقتال . وهكذا قرروا يوماً أن يرسلونا خارج الوطن لأخذ جزر الاسور ، ثم عدلوا منه إلى مشروع آخر لأخذ جزر الكاب - فير. وأخيراً اتفقوا على إرسالنا لاحتلال كورك وكوينستون فى إيرلندا الجنوبية لتحويل المرفأ هناك إلى قاعدة حربية تستخدم ضد الغواصات الألمانية فى الاتلانتيك . كنت قد قاتلت فى إيرلندا الجنوبية فى عامى ١٩٢١ و ١٩٢٢ ؛ ورأينا أن تلك الحرب الجديدة مع فوج واحد ليست إلا نزهة إلا أن مشروعاً من تلك المشاريع لم يتحقق وما كان يمكن أن يتصور أن يدع رئيس الوزراء الفوج الوحيد الكامل التجهيز بالسلاح والعتاد أن يغادر انجلترا وهى كانت تكاد بلا دفاع .

فى (يوليو) ١٩٤٠ عينت قائداً للفرع الخامس ، ومنذ ذلك العهد ابتدأت فعلاً أوائل تأثيرى على توجيه الجيش . أعنى بذلك أن الفرع الخامس أحدث نشاطاً شعر به حتى خارج منطقته وهى منطقة الهامبيشير والدوستشير فى (أبريل) ١٩٤١ قلدت قيادة الفرع الثانى عشر فى منطقة الكنت التى كانوا يتوقعون نزول الألمان فيها ، وفى (ديسمبر)

١٩٤١ عينت لقيادة جيش المنطقة الجنوبية ـ الشرقية الذى كان منتشراً فى الكنت، والسرى والسوسيكس. وهكذا فإن مذهب الحرب والتدريب الحرب الذى ظهر غربى انجلترا فى الدرستشير أخذ يمتد شيئاً فشيئاً إلى جنوبى انجلترا حتى مسقط التامين.

فلنلق نظرة على ذلك المذهب، وهذا مهم لفهم ماسوف يلى. لأن ذلك المذهب هو الذى طبقته فى أفريقيـــا سنة ١٩٤٢ وصقلية وإيطاليا فى ١٩٤٣ ونرمنديا فى ١٩٤٤ والحق هو أن كل ما حدث فى شتى القيادات التى تسلمتها فى السنتين اللتين تلتا دنكرك هو أصل النجاح الذى تم أثناء ذلك السفر الطويل من العلمين إلى برلين.

على قدر ماكان الوقت يمر كان اختبارى بالقيادة يزداد، وهكذا حتى أننى أصبحت قادراً على تطبيق مذهبى عنـــدما عينت قائداً الجيش الثامن فى ١٩٤٢ وأثناء هاتين السنتين خدمت تحت أوامر ضباط ممتازين أخذت عنهم الشىء الكثير.

فى الفرع الخامس كنت أولا تحت رئاسة أوسنلك، لايمكن أن أقول أننا كنا متفقين فى الرأى، إلا أنه لم يلبث أن عين قائداً أعلى فى الهند فأصبحت تحت أوامر الكسندر وباجيت. أما بروك فكان تارة قائداً أعلى للقوى الداخلية وطوراً قائداً أعلى للأركان الحربية الأمبراطورية وكان ثلاثتهم أصحاباً أوفياء لى وأجلهم إجلالا كبيراً من حيث أنهم رجال ومن حيث أنهم جنود.

وبما أنه يحدث دوما، بعد انتهاء العمليات الحربية، أن تتكتل

الأوراق الادارية فتأسر فى المكتب ضباط أركان وسكرتيريين ، أمرت بأن يجبر كل من كان شغله فى المكتب أن يمشى كل يوم سبعة أميال مشياً سريعاً . والأمر هذا كان يقع على كل شخص لم يتجاوز الأربعين وذلك بدون استثناء قط. فالذين لا يريدون المشى السريع كان يمكنهم أن يسيروا المشية العادية ولكن كان لابد لهم من قطع المسافة المذكورة . فبدا الاستياء أول الأمر غير أن الجميع عملوا بما أمرت، حتى الذين كان عمرهم فوق الخمسين ، الجميع وجدوا راحة وسروراً بذلك . واذكر أن أحد الكلدونوليين الكبار حاول أن يتهرب ملتجئاً الى طبيب . فسألته هل يظن أن فى ذلك المشى المفروض قتله . قال نعم! قلت وإذن فمن الخير أن تموت حالا وبالمشى ، فتبدل فوراً وقام بقطع المسافة المفروضة وفيما أعلم هو لا يزال حياً اليوم .

كان من الضرورى التخلص من الضباط المسنين لفسح المجال للشباب منهم الذين أبلوا البلاء الحسن فقطعت على نفسى أن أنحى « الحطب اليابس » عن الجيش وقمت لذلك بزيارات شخصية إلى كل الوحدات أتحدث إلى ضباطها واحداً واحدا باحثاً عن سنه وعن مؤهلاته الفنية .

وحدثت مقاومة عنيفة فيما يختص بالنساء . انتشرت العادة فى أن يصطحب الضباط بزوجاتهم إلى الشواطىء حيث كان من المنتظر أن ينزل الألمان . فأمرت بارحال الزوجات والعائلات فوراً عن المناطق التى من شأنها أن تصبح مناطق قتال مع الألمان . وعللت موقفى بما يلى.

إن الضباط . أثناء القتال، بعد نزول الألمان على شواطىء انجلترا سيفكر كل منهم فى زوجته وعائلته الموجودتين على قرب منه وذلك

يضعف عزيمته فى المعركة ، ويلهيه عن الهدف الأول والوحيد وهو طرد الألمان من حيث كانوا قد نزلوا . وعارضونى بأن الضابط الصالح لا يمكن أن يضعف إلى ذلك الحد . فأجبت ، بلى ، وعلى أقل تقدير أن هناك محنة وتجربة قد تستولى على وجدانه وتفكيره وكنت أريد أن أجنبه إياها . ثم أن الجنود فى الصف ليست زوجاتهم فى جوارهم ، فلماذا يسمح بذلك للضباط . وعلى كل حال فإنه من الواجب أن ترحل الزوجات . فرحلن .

ثم إن مستوى القيادة أمر مهم جداً . فلا بد من نفح الضباط وجنود الصف بروح ضرورة الاسراع فى العمل وهذا ما يدفع إلى عزل كل عاجز فى مضمار القيادة . أما الأركان فكان من الضرورى أن تكون مثالا أعلى للفعالية الفنية .

كان تشجيعى للضباط الشباب يلعب دوراً هاماً فيما أرى . ثم كان ثمة بعض أخطار وهى أن تصبح الأركان بالنسبة إلى الضباط المحاربين مثلما كان فى ١٩١٤ — ١٩١٨ ، فيصبح الذين يشتغلون فى المكتب يظنون أن القتال ليس شغلهم فالقتال شغل الجميع ومن الواجب أن يدرب عليه الجميع : كان هذا مذهبى وكنت ما أزال أصرح به . وهناك خطر آخر وهو أن تتصور الوحدات المحاربة التى نملكها فى انجلترا أن الألمان لا يمكن أن يهزموا . والخطر الثالث هو أنه بعد الحرمان الذى نزل بنا على أثر اخلائنا دنكرك يعود الراجعون من تلك الكارثة فيفكرون فى الترفيه عن النفس . فقررت أن يحصل الضباط

على إجازات تمكنهم من الذهاب إلى بيوتهم ليشاهدوا عائلاتهم بعد منع تلك العائلات بالالتحاق بهم في منطقة القتال . ثم إنه إذا ما كانت التمارين عنيفة فإن الجنود ، عند انتهائها ، كانوا يرجعون إلى مخيمات حيث تنتظرهم الحمامات الحارة والأكل الطيب . وهكذا أخذ الناس يفهمون الخطر المحدق بهم ويستعدون لمقابلته وصده .

وكانت التمارين التي كنت أهيئها وأطبقها أصعب من كل ما كان قد رآه الجيش في انجلترا ، فتقع عندما يكون الشتاء والبرد أو الحر على أشده وكانت الدعوة إلى التمارين تفاجيء الضباط بعد أن يكونوا قد أعياهم التعب من تمارين غيرها . وأذكر من بين المناورات على هذه الصورة ، تلك التي حدثت في ربيع ١٩٤٢ حيث اجتمعت لأول مرة بأيزنهاور الذي كان قد وفد من أميركا — وهو في رتبة ماجور - جنرال - ليطلع على الحالة عندنا . فوقع على كتابي المخصص للتوقيعات في ٢٧ مايو ١٩٤٢.

وفي أوائل أغسطس ١٩٤٢ وقعت مناورات على مقياس واسع في اسكتلندا واقترح الجنرال باجيت - وهو حينئذ القائد الأعلى للقوى الداخلية - وأن أحضر تلك المناورات معه . فسررت وذهبت. فتوالت إذ ذاك الحوادث بسرعة هائلة . في اليوم الثاني طلبني المكتب الحربي تليفونياً للحضور إلى لندن كنت قد عينت محل الكسندر على رأس الجيش الأول وللعمل ، تحت رئاسة أيزنهاور على تخطيط إنزال الجيوش في إفريقيا الشمالية في الثاني من نوفمبر ١٩٤٢ ، قيل لي إن الكسندر كان قد انطلق إلى مصر ليصبح القائد الأعلى في الشرق الأوسط

وأن الايضاحات اللازمة ستصلنى عن يد ضابط عام كان عليه أن يجتمع بى فى لندن فعندما التقيت به لم أكترث له بل ذهبت توا إلى المكتب الحربى . فألحوا على أن أحث أيزنهاور على الاسراع فى تخطيط العمليات الحربية المقبلة ، وهو أمر محرج إذ أن لم يبق بيننا وبين إنزال الجيوش المقرر فى إفريقيا الشمالية الا ثلاثة أشهر . وكنت أنا لا أزال معتقدا بصحة مذهبي فيما يختص بتسيير الحرب فعدت إلى مركز قيادتى معللا نفسى بالنجاح مع أيزنهاور ، وعلى كل حال فاننى كنت حتى ذلك الوقت فى انجلترا منذ سنتين ، فلا بد لى بعدئذ من تغيير الهواء .

فى صباح الغد ، الساعة ٧ كنت أحلق اذ اتصل المكتب الحربى بى تليفونياً ليخبرنى أن الاوامر التى بلغتها فى الأمس عما يختص بانزال الجيوش فى افريقيا أصبحت ملغية ، واننى عينت الآن لأذهب حالا إلى مصر حيث أستلم قيادة الجيش الثامن فى الصحراء . فان الكسندر كان فى مصر وسأكون تحت سلطته ، وقيل لى فى أواخر ذلك الصباح إن جوت كان قد عين لقيادة الجيش الثامن إلا أنه قتل تفينت لأحل محله وهكذا فبدلا من أن أحقق عملية انزال جيش فى أفريقيا الشمالية تحت سلطة قائد أعلى لا أعرفه ، صرت لأخدم تحت أوامر قائد أعلى أعرفه معرفة تامة ، ولا تسلم قيادة جيش لمقاتلة رومل نفسه ، رومل قائد الجيوش الالمانية ـ الايطالية والذى كنت قد سمعت عنه كل الخير .

والحق هو أننى لم أحارب قط فى الصحراء ، وسيكون تحت سلطتى قواد خبيرون بالحرب فى الصحراء وأن رومل كان قد هزمهم جميعاً . علاوة

عن أنني كنت مسروراً بنوع خاص من أن الكسندر كان رئيسي الأعلى وكنت على يقين من أننا سنعيش على وئام تام .

فى كتاب « مفترق القدر » يكتب ونستون تشرشل (مجلد ٢ ، فصل ٣) ما يلى فيما يختص بمغادرتى انجلترا :

« انطلق مونتجمرى إلى المطار بصحبة « إسمى » الذى استطاع هكذا مدة ساعة أن يطلعه على أسباب التغيير الذى حدث فى المناصب وهناك قصة — لم تؤكد صحتها ، للأسف — وردت عن ذلك الحديث الذى دار بين « اسمى » مونتجمرى . فإن مونتجمرى كان يتكلم عن مهمات حياة الجندى وظروفها القاهرة . هو ذا رجل يقف حياته لفنه ويقضى سنوات طويلة فى الدرس والحرمان ، وها هو الحظ يحالفه والنجاح يظهر له ، فيتقدم فى الرتبة ويتسلم قيادة مهمة ، ثم ينتصر ويحرز شهرة عالمية ويصبح اسمه على كل لسان . وما هو الا والدهر ينقلب عليه وفى لحظة تقوض حياته كلها إلى اركانها ، ولربما لم يكن هو المذنب فى ذلك ويصير اسمه فى لائحة الهزائم العسكرية التى لا نهاية لها . فيقول « اسمى » : لكن لا يمكنك أن تنظر هذه النظرة . فان جيشاً قوياً ينظم فى الشرق الأوسط ومن المحتمل جداً ألا تكون ذاهبا إلى كارثة . فيهتف مونتجمرى وينتفض فى السيارة : « ماذا تقول ؟ كنت أعنى رومل » » .

للأسف لم يؤكد من صحة القصة . فما كنت اجتمعت « باسمى » منذ أسابيع عندما غادرت انجلترا لافريقيا ، ولم يصحبنى إلى المطار .

غادرت انجلترا عن طريق الجو فى ليلة ١٠ أغسطس ووصلت إلى

« جبل الطور » نهار الغد عند الفجر . فقضينا فى جبل الطور النهار كله وواصلنا سفرتنا إلى القاهرة فى مساء ١١ أغسطس .

وأثناء السفر فكرت فى المشاكل التى ستعرض لى ، وخططت لنفسى صورة إجمالية عن الطريقة التى سوف اتخذها لحل تلك المشاكل.

مذهبي فى ممارسة القيادة

غادرت انجلترا لممارسة قيادة عليا فى الحرب ، وكان ذلك لى كامتحان لعملى مدة سنوات طوال واختبار ضخم جمعته . إلا أننى لم أعرض بعد لمبادئى العامة فى ممارسة القيادة ، وهى مبادىء تبلورت شيئا فشيئا فى فكرى على مر السنين وأخذت أصارح بها منذ ١٩٣٤ ، إذ كنت رئيس مدربين فى مدرسة الأركان فى قطا (باكستان) . وأعتقد اعتقاداً متينا أن مبادئى تلك فى ممارسة القيادة والزعامة كانت من أهم عوامل النجاح على ما ظهر فيما بعد .

غير أن تلك الامكانية لا تكفى . فالزعيم يجب أن يصارح مأموريه بالحقيقة وإذا لم يفعل فإنهم يستشعرون فوراً فتخف ثقتهم فيه . لم أقل دائما كل الحقيقة لجنودى لأن السر الذى يجب أن يحيط العمليات الحربية كان يقتضى على ذلك . إلا أننى أطلعتهم دائما على ما كان يجب أن يعرفوه ليقوموا بعملهم على الوجه الأتم . وكل ما كنت أصارحهم به كان الحق بعينه . وهم يعلمون ذلك فيتولد من هـــذا كله ثقة متبادلة عميقة .

فسألة التقرير مسألة حيوية إذ أن ميل العصر أن يتجنب الناس تقرير شيء وأن يماطلوا بذلك التقرير أملا بأن تصطلح الأمور من تلقاء نفسها . فسياسة الزعيم العسكرى الوحيد هى العزم فى العمل ، ورباطة الجأش فى الأزمة : وليس ذلك مذهبا سيئا فيما يخص الزعيم السياسى .

ومن اللازم على الزعيم أن يعرف ما يريد ويتبين هدفه بوضوح فلا يألو جهداً بعدئذ إلا ويدركه ، ويجب أن يجعل كل مأمور من مأموريه على تلك الحالة المطلوبة منه فتكون توجيهاته واضحة وأوامره سديدة قوية . وبذلك يخلق ما استطيع أن أسميه جواً فيه يحيا مأموروه وفيه يعملون

عرفت قادة يرون أن بعد تصميم الخطة واعطاء الأوامر لاحاجة لهم فى أن يشتركوا فى التطبيق إلا بأن يؤثروا على المعركة عن سبيل قواهم الاحتياطية . وهذا خطأ كبير لأن المعركة فى عصرنا هذا قد لا تسير على مايرام . فالنجاح معلق هنا بالسيطرة القوية التى يحرزها القائد على آلته العسكرية . . والسيطرة هذه لا تعنى التدخل أو الازعاج فى عمل المأمور المباشر ، إذ أن المعركة تكسب بذلك العمل إلا أن الحزم ضرورى حتى لا يدك فى أساس الخطة الابتدائية عن سبيل الآراء الشخصية التى قد يحاول المأمورون تحقيقها أثناء المعركة . فمن الواجب أن تتطور العمليات الحربية بحسب خطة عمل مصممة من قبل وإلا يلجأ الكل إلى حل اتفاق بين التصورات الفردية الشخصية على كيفية تسيير العمليات الحربية ، أو تسير تلك العمليات تبعاً للظروف التى تتولد من عمل المأمورين وبصورة لا تتفق والخطة الابتدائية .

وهناك افتراض ثالث وهو أن تصبح المباشرة بالعمل فى يد العدو نفسه فتتكيف العمليات الحربية بحسب ما يشأ هو . وحينئذ فن اللازم ألا يكون التصميم الابتدائى من الصلابة فى درجة لا تسمح للقائد الأعلى أن يعدل فيه حتى يتناسب والظروف الاستراتيجية الجديدة . ولكن أحداً غيره لا يسمح له بالتعديل كما يشاء ، وخاصة العدو .

ومن الجوهرى أن يحدد المكان الذى تقام فيه الاجتماعات بعد الدخول فى العمليات الحربية . فان القائد ، فى اثناء مباحثاته مع قوات وحداته المحاربة . يجب أن يعرف ماذا يريد وما يمكن أن يحقق من عمل . إذا اقتضت الظروف اجتماعا بهم ، فلا يستدعيهم إليه أبداً بل يذهب هو بنفسه اليهم ولا يجمعهم للاطلاع على آرائهم فهذا دلالة على ضعف عنده فمن الخطأ أن تعتقد أنه يكفيك أن تعطى أوامرك ، بل يجب أن تتأكد من أن تلك الأوامر تطبق بحسب الروح التى كانت تنفحها عندما امليتها .

ثم إن القائد الأعلى بعد تصميمه لخطته وللشكل الذى يريد أن يطبق تلك الخطة عليه ، يجب أن يكتب بنفسه الأوامر الأولية والتوجيهات المتعلقة بالعمليات الحربية ، فلا يسمح لاركانه بأن تحل محله . فإن أركانه ومأموريه يتصرفون حينئذ إلى عمل يختص بالتفاصيل ومستند إلى أوامر القائد الأعلى المكتوبة . وبذلك يزول هامش الأخطاء أو يكاد .

هكذا كانت خطتى يوم تسلمت قيادة فرقة

فى الحرب يجب أن يكون الجيش صلبا مثل الفولاذ وتستطيع أن تجعله كذلك بالتمرين والتدريب إلا أن الجيش على خلاف الفولاذ حساس وجد حساس لأن مادته الأساسية هو الانسان ، فإذا كان اتصالك بالعامل الانسانى بارداً لاروح فيه ، لن تحصل على شيء ، وإذا أحرزت على ثقة رجالك ورأو أن مصلحتهم فى مأمن بين يديك فحينئذ يمكنك أن تحقق معهم وبواسطتهم كل ما شئت من أمان فروح الجندى هو العامل الأهم فى الحرب ، وخير وسيلة إلى أن تكون تلك الروح عالية هى النجاح فى المعركة . فالقائد الصالح هو الذى يربح المعارك بقليل من الخسارات ، ولكن ستبقى الروح عالية حتى مع الخسارات الفادحة بشرط أن تربح المعركة ويعرف الجنود أن الأرواح الإنسانية لم تنفق سدى وأن الجرحى محاطون بالعناية التامة وأن الموتى قد جمعت جثثهم ووريت باحترام تحت التراب .

ومن الجوهرى أن تفهم أن طبائع الرجال تختلف بعضها عن بعض فعمال المعادن فى درهام ونيوكاستل ، ورجال الميدلندز والكوكنى (سكان لندن) وريفيو الغرب ، والاسكتلند والولش يختلفون بعضهم عن بعض . ثم إن هناك جنوداً يفضلون القتال فى النهار وغيرهم فى الليل ؛ وبعضهم يصلحون للمعارك المتنقلة القائمة على الحركة فى حين أن غيرهم يرتاحون إلى المعركة المتجمدة المحصورة فى حقل محدود . ولذا فإن الأفواج تختلف بعضها عن بعض : فلكل فوج ميزته الفردية الخاصة ، يجب على القائد الأعلى درسها فيتبين بذلك نوع القتال الذى

يناسب ذلك الفوج . وهكذا القول عن القواد : فهم يختلفون بعضهم عن بعض. فنهم من يصلح للحرب القائم على الحركة والتنقل ، ومنهم للحرب فى جبهة معينة محدودة .

كنت ، فيما يخصنى ، اطبق هذه المبادىء فى أعمالى كلها ونتيجة ذلك هى أن المعركة التى أدخلها كانت نصف رابحة منذ ابتدائها لأن العدو ، فيما بينت ، لم يكن متقيداً بالمذهب الذى كان مذهبي والذى عرضت له . كنت أقوم أنا بنفسى بتعيين قواد وحداتى الحربية حتى قائدالفرقة والكتيبة ، وكان ذلك يتطلب منى عناء شديداً فأصرف إليه ثلث وقتى . على نحو التقريب أدرس أثناءها مقدرة ضباطى الفنية وعندما يعين الضابط لوظيفته الجديدة كنت أسعى فى أن يجد معاونين له ينصحونه فى القيام بمهماته الجديدة وأنا على يقين مما يخالف رأى بعضهم وهو أن الضابط عندما يعلو فى المرتبة ليس بحاجة إلى تعلم ما يترتب عليه فى منصبه الجديد .

ثم إن لبعضهم حداً أعلى ، لا يستطيعون أن يجاوزوه ؟ فان قائد فرقة ممتاز قد لا يصلح لأن يكون قائد كتيبة وهكذا هكذا حتى الوصول إلى القيادة العليا . فإن الحكم على ماهو الرجل فى سلسلة الرتب العليا هو من المشاكل الأشد صعوبة التى تعرض للقائد الأعلى وكان يستهلك جانباً غير يسير من وقتى . والمشكلة نفسها هى قائمة فى الحياة المدنية .

لا شك فى أن القائد يجب أن يتحلى بصفات كثيرة مثل الإقدام والصبر والشجاعة من شأنها أن تنفح الثقة فى الجنود ، ولكن الصفة

التي يحتاج إليها فوق كل شيء هي تلك الشجاعة الأدبية وذلك الحزم ، ورباطة الجأش عندما تصبح العاقبة في حال اضطراب لا يقين منها . فإن العامل الأقوى في نجاح قائد أعلى هو رباطة الجأش وإشعاعه ، وإيصاله إلى رجاله عندما يكون ذلك القائد ، في داخل أمره على غير ثقة تامة من عاقبة معركته . ولذا فإن القائد الأعلى يجب أن يكون مطلعاً اطلاعاً تاماً على رجاله حتى يضع كلا منهم في المكان اللائق به . ثم إنه من الواجب عليك أن تراقب قلبك أنت عن كثب فإن القتال معركة بين عزيمتين ، عزيمتك وعزيمة خصمك قائد جيش العدو ، فإذا اضطرب قلبك عندما ترى العاقبة على غير ماتتمنى ، فالمحتمل أن المنتصر هو خصمك .

هذا وأنه من الضروري ألا يوزع انتباهه على التفاصيل فيصرفه عن الأمور الجوهرية . فقد يحدث له أن يضطر إلى تعديل شيء في خطته الابتدائية ، ولن يستطيع ما لم يبق متقيداً بالأمر الأساسي الجوهري فلايزال حينئذ ذلك الصخر الصلب الذي إليه تستطيع الأركان أن تستند . فليدع التفاصيل للأركان وإلا فلايمكنه أن يجد الوقت اللازم للتفكير في جو من الهدوء بتصميم معركة صحيح ، رفيع المستوى ، وأن يوجه فعلا عمليات حربية على مقياس واسع .

ثم إن خطة العمليات الحربية يجب أن يصممها القائد الأعلى بنفسه ، فلاتفرضها عليه أركانه ولا الظروف ولاالعدو خاصة . والقائد الأعلى هنا يجب أن يوافق بين ماهو مرغوب من الناحية الاستراتيجية وما هو ممكن من الناحية التطبيقية نظراً إلى القوى التي تكون تحت

تصرفه . وإذا لم يفعل فالأمل ضعيف فى نجاحه : فالأمر كل الأمر فى أن يميز بين ماهو ممكن مع قليل من الحظ وبين ماهو مستحيل .

وبعد تصميم الخطة . هناك تفاصيل عديدة يجب أن يدقق النظر فيها قبل الدخول فى العملية الحربية . فالعمل هذا راجع إلى الأركان . إلا أن القائد الأعلى يحرص على أن كتلة التفاصيل التى تشغل بحكم الضرورة انتباه الأركان لا تزعزع أسس وحدود الخطة الأساسية . ولذا فلابد من رئيس أركان يقظ متنبه . فلنصف جيل مضى ، كان القائد يستطيع أن يوافق بنفسه فيما بين أعمال أركانه . أما اليوم فلا يمكنه الأمر ويجب ألا يحاول أن يفعل .

على القائد الأعلى أن يقرر، قبل المعركة ، كيف يريدها أن تتطور. ولذا فمن الواجب أن يتخذ التدابير اللازمة ويوازن فيما بينها حتى يتمكن من أن يستفيد من حركات العدو بدون أن يضطر إلى أن يقاوم برد فعل منه ، ويفعل ذلك وهو يطبق خطته بدون هوادة . « فالتوازن » من الطوابع الخاصة بعقيدتى العسكرية ؛ وهناك أيضاً « التأليف » أعنى بذلك تعيين المهمة الخاصة بكل فرع مفروض فيه أن يدخل المعركة . فالمهارة فى التأليف قبل المعركة والتجديد فى التأليف عند حدوث تغيير فى الموقف القتالى ، هما عمادا فن القيادة .

وقبل الشروع بالعملية الحربية يجب أن تنفخ روح الحماسة فى صدور الجنود ، فيقبلون إلى القتال على تفاؤل تام يشمل الأفراد جميعهم . فيخرج الرجال إلى المعركة ولا وكد لهم إلا إتلاف العدو إتلافاً تاماً .

والخطبة فى ذلك الظرف تفعل مالا تفعل الأوامر والتعليمات المكتوبة . أثناء القتال يجب أن يتم تسيير العمليات عن سبيل مباشر شخصى ، بواسطة زيارات إلى مراكز القيادات المختلفة حيث تعطى الأوامر شفهياً . فالقائد الأعلى يجب أن يمرن قواد وحداته وأركانه على الشغل والعمل بمقتضى أوامر شفهية واضحة ووجيزة . ومن يبدو عاجزاً عن ذلك فيعزل . فإن الأوراق الإدارية تضاخم عددها فى الجيش ، وإن أحداً عند قراءتها ، لا يفهم حتى نصف ماتتضمن . لاشك فى أن القائد الأعلى يجب أن يعرف كيف يعطى أوامره شفهياً لمأموريه فإن بعضهم يكتفون بتوجيـــه عام والبعض الآخر يحتاجون إلى زيادة فى التفاصيل فبوجه عام يجب أن تتولد وتتطور ثقة متبادلة بين القائد الأعلى ومأموريه من هذه الناحية . ولتأمين ذلك لابد من إنشاء مجموعة من الضباط يؤمنون المواصلات بين القائد ووحداته : فإنهم يؤدون مساعدة ثمينة اختبرتها منذ أن طبقت الخطة تلك إذ عينت قائداً للواء مشاة .

وقصارى الكلام لاأظن أن قائداً أعلى اليوم يمكنه أن يهب بجيوش ضخمة ، حتى وبوحدات بسيطة، حتى وبأفراد فيقودهم إلى النصر، ما لم يكن عنده الإيمان . فمن الواجب عليه أن ينفحه فى جنوده ويسوقهم بتلك الروح . من الواجب عليه ألا يزال متأكداً أن الهدف الذى يسعون إليه ، بعد عرضه عليهم بوضوح وجلاء ، هو حقـاً الهدف الصحيح . وإذا لم يفعل فلاأمل له بنجاح مستمر .

هذا شرح وجيز لموضوع ضخم. وأنني أرى أنه بالأحرى عقائدى.

لقد حاولت أن أعرض بصورة وجيزة أن ألخص ما أظن أنه جوهر الموضوع ولربما كان ذلك كافياً لتمكين القارىء من أن يزداد فهماً لما كان يدور فى خلدى ، لما وصلت إلى القاهرة فى صباح ١٢ أغسطس ١٩٤٢ .



الفصل السادس

عندما غادرت انجلترا لمصر ، حملت معى عقيدتى العسكرية التى عرضت لها فى خطوطها العامة . ولكن كيف أطبقتها ؟

أن توپوغرافية إفريقيا الشمالية تختلف عن التوپوغرافية التى ألفتها فيما سبق .

لا شك فى أن ذلك يجب أن يطبق فى المستوى الأدنى وأنه يجب إقامة علاقات بين التوپوغرافية وتسيير العمليات الحربية فى الوقت الذى نحن فيه .

كنت عارفاً أن الهدف كان طرابلس ، أكبر مرفأ غربى الاسكندرية وبين هاتين المدينتين عدة مرافىء صغيرة مثل طبرق ، بنغازى وغيرهما فبين العلمين وطرابلس صحراء قاحلة . ولكن كنت أتبين ثلاث نقاط مهمة :

١ — الطريق الوحيدة المرصوفة ، التى تسير مع الشاطىء حتى طرابلس . ولا شك أن تلك الطريق هى الوحيدة لتأمين الزاد بين المرفأ والآخر . ولكنه ممكن أن تكون أيضاً الطريق الرئيسية لتنقلات الجيش .

٢ – الجبل الأخضر ، وهى كناية عن سلسلة تلال تمتد بين طبروق وبنغازى .

ومما قرأت وسمعت ، أن قوى رومل كانت مؤلفة من وحدات قرارية تبقى مكانها ولا تغادره فتشغل محلات دفاعية ومناطق حيوية ، ومن وحدات تنقلية للهجومات المعاكسة . فالوحدات القرارية من الإيطاليين خاصة ، فما لديها مصفحات ، والوحدات التنقلية من الألمان وأعظمها عندها مصفحات فنخبة الجيش ، جيش البنزير كانت مؤلفة من الأفواج المصفحة الخامس عشر ، والحادى والعشرين والتسعين الخفيف .

فالنتيجة إذن هى أن يكون فى الجيش الثامن عندنا جيش البنزر ، أعنى فرعاً مصفحاً على خير حالة من حيث الجهاز والتمرين ويستخدم ذلك الفرع للجهومات . فإن عدم توفيره للجيش الثامن كان العامل الأول فى هزيماته الشتى ورأيت أن هدفى الأول أن أوفره له فى أقرب وقت .

ثم هناك مسألة الروح . ففيما علمت أن تلك الروح لم تكن عالية وأن الجيش لا ثقة له بالقيادة العليا . فهذا أمر لا بد من تدبيره وفى أسرع وقت إلا أننى ما كنت لأستطيع أن أقرر شيئاً من هذه الناحية قبل الاطلاع بذاتى على كيف كانت الأمور تبدو وتظهر .

فهذه الأفكار وغيرها كثيرة كانت تدور فى خلدى أثناء السفر ، وعندما نزلت مصر كانت المشكلة قدأصبحت تتوضح فىعقلى وأصبحت

على يقين من أن الحل سيظهر لى حالما أتمكن من التعمق فى تلك المشكلة .

لم أكن مستعجلا فى أن أجتمع بأوشنلاك . كنت قد سمعت أشياء عن أسلوبه فى ممارسة القيادة فعرفت أننى لن أكون سعيداً معه. وما كنت أراه مصيباً فى انتخاب رجاله أيضاً : فالعارف بالرجال مثلا لا يأخذ أبداً الجنرال كوربيت كرئيس أركان حرب فى الشرق الأوسط وفكرة أوشينلاك فى تعيين كوربيت كقائد للجيش الثامن ما كان العقل ليستسيغها .

ثم أنه كان أوشنلاك قد عين ريتشى على رأس الجيش الثامن وليس ذلك يدل على وعى عنده . فان ريتشى ما كان فيه المقدرة الفنية اللازمة حينذاك ولم تستقر له إلا فيما بعد فى الحرب التى جرت فى شمال شرق أوروبا

فى ٥ أغسطس ١٩٤٢ قام تشرشل بزيارة إلى الجنرال أوشنلاك فى مركز قيادة الجيش الثامن فى الصحراء . وكان تشرشل حينذاك مسافراً إلى موسكو ، وأوشنلاك القائد المباشر للجيش الثامن بعد أن عزل ريتشى والقائد الأعلى للقوى البريطانية فى الشرق الأوسط فى الآن نفسه . وكان يصحب رئيس الوزراء بروك رئيس الأركان الحربية الامبراطورية . فألقوا نظرة على الحالة العامة ولاحظوا على أوشنلاك أنه لا يمكنه أن يقوم بالمهمتين معاً ، أى أن يكون القائد الأعلى للقوى البريطانية فى الشرق الأوسط والقائد المباشر للجيش الثامن فى الآن نفسه . وعليه فرجوعه إلى القاهرة أمر لا بد منه ،

ويعين بعد ذلك من يحل محله على رأس الجيش الثامن . فوافق أوشنلاك مع بروك على أن أجيء إلى مصر لتسلم قيا ة الجيش الثامن . إلا أن الفلد - مارشال سموتس كان يحبذ تعيين جوت الذى اشتهر فى الصحراء ويسنده الرأى العام فى الشرق الأوسط . فى ٦ أغسطس أبرق رئيس الوزراء إلى المكتب الحربى يطلعه على التغييرات التى كان من رأيه أن يحدثها وهى فصل بلاد فارس والعراق عن قيادة الشرق الأوسط وتبديل أوشنلاك بالكسندر وتعيين جوث على رأس الجيش الثامن . غير أن جوث سقط بطائرته وقتل فى ٧ أغسطس ؛ وفى نهار الغد عينت لا حل محله . وفى النهار نفسه جاء قائد اللواء جاكوب حاملا إلى الجنرال أوشنلاك فى مركز قيادة الجيش الثامن فى الصحراء تعليمات رئيس الوزارة على أنه قد عزل عن منصبه . فى ٩ أغسطس وصل الكسندر إلى القاهرة واجتمع باوشنلاك الذى كان قد غادر الصحراء بعد تسليمه الجيش الثامن للجنرال رمسدن قائد الفرع الثلاثين . أما أنا فاننى اليوم على يقين من أن تعيين جوث على رأس الجيش الثامن كان خطأ . لم أجتمع به قط ، وكان جندياً ممتازاً أبلى البلاء الحسن فى الصحراء ، إلا أنه كان قد أعياه التعب وأصبح فى حاجة إلى الاستراحة . وأقول ذلك استناداً إلى البيانات التى اطلعت عليها .

وصلت إلى مطار القاهرة فى ١٢ (أغسطس) باكراً ، وانجهت فوراً إلى المناهوز اوتيل فاستحممت وتروقت ثم مضيت بعدئذ إلى مركز القيادة للشرق الأوسط فى القاهرة . كنت هناك فى نحو الساعة العاشرة وادخلت فوراً عند أوشنلاك . وكان الطقس حاراً ولا تزال

على ملابسى الرسمية فى انجلترا فأرسلت الضابط الملحق بى ليبتاع لى ثياباً تصلح للصحراء .

وأخذنى أوشنلاك إلى حجرة الخرائط ثم سألنى : هل كنت عالماً بأنه سيغادر مصر . فأجبته نعم . فعرض لى حينئذ خطته الحربية ، وأساسها أن الجيش الثامن يجب أن يحافظ عليه مهما كلف الأمر فلا يعرض إلى أن يتلف فى القتال . فإذ هجم رومل ـ وكان ذلك منتظراً ـ يجب أن ينسحب الجيش الثامن إلى الدلتا وإن لم يتيسر الاستقرار فى الدلتا والقاهرة ، فيواصل الانسحاب نحو الجنوب على نهر النيل أو نحو فلسطين . وكانت الخطط قد أعدت لنقل مركز قيادة الجيش الثامن نحو النيل .

كنت أصغى مندهشا وحاولت مرتين أن ألقى سؤالا فاستشعرت انزعاجا من أوشنلاك فلزمت الصمت . ثم قال لى إنه من الواجب على أن أمضى نهار الغد إلى الصحراء وأقضى يومين فى مركز قيادة الجيش الثامن لأطلع على الحالة الراهنة . وأضاف أنه لا يزال قائد الجيش الثامن وإنه كلف رمسدن أن يقوم مقامه ، ولن استلم قيادة ذلك الجيش إلا فى ١٥ (أغسطس) وهو اليوم الذى فيه يسلم قيادته فى الشرق الأوسط إلى الكسندر . وكانت رغبته فى أن يتم التسليمان فى يوم واحد . فإذا ما حدث هجوم من العدو ، فسيذهب هو بنفسه إلى مركز قيادة الجيش الثامن ويسترجع سلطته من رمسدن . كنت مستغربا كل ذلك وانسحبت حالما تمكنت من الانسحاب بأدب .

فمضيت أبحث عن الكسندر وما لبثت أن وجدته فى مركز القيادة

هادئاً ، واثقاً ، بشوشاً كما هو دائماً . فكم كنت سعيداً أن أخدم تحت أوامره : كنا مختلفين فى طبائعنا إلا أننى كنت أحبه وأحترمه كرجل . فعرضت له فكرتى عن الجيش الثامن وإننى أريد أن أوجد له فرعاً احتياطياً مجهزاً بالمصفحات . فوافق مبدئياً ليس أكثر لأنه ما كان قد أصبح بعد القائد الأعلى ، وكان من الواضح أنه لا يمكن مناقشة الموضوع مع أوشنلاك أو رئيس أركانه وهما راحلان معاً .
فقصدت رئيس الأركان المساعد ، الماجور — جنرال (اليوم فلدر مارشال) ســـير جوهن هاردينج كان طالباً فى مدرسة الأركان فى كمبرلى وأنا أدرب فيها وكنت أقدر مؤهلاته الفنية تقديراً عظيماً . فقلت له سبب وجودى فى القاهرة مع الكسندر وهو جاهل لذلك السبب ثم عرضت خطتى وطلبت إليه إن كان يستطيع أن يؤلف الفرع الذى يريده* من المقطات المنتشرة فى مصر . فإن ٣٠٠ مصفحة شيرمان كانت منتظرة فى السويس فى ٣ (سبتمبر) آتية من أمريكا ، وهى تكفى لتجهيز الأفواج المصفحة . ووعد خيراً واتفقنا على أن نعود ونجتمع فى اليوم نفسه فى الساعة ٦ مساء ويكون الكسندر معنا .

وكنت قد دعيت إلى أن أقضى الليلة فى المفوضية البريطانية فى القاهرة فدبرت أمرى بحيث اجتمع بقائد اللواء فى أركان الجيش الثامن فى نهاية الغد الساعة ٩ عند مفترق طرق الاسكندرية ، ليذهب بى إلى مركز قيادة الجيش الثامن .

فى الساعة السادسة مساء رجعت مع الكسندر إلى مركز القيادة

الأعلى للاجتماع بهاردينج ، فابلغنا أنه يمكنه أن يجمع الفرع المطلوب ، فيكون الفرع العاشر ويؤلف من :

الفوج الأول المصفح	}	يحتوى كل فوج منهم على : لواء مصفح ولواء مشاة من الوحـــدات الفوجية .
الفوج الثانى المصفح		
الفوج العاشر المصفح		

الفوج النيو ـــ زلندى : مشاة ولواء مصفح .

كان على أمر آخر اسعى إليه وهو البحث عن مساعد حربى ثان . كنت قد اصطحبت من انجلترا بالكابتان سبونر من كتيبة نورفولك الملكية إلا أننا كنا لا عهد لنا بالصحراء لا أنا ولا هو ، فبلغنى أن جوث كان قد اتخذ ضابطاً شاباً من لواء الفوارس الحادى عشر ولم يكن فى الطائرة التى كانت تقل جوث عندما قتل وهو الآن فى القاهرة فبدا لى أنه سيكون الرجل الذى أريد . كان يدعى جوهن پوستون فعرضت عليه رغبتى وما كان يعرفنى وكان يعتبر جوث بطلا مثل غيره من الضباط الشباب . إلا إنه لم يلبث أن أجابنى بالإيجاب .

وكان اخيارى له من حسن حظى فعشنا معاً وقطعنا الطريق فى ما بين العلمين والألب وقاتلنا فى ١٠ بلدان مختلفة . كنت أحبه حباً جماً . قتل فى ألمانيا أثناء آخر أسبوع من الحرب .

فى ١٣ (أغسطس) ، الساعة ٥ صباحاً اقلتنى السيارة من السفارة البريطانية متجهة بى نحو الصحراء .

كان الرئيس المساعد فى اركان الجيش الثامن قائد اللواء الجنرال (الآن ماجور – جنرال) سر فرنسيس ده غنغان وكنا صديقين حميمين جمعتنا الظروف غير مرة فى يورك أولا حيث كنت ماجور وهو ملازم أول ، ثم فى مصر ١٩٣٢ و ١٩٣٣ ثم فى قطا (الباكستان) ١٩٣٥ ، وفى سنة ١٩٣٩ إذ كان سكرتير هور – بليشا . كنت أرى فيه ضابطاً ممتازاً ذا مستقبل باهر . وجدته ضعيفا هزيلا ، متشائماً . فحاولت أن أكون معه صديقاً أول الأمر حتى أعيد إليه الاطمئنان والأمل ثم طلبت إليه أن يطلعنى على الحالة .

فأخرج بياناً خطياً كان قد أعده لى فذكرته إننى أفضل دائماً البيانات الشفهية . فذكر لى كل القصة مع التفاصيل عن العدو وعن الأوامر الصادرة عن أوشنلاك وصارحنى بآرائه الشخصية فى الموضوع فتركته يحكى . ثم سألته عن روح الضباط والجنود ، فقال إنها ليست جيدة فدخل فى حديث من الأخطاء التى ارتكبت وعما كان ينتظر من القيادة ، ولم أذهب معه بعيداً فى ذلك إذ أحسست بأنه يحاول الإخلاص لرئيسه الأول .

وهكذا قبل وصولنا إلى مركز القيادة كنت قد قررت أن أعين ده جنغان رئيساً لأركانى وأطلق له السلطة التامة فنتآزر ونحرز النجاح معاً . إلا أننى لم أبح بالأمر له فوراً بل فكرت أنه من الخير أن أصرح بفكرتى أمام جميع ضباط الأركان حتى يميز بذلك موقف ده جنغان ويظهر جلياً الفرق الناتج عن هذا التعيين فيما بين الظروف السابقة لعهدى وتلك التى سيقضيها الجيش الثامن معى .

وما قط ندمت على ما عزمت وقررت . أن جنغان صحبنى مدة الحرب كلها وقطعنا جنباً إلى جنب الطريق فيما بين العلمين وبرلين ، وكنت ازداد له تقديراً وبه اعجاباً على ممر الزمن . فلقد كان رئيس أركان ممتازاً وانى لاشك فى أن يكون قد وجد قبله أو أن يوجد بعده رئيس أركان من طرازه فى الجيش البريطانى .

وفيما كانت السيارة تسير بنا انتهى بى الأمر إلى اليقين من أنه أصبح الآن بين يدى عاملان مهمان من عوامل النجاح : فورائى الكسندر رئيسى وصديقى يسندنى ويلبى كل طلب منى ما دام ذلك الطالب معقولا وما دام عملى مكللا بالنجاح ؛ وإلى جانبى هذا جنغان رئيس أركانى الأمين . والذى بقيت فى حاجة إليه الآن هو أن أؤمن لى قادة وحدات عندهم قدرة فنية ويوثق منهم الثقة التامة .

استقبلنى هناك القائد الحالى للجيش الثامن الجنرال رمسدن . كنت أعرفه منذ كان قائداً لكتيبة همبشير فى فوجى الثامن فى فلسطين سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ ، كان آنذاك قائد فرقة ممتازاً لم اجتمع به قط من بعد . اطلعنى على الحالة . فسألته عن توضيحات ضرورية فيما إذا حدث اضطرار للانسحاب فلم يجبنى كما كنت اتمنى وبدا لى بجلاء أن الموقف لا يستسغيه العقل بل هو خطر فقررت أن أباشر العمل حالا.

كانت الأوامر ألا تسلم قيادة الجيش الثامن قبل ١٥ أغسطس وكنا حينئذ فى ١٣ منه ورأيت أنه لا نفع فى مراجعة مركز القيادة الأعلى وأنه من اللازم على أن اتخذ المسؤولية التامة حالا وبنفسى . فأمرت الجنرال رمسدن بالرجوع فوراً إلى فرعه فبدا عليه الاندهاش

لأنه كان لا يزال فى الواقع القائد الأعلى للجيش الثامن إلا أنه رضخ لأوامرى ثم أبرقت إلى مركز القيادة الأعلى انى اتخذت بنفسى قيادة الجيش الثامن فى ذلك النهار ذاته ، ١٣ أغسطس منذ الساعة ٢ بعد الظهر . كان ذلك تمرداً منى ، ولكن ما كنت لأستطيع أن اتراجع فى موقفى . ثم انى ألغيت كل الأوامر السابقة فيما يختص بالانسحاب ، وقلت أنه لن يكون انسحاب بل نقاتل فى المكان الذى نحن فيه حتى نقتل جميعاً أو ننال الفوز .

واكتفيت بذلك حينذاك ريثما يتسع اطلاعى والتقى ببعض قواد الوحدات . ثم قررت بأن أغادر مركز القيادة بسرعة فى حال إذا ماحصل رد فعل قد يصدر عن مركز القيادة العليا من وراء اتخاذى المفاجئ لقيادة الجيش الثامن . إلا انى قبل ارتحالى طلبت من ده جنغان أن يجمع الأركان كلها الساعة السادسة مساء لكلمة أريد أن ألقيها . كنت قد اجتمعت برمسدن قائد الفرع الثلاثين فى الجانب الشمالى ، اتجهت إلى مركز قيادة الفرع الثالث عشر على الجانب الجنوبى لاجتمع بالجنرال فرايبرج : فدار بيننا حديث طويل وهكذا الأمر مع مرسهاد قائد الفوج التاسع الاسترالى . كانا اثناهما جنديين ممتازين ولا أقول ذلك فقط لأنهما وافقا على خطتى من صميم القلب .

رجعت متأخراً إلى مركز قيادة الجيش حيث وجدت الأركان . كان ده جنغان قـــد جمعهم قرب الخيمة الخشبية التى كانت مكتبى وكانت الساعة السادسة والنصف مساء .

عرفتهم بنفسى وقلت لهم أن أوامر أخرى ستتبع تلك التى تلقوها

فإن الأمر « بعدم الانسحاب » يقتضى تغييراً تاماً فى الخطة الاستراتيجية وبما أنه كان من الواجب علينا أن نقاتل حيث كنا ولا ننسحب فلا بد من أن نمتد إلى مسافة بعيدة فى الوراء . فترسل أدوات النقل إلى الوراء وأما ذخائر الأسلحة والماء والحصص تجمع فى الأمام على الجبهة .

وقلت أن الامر « بعدم الإنسحاب » يقتضى تقوية الجيش الثامن ولذلك فإن القوى الجديدة الواصلة من إنجلترا وقدرها فوحان، ستنقل إلى الصحراء هنا بدلا من أن تبقى فى الدلتا لحفر الخنادق . ثم إننى سأجمع كل الوحدات المفرقة فى مصر وأؤلف فرعاً جديداً هو الفرع العاشر الذى سيكون مصفحاً تصفحاً شديداً . فلا يكون ذلك الفرع ليحارب مستقراً فى مكان واحد ، بل يعمل فى جيشنا عمل الفرع الافريقى فى جيش رومل . ولقد بوشر بتشكيل ذلك الفوج أما خطة مقاتلة العدو بكتل موزعة ووحدات منتشرة فى الصحراء فستبطل وتلغى . ومنذ الآن ستحارب الافواج مجتمعة بعضها على بعض . كل فوج باقياً فى كامله .

ثم قلت إننى لا أحب الجو الذى وجدته فى مركز قيادة الجيش الثامن فالروح لا تكون نشطة فى مكان حزين كهذا وفى ما نحن عليه من الضيق والانزعاج فى العيش . فلا بد من أن يكون مركز قيادتنا قرب البحر . فنشتغل بقوة وعنف ثم نستحم ونجدد بذلك قوانا .

ان أوامر الكسندر بسيطة جداً : يجب أن تتلف رومل وجيشه . ولقد سمعت أن رومل سيهاجمنا عن قريب : فإذا ما أسرع فى هجومه

فنحن فى خطر ، وإذا ما تأخر أسبوعاً فنكون قد أعددنا مقاومة لا بأس بها . أما إذا تباطأ أسبوعين فسيلق حتفه وسيأتى حينئذ دورنا ولكننى لن أهاجم قبل أن نصبح على جانت قوى من الاستعداد وحينذاك نطرد روميل من أفريقيا .

ولاشك فى أنه ، حتى تلك الساعة ، لابد لنا من عمل مرهق فإن مركز القيادة يجب أن ينقل بأسرع وقت ممكن إلى شواطىء البحر المتوسط ، قرب مركز القيادة العامة للقوى الجوية فنصمم هناك خطتنا مع تلك القوى . أما الامر بعدم إستخدام الخيم فهو ملغى : فلنستورد خيماً وفرشـــاً وأوانى للاندية ولنأمن لانفسنا الرفاهية ليكون عملنا منتجاً .

وفى الختام صارحتهم بأساليبى فى الشغل وبكرهى للاوراق الإدارية والتفاصيل ثم اخبرتهم بتعيين ده جنغان كرئيس أركان الجيش الثامن فكل أمر يصدر منه كأنه صادر عنى ويجب تنفيذه فوراً . هو محطة ثقتى بوجه مطلق وأقلده السلطة على مركز القياده كله .

سمع حديثى بصمت تام وكان وقعه فى النفوس عميقاً وبدا عند الجميع شعور الامل . فالآن كل شىء واضح للاركان : لاغموض ولاتردد . كان نهارى الأول فى الصحراء فى ١٣ (أغسطس) نهاراً متعباً . ولكن لا ضير لأن عملى فيه كان ناجحاً . لاشك فى أن التغيير فى الجيش الثامن كان لا يزال فى اوائله إلا أنه كان من الواجب على أن أسير بهدؤ وحكمة وحذر خوفاً من مركز القيادة العليا حيث لم أكن محبوباً ولا عجب .

أما فى ١٥ أغسطس عندما يصبح الكسندر القائد الأعلى فسيسير حينئذ كل شيء على ما يرام . هذا وان ده جنغان كان إلى جانبي يخفف من ثورتى واقدامى حتى مساء ١٤ أغسطس ، وكان جنغان الرجل الحكيم الذى طالما جنبنى التهور والاسراع فى العمل فيما بعد .

وفى ليلة ١٣ (أغسطس) وقع بينى وبين ذلك الرجل حديث طويل نافع . كان يتمتع الآن بسلطة واسعة مما رغبه فى ان يقوى اطلاعه على رأيي فى بعض المسائل . كان لابد من ان ابتعد عن مركز القيادة فأغيب عنه ، فيريد ان يكون حينئذ على اتفاق تام معى

واخيراً استسلمت إلى النوم . كنت قد اعيانى التعب ولكنى على يقين من اننا اصبحنا الآن على طريق النجاح .

لم ألبث ان اتبين بجلاء ، بعد محادثات بينى وبين ده جنغان ، ان كل الدلائل تنبيء بهجوم قريب من قبل رومل ؛ انه يحاول للمرة الأخيرة ان يستولى على القاهرة والاسكندرية ويستقر فى الدلتا واذا فعل فمن المحتمل جداً ان يحول مجهودة الاقوى على الجانب الجنوبى ثم يميل إلى اليمين ليمر وراء الجيش الثامن ذلك لأنه لايسعه أن يهمل الجيش الثامن ليصل إلى مصر ، فلا بد له من ان يتلف اولا ذلك الجيش .

فمع الافتراض هذا . كان تصميمى يبدو لى بوضوح فى خطوطه العامة.

أما الجانب الجنوبى فسيقوى فى جبهة الفرع الثلاثين بواسطة حقول الالغام واسلاك الحديد الشائكة حتى لا يقتضى الدفاع فيه إلا العدد الأقل من الجنود . واذن فلا حاجة لى بزيارة تلك الجبهة الآن .

أما الجانب الجنوبي فكان يفرض على فحصاً دقيقاً ، فلا بد من ان امضى إليه بدون ابطاء. ثم انني كنت بحاجة ماسة إلى قائد جديد للفرع الثالث عشر الموجود فى ذلك الجانب إذ ان احداً لم يعين بعد ليخلف جوت .

فقضيت النهار كله متفقداً المكان فى الجانب الجنوبي وفى محل ملتقى الفرعين وتبينت فوراً اهمية تلى الرويسات وعلم حلفاء وكان هذا التل الأخير مفتاح مركز العلمين كله . فإن حلفا يقع على بعد عدة اميال وراء خط العلمين وفى جنوبي — شرقى ألرويسات وكان لا دفاع له اذ أنه لم يكن لدينا القوى اللازمة .

كنت قد فكرت طويلا بما سمعت عن معارك المصفحات فى الصحراء وبدا لى أن الذى كان يحبذه رومل هو أن يدعينا نهاجمه بمصفحاتنا ، فيستخدم حينئذ مصفحاته وراء حجاب يشكله خط مدافع ضد المصفحات فيبطل عمل مصفحاتنا ويسيطر بذلك على ساحة القتال . فعزمت على ألا تجرى الأمور على هـــذه الصورة معى . لن أسمح لمصفحاتنا بالهجوم السريع بل نبقى متمسكين بمركز العلمين ونحتل تلى الرويسات وعلم حلفا ، فنحارب فى المكان الذى نحن فيه ولن تتحرك قوانا وندع مصفحاته تتقدم ضد مصفحاتنا وهى تكاد تكون مطمورة على تخوم علم حلفا الغربية .

وفى النهار التقيت ، فى الجانب الجنوبى ، بقائد الفوج السابع المصفح ، فيران الصحراء المشهورين . فتحادثنا عن هجوم رومل المتوقع

وسأل من عسى أن يرتمى بصفحاته على روميل . قلت أن أحداً لن يرتمى بصفحاته على روميل بل سنغير خطتنا هذه المرة وندعه يأتى ويشج رأسه ضد جبهتنا . وكانت الفكرة جديدة بالنسبة إليه — فناقشها مدة طويلة .

وعندما رجعت تلك الليلة إلى مركز قيادتى كان قد توضح لى تصميم الخطة العاجلة التى سألجأ إليها لتقوية مركز العلمين .

وكنت عازماً على أن أجعل ذلك المركز قوياً بحيث نستطيع أن نباشر بإعداد هجومنا نحن بدون أن نبالى بهجومات روميل مهما كانت .

ان كل التعليمات الواردة كانت تدل على أنه سيهاجم فى أواخر الشهر . وكنت عازما على أن أباشر ، قبل ذلك التاريخ ، بالاستعدادات اللازمة لمعركة العلمين ، وأن أتابع تلك الاستعدادات مهما فعل روميل .

فلا بد لنا إذن من أن نكون أقوياء ، وأن تكون قوانا متوازنة منسجمة بعضها مع بعض بحيث لاتحدث هجوماته وحركاته الاستراتيجية رد فعل أو تغييراً قط فى خطتى الهجومية . ثم كان لا بد من أن أكون بالجانب اللازم من القوة بحيث أستطيع أن أصد هجوماته بدون أن أضطر إلى توقيف الاستعدادات الرئيسية . كان ذلك هدفى .

تباحثت فى الأمر مع جنغان وقررنا معاً أن نطلب من مركز القيادة الأعلى أن يرسل على الفور الفوج الرابع والأربعين إلى الجيش الثامن وأن يستقر به بحيث يتمكن من أن يحتل مرتفعات علم حلفا .

وزال اضطرابى أو كاد أن يزول بعد احتلال ذلك الفوج بكامله للمرتفعات المذكورة ، واحتلاله لها وهو متستر مخبأ وتسنده المصفحات (المتجمدة) كما يجب ويليق .

وفيما بعد طلبت فوجاً آخر الفوج الواحد والخمسون ، وكان قد شرع بالنزول إلى السويس . كان على أن أدع الفوج الثالث عشر يهتم بنفسه بتفاصيل الخطة الاستراتيجية على الجانب الجنوبى إلا أن ذلك الفوج لم يكن له قائد فى ذلك الوقت . فطلبت من الكسندر أن هورروكس من انجلترا وكان هذا قد خدم تحت سلطتى هناك ، فسلمته قيادة الفوج الثالث عشر فقام بمهمته خير قيام .

أجل أننا لاقينا بعض الصعوبات فى مركز القيادة الأعلى عندما عرض ده جنغان طلباتنا بالتليفون ولكننى اتصلت أنا ذاتى بالكسندر الذى وافق على كل شىء ولا أدرى أن استشار فى الأمر أوشنلاك الذى كان مزمعا على الرحيل صباح غد .

وهكذا فى ١٥ أغسطس وهو التاريخ الذى كان أوشنلاك قد عينه لى لأستلم فيه قيادة الجيش الثامن . كنت الآمر والناهى فى ذلك الجيش منذ يومين ، وفى هذين اليومين قمت بأعمال مفيدة وجهت جيشنا التوجيه السديد وخاصة أرجعت إليه روح النشاط والحماسة وهذا كان مهماً جداً

كان قد بقى علينا الآن تصميم خطة ما عرفت فيما بعد باسم معركة العلمين ، ولكن قبل أن أصف ، فى بعض وجوهها ، إستعدادات تلك

المعركة وتسييرها لابد لنا من أن نلقى نظرة خاطفة على معركة علم حلفا فإن تلك المعركة نظراً للظروف التى وقعت فيها ، كانت مثال المعركة الدفاعية . وفى رأيى أنا تمهيداً أساسيا لمعركة العلمين فبدون علم حلفا لما كان نجحنا فى العلمين عند ذلك الحد من الكمال .

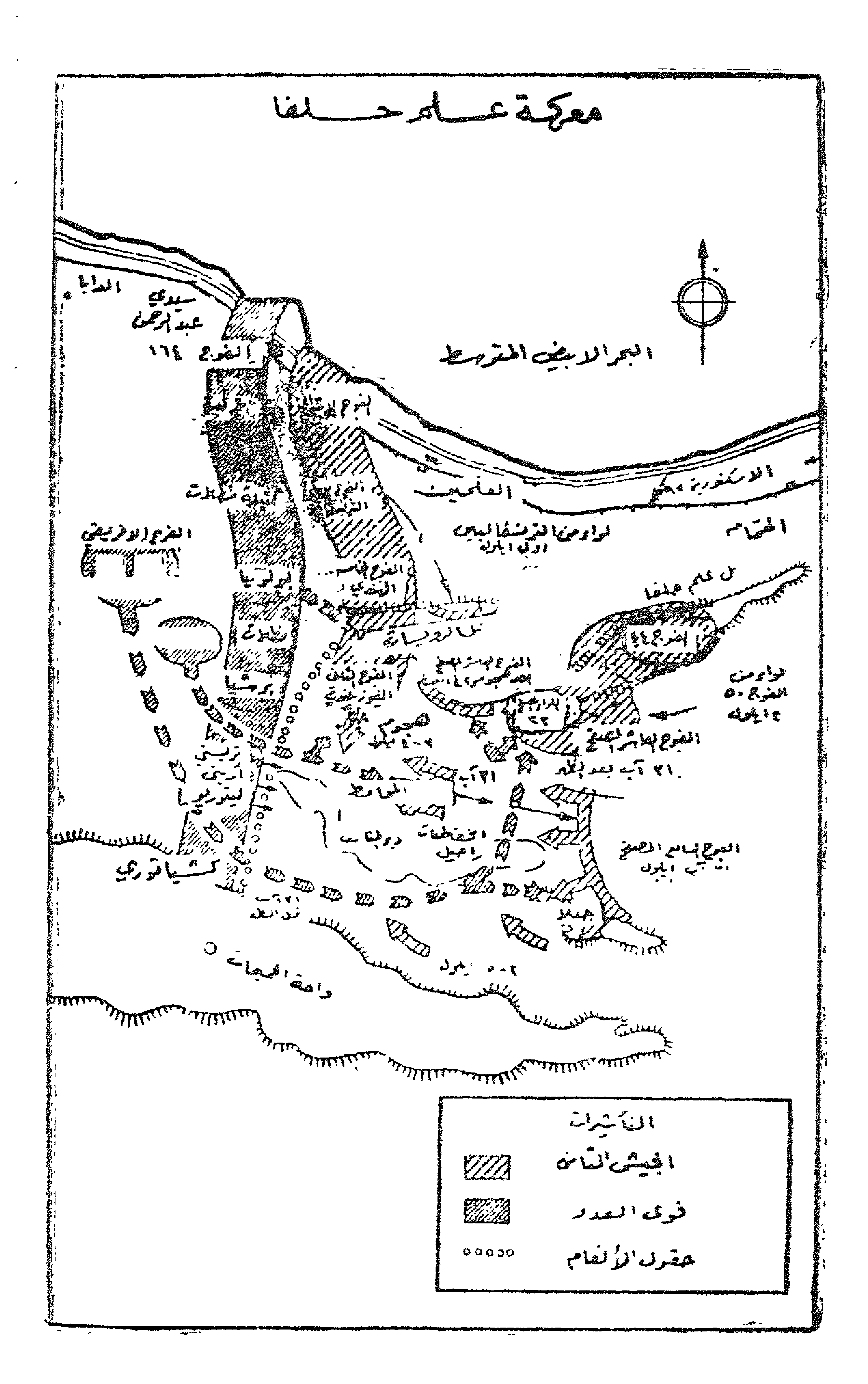
قام رئيس الوزارة بزيارة إلى الجيش الثامن فى ١٩ أغسطس عند عودته من موسكو فأريته الجبهة وعرضت له خططى لصد هجوم رومل أنى أطلعته على كيف كنت أتصور هجومنا نحن .

قضى الليل معى فى مركز قيادتنا على الشاطىء قرب برج العرب وكانت سهرتنا سهرة السرور وفرح فى نادينا وكان ده جنجان قد إتخذ التدابير اللازمة بحيث يوفر لرئيس الوزراء خمراً لا بأس به وزجاجة كونياك معتقة .

وعند ذهابه فى الغد ، طلبت إليه أن يوقع بإسمه على دفترى المخصص للتوقيعات .

كنت اتخذت قيادة الجيش الثامن فى ١٣ أغسطس وهو يوم تذكار معركة بلانهيم .

فكتب هذه الأسطر : « وددت لو أن يوم تذكار بلانهيم الموافق اليوم لإبتداء القيادة ، يؤمن لقائد الجيش الثامن ولجنوده المجد والسعد اللذين هم جديرين بهما ونستو تشرشل .


معركة علم حلفا
البحر الابيض المتوسط
الضابا
سيدي عبد الرحمن
الفوج ١٦٤
العلمين
الاسكندرية
الحمام
ل علم حلفا
الفوج ٤٤
الفيلق الافريقي
ل الرويسات
٢١ آب بعد الظهر
الفوج العاشر المصفح
ترييستي
ليتوريو
كشيا توري
الحامد
المنخفضات
دوبلياب
واحة المغرة
التأشيرات
الجيش الثامن
قوى العدو
حقول الألغام

الفصل السابع

معركة علم حلفا

٣١ أغسطس — ٦ سبتمبر ١٩٤٢

كان من العادة فى الجيش الثامن ، قبل وصولى ، أن ينقد المأمورون أوامر القائد الأعلى مدعين بأنهم أوفر اطلاعاً منه على تسيير القتال فى الصحراء ولذلك يسمحون لأنفسهم تبديل نقاط من تلك الأوامر لأدنى سبب ، وذلك حتى فى أثناء المعركة ، فأفهمت الجميع أن أوامرى يجب أن تنفذ بحذافيرها حسب الخطة العامة التى كنت قد صممتها وأن تلك الأوامر لم ألقها كأسس للمناقشة بل كقوانين بها يتقيد عمل الجميع فالذى كنت أريده الآن هى معركة تبتدىء وتتطور كما كنت أتصور ، وأريدها معركة تنتهى بالنصر حتى ترجع الثقة بالقيادة العليا إلى قلوب الجنود فالحالة النفسية هذه ما كان يمكن نزعها إلا بانتصار على رومل وبانتصار سهل لا يكلف الجيش الثامن خسارات جسيمة .

ما كنت أستطيع أن أهاجم أنا . ولذا فكان من اللازم أن يباشر رومل نفسه بالمعركة فيمكننى من أن أنتصر عليه وهذا ما تم فى علم حلفا

كانت منظمة الاستعلامات فى جيشى على يقين من أن رومل سيحاول خرق جبهتنا على الجانب الجنوبى ، فيلى ذلك عدول فى الهجوم نحو الشمال إذ تحاول مصفحات روميل أن تتجه نحو مرتفعات علم حلفا والرويسات . وكان هذا اعتقادى وعليه صممت خطتى .

كنا مطلعين على تاريخ الهجوم وعلى اتجاهه وقوته . فنظمت قواى على ضوء تلك الاستعلامات .

ركزت الفوج الرابع والأربعين على قمة علم حلفا ومصفحاتى جنوبى الطرف الغربى لذلك التل . ثم أننى بعد أن تأكدت أن هجوم العدو الأساسى سيتجه نحو قمة علم حلفا نويت أن أنقل المصفحات من المنطقة الموجودة بين غربى القمة ومراكز القوى النيوزيلاندية فى خط العلمين الرئيسى ، أما أوامرى فكانت صارمة بأن تبقى المصفحات فى مكانها ولاتتحرك ، فالمفروض أن يصطدم بها العدو وينكسر وكان من الواضح أن روميل لن يهمل قواى ويتجه توا نحو الشرق قاصداً القاهرة ، فان فعل لكانت ٤٠٠ مصفحة انقلبت على قواه الورائية فاتلف جيشه .

وعليه قررت على أن يبقى طرف جانبى الجنوبى قابلا للحركة والتنقل وأن يمتد الفوج السابع المصفح على جبهة واسعة فيتوارى عن المعركة إذا حدثت ، وإذا ما اتجه جيش روميل نحو اليسار وقمة علم حلفا فان الفوج السابع يتحرش به من الشرق ومن الجنوب ، وفى أثناء ذلك كان هوركس قد وصل من انجلترا ليتسلم قيادة الفوج الثالث عشر وافهمته أن من الواجب الا يصاب ذلك النوع ، وخاصة الفوج السابع بخسارات

جسيمة ، بل يبقى سالماً على قدر الإمكان للدور المعد له فى هجومنا نحن فى أكتوبر وأطلعت هوركس على كيف كنت أتصور ذلك الهجوم ، فوافق بحماسته العادية .

وهكذا فإن المعركة وقعت وتطورت حسب الخطه التى كنت صممتها فإن قوى رومل عندما اصطدمت بمراكزنا القوية . أصبحت عاجزة عن كل حركة إذ أننا صليناها ناراً من كل جهة وصوب وأخذ الطيران الحربى يقذفها من عل .

فاضطر الألمان آخر الامر ، إلى الانسحاب . وكان لذلك الطيران التأثير العميق فى المعركة ، تحت قيادة مارشال الجو كوننجام ، وصار الجيشان البرى والجوى يتآزران منذ ذلك الحين وصاعداً وما كانا يفعلان من قبل أما السبب القوى الذى حمل رومل على الانسحاب فهو القرار الذى اتخذه مارشال الجو تدر فى أن يرسل قاذفات القنابل حتى إلى طبروق لنسفها تمنع ذلك رومل من التزود المنظم بالعتاد والاسلحة والنفط خاصة خوفه أن يقطع عن قواعده الاساسية وعدل عن مواصلة القتال .

أما الهجوم فحدث ليلة ٣١ (أعسطس) ، قليلا بعد نصف الليل كنت قد نمت باكراً كالعادة ويقول ده جنغان أنه رأى من الواجب عليه أن يفيقنى ليطلعنى على الخبر ، وفيما يقول هو ، يظهر إننى أجبته « حسن ! هذا ما أريده »، ثم تناولت الراحة فى الساعة المخصصة عادياً لها . لا أذكر كل ذلك . إلا أننى لا أستبعده لاننى كنت على يقين

من أن النصر لا بد وأن يكون حليفنا إذا ما نفذت خطتى بحذافيرها فهمى الوحيد كان أن أتحقق من أن المعركة الاولى التى أقوم بها مع الجيش الثامن ستتطور حسب خطتى الاساسية بالضبط . فعندما بلغنى أن قوى رومل كانت قد اتخذت الاتجاه المنتظر، أمرت بتقدم فى جنوب منطقة الفوج النيو - زلندى لسد الفرجة التى كان العدو دخل فيها إلى مركزنا فكان رد فعله عفوياً : رجع بسرعة نحو حقل ألغامنا من حيث كان قد دخل إلى صفوفنا . فتركناه هناك وأوقفت جنودى عن التقدم إذ أنه كان من مصلحتنا أن تتراكم قواه فى الجانب الجنوبى لا تمكن من شن الغارة القوية التى كنت أنوى عليها فى جانب الجبهة الجنوبى . وأذكر أن هوركس كان غير راض بخطتى الاخيرة تلك لان العدو كان لا يزال محتلا بعض مراكزنا وقائماً على مرتفعات تمكنه من مراقبة حركاتنا ولا سيما حركات فرعه . فأجبته بأن يحدث هو حقول ألغام جديدة فى ساحة قتاله،وأما وجود العدو فى المرتفعات فكان مساعدة لنا إذ أنه بذلك يصبح مطلعاً على كل الاستعدادات التى نتخذها للهجوم فى الجنوب فيصرف انتباهه عن الشمال فننقلب عليه حينذاك بالضربة القاضية هنا وتكون حيلتنا ناجحة .

وعاب على بعضهم إننى لم أطارد رومل فى انسحابه وأدفع جيشى الثامن إلى الهجوم عليه . فإن لم أفعل فذلك راجع إلى أن أفراد ذلك الجيش لم يكونوا بعد مدربين على السير الطويل ولم يكونوا مجهزين بالعتاد اللازم لذلك.فالاحرى بنا أن نجبر رومل أن يشن علينا هو نفسه هجوماً ويكون هو بعيداً عن قواعده الاساسية ونكون نحن قريبين

من قواعدنا الاساسية وهذا ماتم فى معركة العلمين .

وهكذا فإن معركة علم حلفا وقعت وتطورت كما كنت أشاء أنا ولقد قرأت بلذة ، فى ١٩٥٥ كتاباً عنوانه « معارك البانزرس » ، ألفه فون ميلينتين الذى كان حينذاك من أركان رومل . يصف المؤلف علم حلفا كما يلى : « هى محور الحرب فى الصحراء والحلقة الاولى فى سلسلة الهزائم على كل الجبهات وهى الحلقة التى أنذرت بسقوط ألمانيا »

ويمكننى الآن استنتاج بعض العبر من معركة علم حلفا . وأول أمر يبدو هو أن تلك المعركة كانت معركة « جيش » فإن قوى الجيش الثامن أخذت آنذاك تنبسط وتتطور بمقتضى خطة دقيقة وكان مركز القيادة محتفظا بالسيطرة التامة على كل أطوار المعركة . مما جعل الضباط والجنود يشعرون بضرورة التوجيه الواحد يسير عملهم ويراقب مصيرهم وبعد معركة علم حلفا رضوا جميعهم أن أكون ذلك الرأس المفكر الموجه

ثم أن أفراد الجيش الثامن كانوا مدنيين فى الاصل ولم يكونوا رجالا وقفوا حياتهم للجندية ، فهم أناس يطالعون الجرائد من عاداتهم أن ينتقدوا كل شىء حتى شخصية قائدهم ، فلابد إذاً من أن يكون ذلك القائد ليس رأينا موجهاً بل أيضاً مركزا نتباه وجاذبية فلا يقدره رجاله فقط بل يحبونه ويتعلقون به . فأخذت انجول فيما بين صفوفهم واسعى إلى أن الفت انتباههم إلى . فنى معركة علم حلفا ابتدأت ألبس القبعة الاسترالية ، وهى . علاوة عما كنت أسعى إليه ، كانت فعلا تقيتى ضرر حرارة الشمس . ثم عدلت إلى لبس « البيريه » التى اشتهرت بها فيما بعد .

وعندما انتهت معركة علم حلفا ، كتبت إلى صديق لى فى انجلترا .

« إن اجتماعى الاول بروملل افادنى جداً . لحسن حظى ، استطعت أن أعيد النظام المفقود وأصمم خططى فى الوقت اللازم ، فما صعب على أن أهزمه وشعورى هو أننى ربحت الجولة الأولى فى حين أنه هو الذى كان قد باشر بالعمل. أما الجولة الثانية فسيكون دورى أنا أن أباشر بالعمل .

عدنا إلى الاستعداد لمعركة العلمين وكان هناك مسائل لابد من الاسراع بمعالجتها قبل الانتقال إلى تنفيذ خطط تلك المعركة .

كنت قد عزمت على أن أركز انتباهى على نواح ثلاث لإعداد الجيش الثامن للمجهود المطلوب منه ، وهى القيادة ، والاجهزة والتدريب وثلاثتها فى حاجة إلى شىء من التكميل والاتقان .

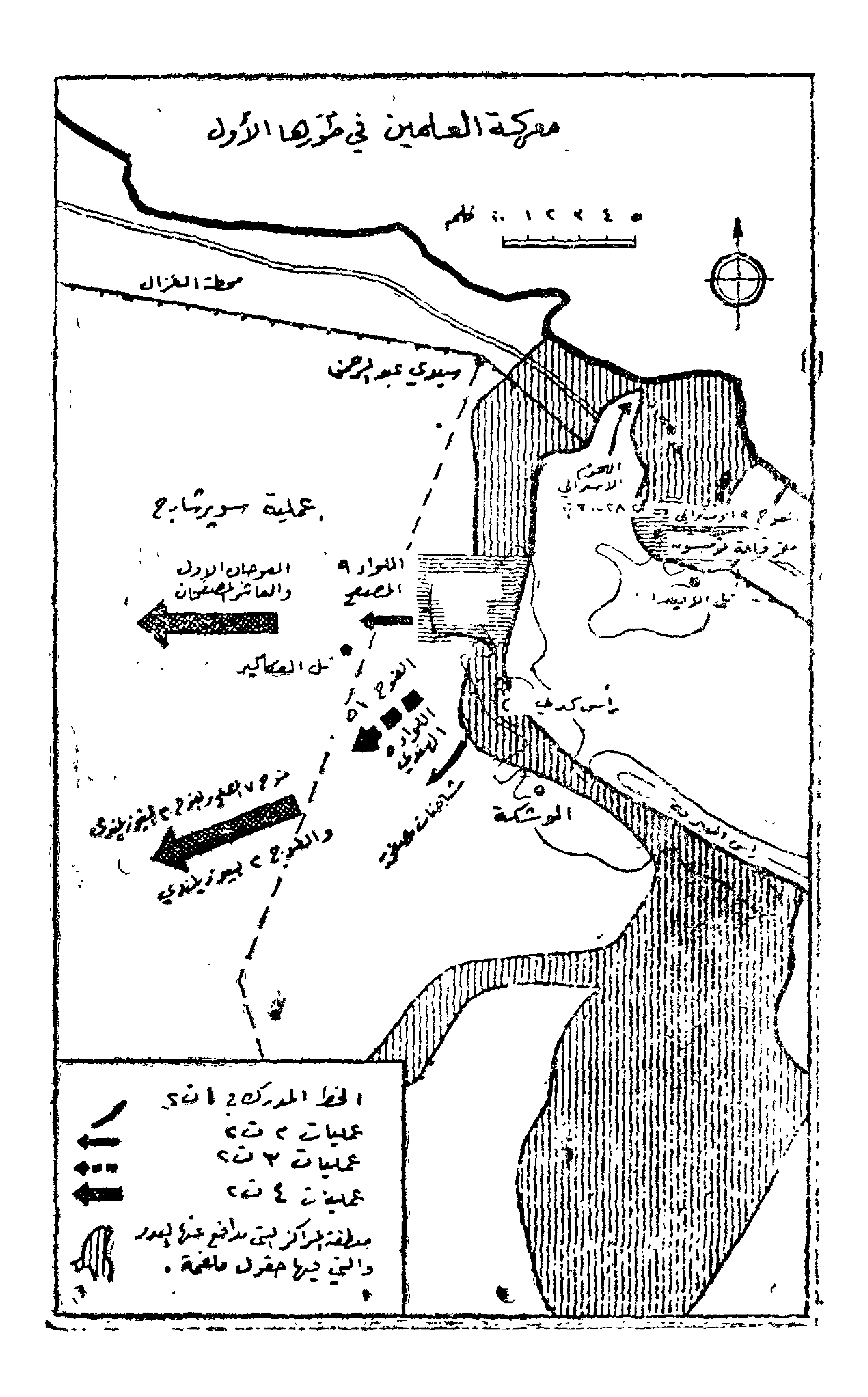
اما الأجهـــزة فما كانت لتهمنى كثيراً إذ أننى كنت على يقين من أن الكسندر سيزودنى حالا بما أشاء منها .

اما التدريب فكان همى الكبير . أن أفراد الجيش الثامن كانوا أصحاب أجسام صحيحة ، ولكن كان يعدمهم التدريب على فنهم ، من وراء اهمال الضباط ، ولا سيما أصحاب المراتب العليا منهم . فاخذت من هذا الوجه ، التدابير الصارمة ، اراقب تطبيقها بنفسى عن كثب فلا اتردد عن العزل عن الرتبة والوظيفة إذا ما اقتضى الأمر

اما من حيث القيادة والأركان فانه كان لابد لفروعى الثلاثة قادة ثلاثة من الطبقة الأولى . كان هركس موجوداً للفوج الثالث عشر ،

ثم بدلت رمسدن على رأس الفوج الثلاثين بسر اوليفر ليز الذى طلبته من انجلترا . اما الفوج العاشر، وهو نخبة جيشى لأنه مؤلف من وحدات المصفحات ضد وحدات البنزرس عند رومل فسلمت قيادته إلى رمسدن، قائد الفوج الأول المصفح فى الصحراء سابقاً ثم طلبت كقائد للفوج السابع المصفح هاردينج من مركز القيادة الأعلى فى القاهرة. واستقدمت من انجلترا قائد اللواء كركمان وسلمته قيادة المدفعية ، وهو خير مدفعى الجيش البريطانى وهو الآن الجنرال سرسدنى كركمان ، المكلف بالدفاع المدنى فى الهوم اوفيس . وبعد ذلك عينت القس هيوز كمرشد عام فى الجيش ، فهيوز هو المثل الأعلى للمرشد العسكرى وبقى إلى جانبى حتى انتهاء الحرب . اما الأمور الإدارية فسلمت تدبيرها لقائد اللواء روبرتسون ، وهو اليوم الجنرال سربريان روبرتسون ، رئيس اللجنة البريطانية للمواصلات ، وكان يساعده العقيد ميلز جراهام ، فلما تركنى روبرتسون للوظيفة التى ذكرت ، حل جراهام محله ، وبقى معى حتى آخر الحرب .

اما الآن فبعد أن حللت مشكلة القيادة واحدثت التبديلات اللازمة ، اصبحت على اطمئنان تام إلى أن لى مساعدين صالحين فى المجهود المطلوب منى ، فاخذت اعلل نفسى بان أدرك بسهولة الهدف الذى كان أمامى وهو أن أخرج ظافراً منتصراً من معركة العلمين .


معركة العلمين في طورها الأول
محطة الغزال
سيدي عبد الرحمن
عملية سوبرشارج
اللواء ٩ المصفح
تل العقاقير
راس كدني
الوشكة
الخط المدرك في ٤ ت٢
عمليات ٢ ت٢
عمليات ٣ ت٢
عمليات ٤ ت٢
منطقة المراكز التي تدافع عنها العدو والتي فيها حقول ملغمة .

الفصل الثامن

معركة العلمين

« ٢٣ (أكتوبر) - ٤ (نوفمبر) »

لا شك فى أن علم حلفا كانت قد أخرتنا فى استعدادنا للهجوم الذى كنا نريد أن نشنه نحن إلا أنه كان من الواجب على أن أرجع الثقة بالقيادة العليا إلى أفراد الجيش الثامن .

اما فيما يختص بمعركة علم حلفا فانى كنت قد وعدتهم بانتصار ، وتم ما وعدت به ، فنتج من ذلك عندهم ثقة بى لم تتزعزع فيما بعد .

فالمشكلة الأساسية التى وجدت أمامها بعد معركة علم حلفا كان حلها من الصعوبة بمكان . كنا نواجه قـــوى رومل بين البحر ومنخفضات قطاره ، على جبهة طولها ٤٥ ميلا ، والعدو متمركز وراء خط دفاعى جد منيع ، تدعمه حقول الغام عميقة وممتدة . وما كان قط جانب مكشوف . فكان يترتب علينا ما يلى :

١ - شق ثغر فى خط العدو

٢ — تمرير الفرع العاشر فى ذلك الثغر إلى مراكز العدو ، والفرع العاشر ذلك مصفح ومؤلف من قوى سريعة الحركة والتنقل .

٣ — مواصلة العمليات الحربية التى من شأنها اتلاف قوى روءمل اتلافاً تاماً .

فلا بد لتأمين ذلك من هجوم مفاجئ ، يقتضى عدم اطلاع العدو على نوايانا . فعزمت على تصميم خطة اتوصل بها إلى تضليل روءمل وصرف انتباهه عن المراكز التى ستنصب عليها قوانا وعن تاريخ هجومنا عليها وسيرد وصف تلك الخطة فيما بعد .

وأول ما كنا فى حاجة إليه قبل كل شئ هو أن نباشر بهجومنا فى ليلة مقمرة ، بسبب اضطرارنا إلى قلع الألغام من أماكنها ، مما يتطلب شيئاً من الضوء فى العمل . ومن المعروف أن الليالى المقمرة لا تحدث إلا فى مدة محدودة من كل شهر ، وما كنت أرى اننى سأصبح على الاستعداد التام فى تلك الفترة من سبتمبر ومن ناحية أخرى ، كل الجيش الثامن والشعب البريطانى ينتظران انتصاراً تاماً ، ووعدت جنودى اننى لن أقوم بهجوم ما لم يكونوا على اهبة تامة من ناحية العتاد والزاد والأسلحة . فأدى بى كل ذلك أن أرجئ المباشرة بالمعركة إلى ٢٤ أكتوبر . فقررت الهجوم فى ليلة ٢٣ أكتوبر وأخبرت الكسندر بالأمر . إلا أن المكتب الحربى فى هوايت هول كان ملحاً على أن أباشر بالعمل فى سبتمبر للانسجام مع عمليات حربية يقوم بها الروس ومع انزال الجيوش فى افريقيا الشمالية وكان مقرراً فى نوفمبر . فقصدنى الكسندر ليناقشنى فى الموضوع . فقلت له أنه من المستحيل أن

أهاجم فى سبتمبر وإلا فليحل محلى واحد آخر . وكنت أرى أن انتصارى فى علم حلفا يسمح لى بذلك الموقف الصارم . فآزرنى الكسندر ، وما عدت سمعت بأوامر تفرض على القيام بالهجوم فى سبتمبر .

بلغنى أنه قد أذيع أن صاحب خطة معركة العلمين هو الكسندر . والخبر لا صحة له . فإننى كنت أنا نفسى اصمم خططى وهذا فيما يختص بالعلمين وغير العلمين ، إلا اننى اطلع الكسندر عليها دائماً ، فما ما نعنى قط فى تنفيذها . بل يدع لى ولاركانى المسؤولية فى ذلك للثقة العظيمة التى كان يشعر بها نحونا. فهو من هذه الناحية خير المثال للقائد الأعلى.

أما الخطة الأولى فوضعتها حالا بعد معركة علم حلفا . وفحواها أن هجومنا سيكون على جانبى العدو معاً وسيكون ذلك الهجوم على اشده فى الشمال حيث يعمل الفوج الثلاثون تحت قيادة ليز . وكانت نيتى أن اشق لى طريقين فى خط العدو الدفاعى وفى حقول الألغام فيمر الفوج العاشر (لومسدن) فيهما ويحتل جزءاً كبيراً من مراكز العدو ثم يقطع عليه مواصلاته لنقل الزاد . فلابد حينئذ من أن تسرع مصفحات رومل إلى القتال . وكان أملى أنها ستدمر جميعها اثناءه .

أما فى الجنوب فالمكلف بالعمليات كان الفوج الثالث عشر وهدفه أن يجذب إليه مصفحات العدو ليسهل العمل على الفوج العاشر فى الشمال، كان عليه أن يفعل ذلك بمساعدة الفوج السابع المصفح شرط أن لا ينال ذلك الفوج خسارات فادحة لحاجتى إليه عند المطاردة ، بعد شق خطوط العدو .

ويلاحظ بسهولة أن خطتى هذه كانت جديدة للحرب فى الصحراء، حيث كان يتم الهجوم بشدة فى الجانب الجنوبى فيتطور بعدئذ نحو البحر. أما خطتى فكانت تهدف إلى الهجوم لافى الجنوب ولافى الشمال ولكن فى الوسط، فيتسنى لى بعدئذ أن اتجه إلى الشمال أو إلى الجنوب حسبما يتيسر الأمر أمامى. ولم يتقبل مركز القيادة الأعلى خطتى تلك بعين الرضا أولا وحاولوا الضغط على رئيس أركانى ليحملنى على أن اتركها. إلا أن الكسندر فهم غرضى منها وهو ألا أقلد من سبقنى حتى يكون هجومى مفاجئاً بغرابته، فوافقنى عليها ودافع عنها معى.

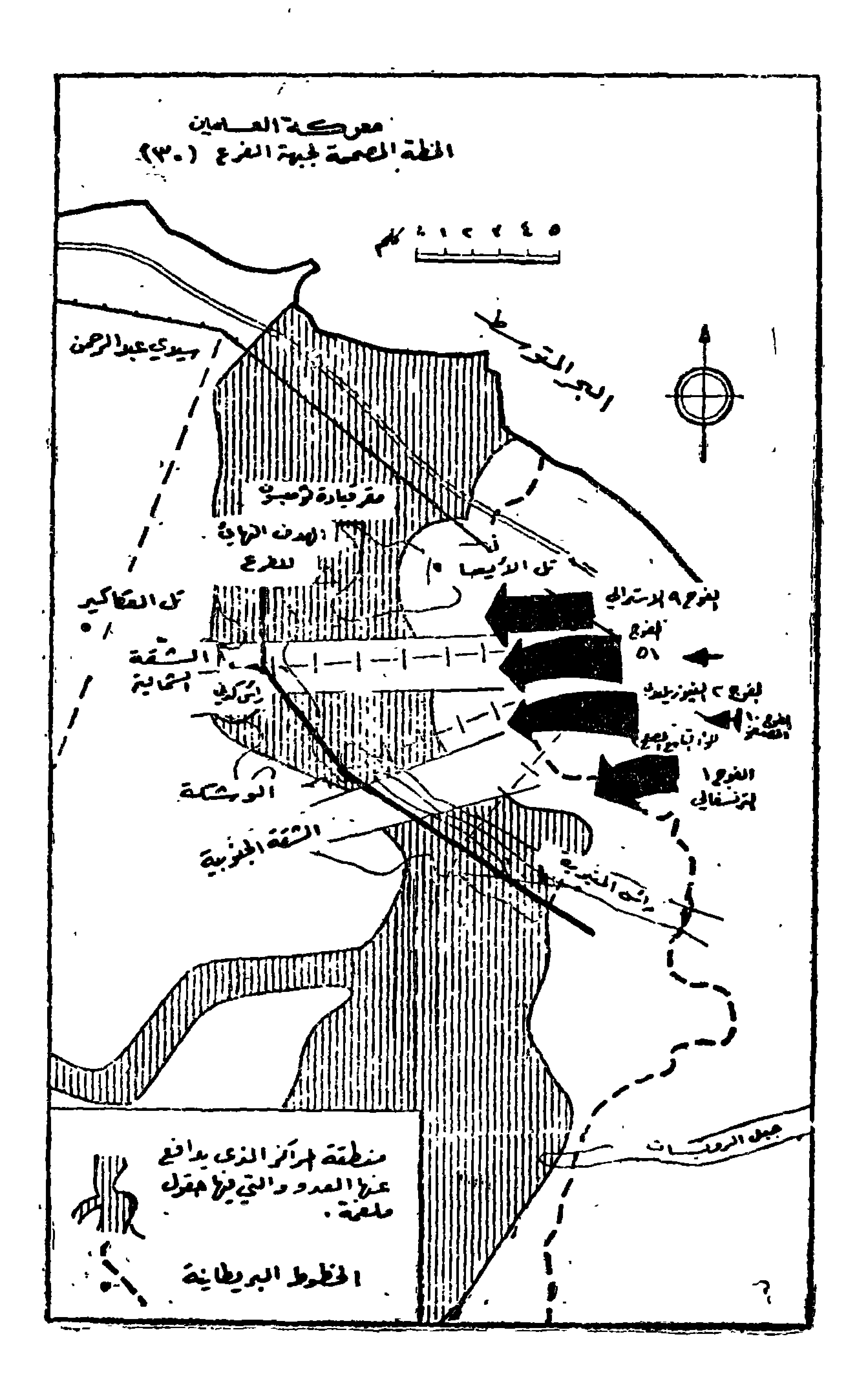
وبعد ذلك أخذت أراقب مناورات الجيش وتمرينه عن كثب فأحسست أنه لم يكن على ما يرام من هذه الناحية لا من حيث الضباط ولا من حيث الجنود وهؤلاء متعلقون بأولئك، فخفت من أن يتطلب هجومى مجهوداً من جيشى لا طاقة له به. ففى ٦ أكتوبر أسبوعين قبل المعركة، غيرت خطتى. فبدلا من أن أباشر بتدمير مصفحات رومل كما هى العادة المطردة آنذاك، قررت أن أصد هجومها وأقف أمامها بمصفحاتى.

وفى أثناء ذلك انقلب على أفواج المشاة الموجودة فى جهاز العدو الدفاعى فأهلكها فوجاً فوجاً بعد عزلها بعضها عن بعض ومهاجمة العدو من الجانب ومن الوراء وقطع الزاد عنه. وكان ذلك فى امكانيات جيشى.

وفكرت أن مصفحات العدو، فى ذلك الحين، لن تقف جامدة متفرجة على تدمير الأفواج غير المصفحة،، بل تندفع فى هجومات

عنيفة ، وهذا ما كنت أريده إذ أن خير وسيلة لتدمير مصفحات العدو هو حملها على الهجوم على مصفحاتنا الموجودة والثابتة أمامها ونجاح العملية كان قائماً خاصة على نجاح الفوج الثلاثين فى هدفه وهو أن يشق فى خط العدو طرقات تدخل فيها أفواج الفلوج العاشر المصفحة . ولذا فإننى عمدت إلى أن أدفع تلك الأفواج حالا فى أثر أفواج المشاة من الفوج الثلاثين وقبل التيقن من أن الطرق قد عبدت وأمنت بعد مجرد شقها . وعلاوة على ذلك عزمت على أن آمر الأفواج المصفحة ، فى حال عدم تعبيد الطرق فى صباح ليلة ابتداء الهجوم ، بأن تتبل هى بنفسها فى (٢٤ أكتوبر) وتشق لها الطريق وهى تقاتل مكشوفة وذلك حتى تصل وراء الحدود الغربية لحقول الألغام . والأمر هذا لم يحظ برضى الوحدات المصفحة إلا أننى كنت عازماً على أن ينفذ بحذافيره . وسترى بأننى اضطررت إلى أن أتدخل بشدة فى الأمر من وراء ضعف عزيمة بعض قواد الوحدات .

أما تدمير وحدات العدو غير المصفحة فخطته كانت قائمة على استعلامات بلغت الماجور ويليمس رئيس مصلحة الإستعلامات فى أركانى وهى أن رومل ما كان متأكداً كل التأكيد من الجنود الايطاليين فينظم خطة الدفاعى أو الهجومى بحيث يحيط الايطاليين الألمان حتى لا يسرع الإيطاليون إلى اللواذ بالفرار عند شدة المعركة . ومن ثم صار هدفنا الأول أن نفرق الألمان عن الايطاليين فنستطيع بعدئذ أن نسيطر على جبهة مؤلفة فقط من الإيطـــاليين ونؤمن لنا النصر فى النهاية .


معركة العلمين
الخطة المصممة لجبهة الفرع (٣٠)
٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠ كلم
البحر المتوسط
سيدي عبد الرحمن
مقر قيادة روميل
الهدف النهائي للفرع
تل الايسا
تل العقاقير
الفرقة ٩ الاسترالية
الفرقة ٥١
الشقة الشمالية
الفرقة ٢ النيوزيلندية
الفرقة ١٠ المدرعة
اللواء ٩ المدرع
الفرقة ١ الترنسفالية
الوشكة
الشقة الجنوبية
جبل الرويسات
منطقة المراكز الذي يدافع عنها العدو والتي بها حقول ملغمة.
الخطوط البريطانية

الخطة لتضليل العدو

إن غرض تلك الخطة كان على وجهين

١ ـ أن نخفى ما أمكن الامر على العدو نيتنا فى الهجوم .

٢ ـ وإذا لم نتمكن من ذلك طويلا ، أن نغشه فيما يخص التاريخ والمنطقة حيث يتم هجومنا الرئيسى مما يقتضى علينا اخفاء حركاتنا فى الشمال والتظاهر بحركات عنيفة فى الجنوب وذلك باللجوء إلى حيل ومخاتلات تخدع العدو وتصرفه عن نيتنا الحقيقية . وهكذا فعلنا فيما يختص بتورية الزاد والنفط والعتاد الميكانيكى كما اننا تظاهرنا بمد خط أنابيب فى الجنوب مع كل ما يتطلب ذلك الخط من الآجهزة لنحمل الألمان على الظن أن هجومنا سيكون من تلك الناحية وما كل ذلك إلا تفاصيل داخلة فى خطة عامة صممت لخداع العدو،وهى خطة عرفت بلقب « جهاز برترام السرى » ، والذين نفذوها يستحقون كل الثناء على مهارتهم واخلاصهم لأنها كانت خطة ناجحة .

ثم أن الطيران الحربى كان لابد من أن يكون له الاشتراك القوى فى تلك المعركة وكان قائده يريد أن يؤمن له التفوق تدريجياً على طيران العدو حتى يصبح ذلك التفوق كاملا فى (٢٣ أكتوبر) . وفى ذلك النهار كان من المفروض على الطيران الحربى أن يقوم بهجومات جوية

ضد مطارات العدو حتى يتلف طيرانه اتلافاً تاماً ويمنعه من عمليات الاستكشاف الجوى . وفى الساعة « س » كان لابد من أن تنصب قوى الطيران كلها على مدفعية الألمان لترغمها إلى الصمت وكان أملى قوياً أن فى (٢٤ أكتوبر) ، قبل الصباح يتمكن طيراننا من مساعدة الجيش فى العمليات الحربية البرية إذ يكون ذلك الطيران قد أحرز حينئذ الفوز التام على قوى الألمان الجوية .

ثم أعطيت أوامر صارمة فيما يختص بمعنويات الجيش وبقيادة الجنود

أما فيما يختص بمعنويات الجيش. فصدرت عن مركز قيادتى تعليمات فى ١٤ (سبتمبر) بان المعركة ستكون شديدة ولربما استغرقت مدة طويلة . فإذا ربحناها ربحنا الحرب ولن يبقى علينا سوى تنظيف أفريقيا الشمالية من العدو . ولذا فإنه من المفروض أن تكون معنويات الجنود على أحسنها فيدربون منذ الآن على رباطة الجأش والجلد والصبر على المتاعب والمشاق وهم حتى ذلك العهد ليسوا على خير ما يرام من تلك الناحية .

ثم تلا ذلك فى (٦ أكتوبر) توجيهات فيما يختص بالقيادة ذاكراً أنه يجب ألا نظن أن تفوقنا بالمصفحات والمدفعية سيؤمن لنا انتصاراً سريعاً ؛ فإن العدو لن يستسلم بالسهولة . ولذا فعلى المشاة أن يقاتلوا ويقتلوا وأن يواصلوا عملهم ذلك مادام فيهم رمق حياة فلا يستسلم أحد منهم كأسير حرب ، كما كان يجرى فى الماضى مما جعل عدد الأسراء وافراً ضخماً . فلا نيأس من العاقبة ما دامت معنويات الجنود حسنة وما داموا مزودين بالعتاد والأسلحة .

وواضح أن لزوم الصمت والتقيد بالسر كانا من العوامل الأولى فى تأمين النجاح ولحفظ السر كان لابد من إلغاء الأجازات إلى القاهرة والاسكندرية . إلا أن ذلك ما كان ليمكن إلا تدريجياً فأخذت أطلع القواد أولا على تاريخ المعركة ثم الضباط المسئولين وأخيراً فى ٢١ أكتوبر ألغيت كل الأجازات وطلبت أن يطلع الجميع على تاريخ المعركة ذلك النهار نفسه ، إلا المتقدمين فى الجبهة المتصلين بالعدو اتصالا مباشراً فهم على خطر مستمر فى أن يؤسروا ؛ فهؤلاء يطلعون على الخبر قبل الصباح بقليل فى ٢٣ أكتوبر وهو اليوم المعين لابتداء الهجوم والاطلاع على الخبر ذلك ما كان يتم عن سبيل وثائق كتابية ، بل شفهيا .

ثم أطلعت كل وحدة على الوظيفة المطلوبة منها وجمعت قواد تلك الوحدات جميعهم من قائد الفرع إلى العقيد حتى أحيطهم علما بتفاصيل خطة المعركة كلها . فإن تلك المعركة كنت أريدها معركة « جيش تسير وتتطور تحت مراقبة مركز قيادتى المباشرة ، فمن اللازم أن يطلع كل قائد فرقة على ما كان ذلك المركز قد عينه له من عمل . وقلت للقواد حينذاك أن المعركة ستدوم ، فى نظرى ، ١٢ يوما وكان اسم مجموعة تفاصيل الخطة « ليتفوت » .

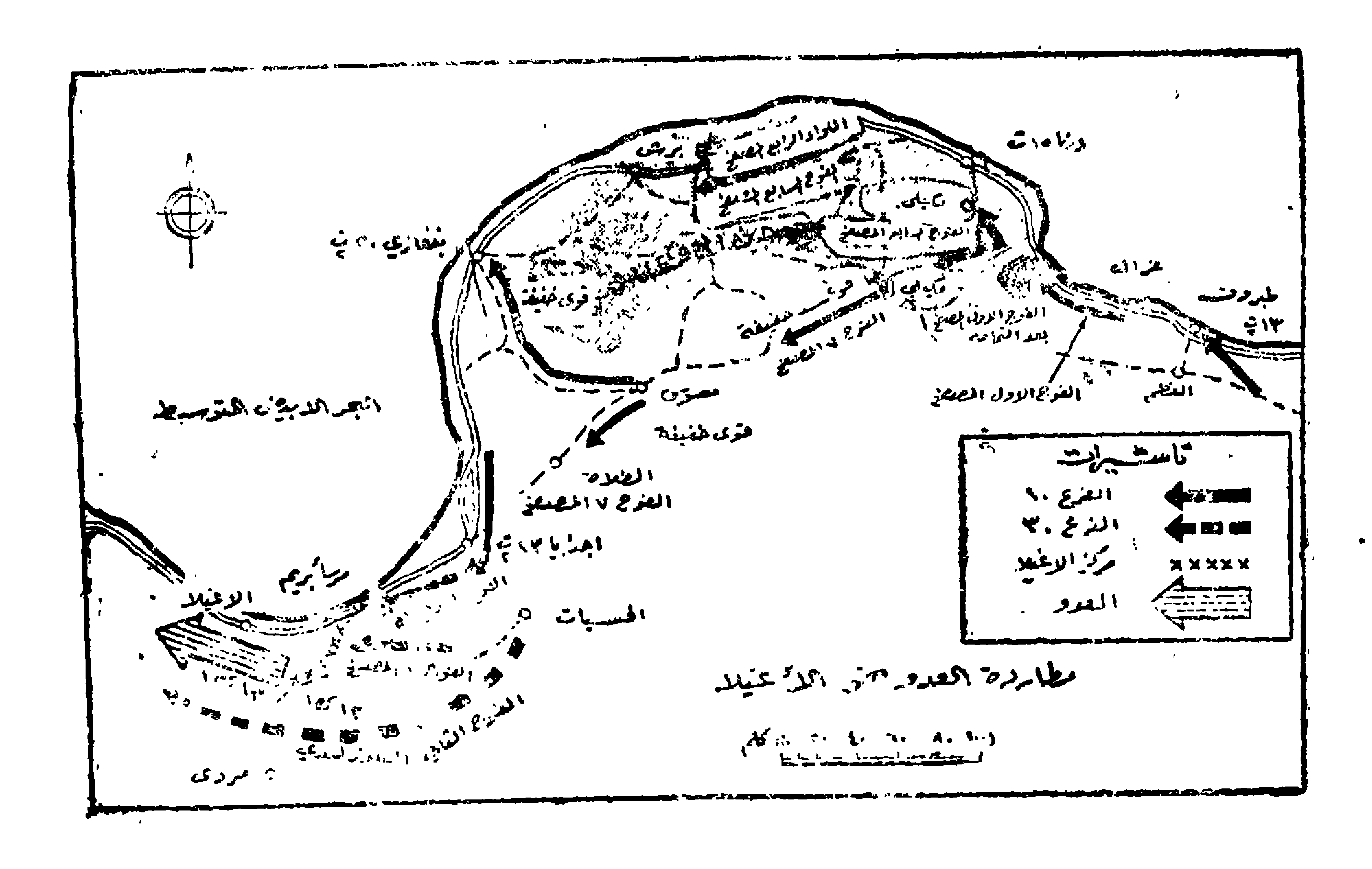
وأخيراً أذعت على أفراد الجيش الثامن جميعهم . ضباطاً وجنوداً بيانا أحثهم فيه على الاستبسال وأطلب منهم ألا يستسلم أحد منهم ما دام غير مصاب بجراح وقادراً على القتال . ووعدتهم بالنصر

إذا ما قام كل بواجبه ، وكنت على يقين من النصر لأننا كنا الآن على استعداد تام للمهمة المطلوبة منا وهى طرد روميل من أفريقيا الشمالية .

فى صباح ٢٣ أكتوبر أدليت ببيان للصحافة ، ثم قصدت مركز قيادتى الاستراتيجى المنصوب قرب مركز قيادة الفرع الثلاثين . وفى المساء قرأت كتاباً ونمت باكراً . وحسنا فعلت لأننى كنت على يقين من أنهم سيحتاجون إلى فيجب أن أكون فى تمام الراحة لألبى الطلبات ؛ وفعلا قصدت وطلبت قبل ما كنت أظن .

فى الساعة ٩٫٤٠ مساء ابتدأت القنابل تقذف من نحو ١٠٠٠ مدفع ، وباشر الجيش الثامن بالهجوم ، وهو يملك نحو ١٢٠٠ مصفحة .

لقد سردت قصة هذه المعركة فى كتاب عنوانه : « من العلمين إلى نهر السانجرو » ، وعرض لها ده جنجان فى كتابه « العملية فيكتورى » . وقصدى الآن أن أذكر ما كان طابع تدخلاتى فى أوان الشدة .



البحر الأبيض المتوسط
بنغازي
قوى خفيفة
الفوج ٧ المصفح
اجدابيا
العقيلا
طبروق
الفوج الأول المصفح
تأشيرات
العدو
مطاردة العدو حتى العقيلا

يوم السبت ٢٤ أكتوبر

ابتدأ القتال فى ٢٣ أكتوبر وفقاً للخطة التى عرضت لها إلا أن الطريقين المفروض شقهما فى الشمال لأفواج الفرع العاشر المصفحة ما كان قد تم شقهما عند الساعة ٨ من صباح ٢٤ أكتوبر . وذكرت أن الأمر ذلك إن حدث ، سيتحتم على الأفواج أن تشق الطريقين بنفسها وهى تقاتل . إلا أن قوادها ما كانوا ليظهروا الإقدام اللازم وبدا لى بعض الفتور فى وحداتهم وجميعهم خائفون من خسارة المصفحات . فدعوت لومسدن قائد الفرع العاشر وصارحته بأننى على استعداد لتبديله وتبديل قواد أفواجه المصفحة بغيرهم إذا بقوا هكذا لا حماسة فيهم على العمل . فكان لكلامى هذا الوقع الحسن ، إن اللواء المصفح فى الفوج الأول استطاع أن يشق طريقا ونفذ منها نحو الساعة ٦ مساء إلى مراكز العدو حيث أصبح مكشوفا عن جانبيه . فانقلب عليه فوج البانزرس الخامس عشر ، وهـــذا ما كنت أريده بالضبط . وفى الجنوب أخذ الفوج النيوزلندى بالاتجاه نحو المنطقة الجنوبية الغربية وباشر بعملية التحطيم والاتلاف فى مشاة العدو . فى الجنوب أيضا شرع الفوج الثالث عشر يلعب الدور المطلوب منه .

الأحد ٢٥ أكتوبر :

فى الساعة ٢٫٣٠ ورد الخبر من الفرع العاشر أن الفوج العاشر المصفح ما كان يتقدم بسهولة فى الطريق التى إبتدأ بشقها فى جنوبى منطقة الفرع

الثلاثين . وقال قائد الفوج أنه ليس مطمئنا إلى عمليته وأنه ولو خرج من الطريق التى يشقها فانه سيصبح فى موقف حرج إذ أن فوجه لم يكن مدربا على عمليات كهذه . وكان لومسدن يميل إلى الموافقة على ذلك . أما الفوج الأول المصفح ، فى الطريق المشقوقة فى الشمال ، فكان قد نفذ إلى مراكز العدو فانقلبت عليه مصفحات الألمان بهجمات عنيفة كما كنت أتوقع ، فقرر ده جنجان أن يدعو قائد الفرعين العاشر والثلاثين إلى مكتبى ، وهنا علمت أن قائد الفوج العاشر كان عازما على إرجاع وحداته المصفحة من حيث كانت قد وصلت إلى ما وراء حقول الألغام فيذهب سدى كل ما كان قد أصابه من إفادة ، وهو يحاول تعليل ذلك بأن فوجه ستلحق به خسارات فادحة إذ بقى هكذا معرضا مكشوف الجانبين — وكان لومسدن من رأيه فطلب منى أن أتصل أنا ذاتى بقائد الفوج العاشر ، ففعلت وملكتنى الدهشة عند ما علمت أنه يوجه سير قواته وهو نحو ١٦ كيلومتراً بعيدا عنها فأمرته للحال أن يتقدم إلى الأمام ويقود قواه فى الجبهة لا من الوراء .

ثم صرحت علنا لقائدى الفرعين ، ليز ولومسدن أن خطتى لن تبدل وصرفت ليز واحتفظت بلومسدن ، فصارحته بأن إرادته أن تخرج المصفحات من منطقة حقول الألغام إلى مراكز العدو حيث تعمل حرة منطلقة ، وإذا لم يكن مستعداً هو وقائد الفوج العاشر أن ينفذ أوامرى تلك ، فإننى سأبدلهما بغيرهما ، وكان ما أردت . ففى الساعة ٨ صباحا نفذت مصفحاتنا إلى مراكز العدو ، وأصبحنا فى الحالة التى كنت أتمناها فى نهار الأمس فى الساعة نفسها .

وعند الظهر جمعت قواد الفروع فى مركز قيادة الفوج الثانى النيوزلندى وهناك اتضح لنا أن عملية الفوج النيوزلندى فى الجنوب الغربى ستكلفنا خسارات فادحة فعدلت عنها وبدلتها بعمليات من شأنها تحطيم مشاة العدو ، يقوم بها الفوج التاسع الأسترالى فى الشمال. والعملية تلك كانت تقتضى تغيير اتجاه قدره ١٨٠ درجة وهو تغيير لابد من أن يكون له وقع المفاجأة على العدو ، فيما كنت آمل .

الأربعاء ٢٨ أكتوبر :

كنت عالماً أن الصدمة الأخيرة كان لابد من أن تقع فى جبهة الفرع الثلاثين ولكن فى هذه الساعة كنت جاهلا الموقع بالضبط . إلا أنه من الواجب على أن استعد لها . فقررت أن آمر الفرع الثالث عشر فى الجنوب بأن يتخذ موقفاً دفاعياً وأن احتفظ بالفوج النيوزلندى كقوة احتياطية . ثم إن كل قوى البانزرس الالمانية أصبحت الآن فى منطقة الطريق التى كنا قد شققناها فى الشمال ، فلا سبيل إلى الهجوم هناك إذن ، فحولت تلك المنطقة من الجبهة إلى جبهة دفاعية واحتفظت بالفوج الأول المصفح كقوة احتياطية . وقررت أيضاً أن استخدم للوقت الحالى الفرع الثلاثين للقتال فى الشمال واحتفظت بالفرع العاشر كقوة احتياطية للهجوم . وأخيراً أمرت بتشديد عمليات التحطيم المكلف بها الفوج التاسع الاسترالى ، طالباً الاتجاه نحو الشاطىء إذ أصبحت ونيتى تنظيم شق جبهة العدو ومطاردته فى محور طريق الساحل .

الخميس ٢٩ أكتوبر :

كان العدو قد جمع معظم قواه فى الشمال ظاناً أن نيتنا أن نهاجم فى تلك المنطقة ، على الساحل . وهذا كان صحيحاً فى الاول ، إلا أننا كنا انتهينا الآن من فصل الالمان عن الإيطاليين . فأصبح الالمان فى الشمال والإيطاليون فى الجنوب ، والخط الفاصل بين الفريقين يقع بالضبط شمالى الطريق التى كنا قد شققناها فى الشمال .

فغيرت خطتى فوراً وقررت أن أحدث صدمتى على نقطة الاتصال تلك ولكن مع جانب أقوى من العنف على الجبهة الإيطالية . وقررت ذلك فى ٢٩ أكتوبر ، الساعة ١١ .

ولكن متى يكون تنفيذ قرارى الاخير ذلك ؟ كنت عارفاً أن العملية الحربية تورش المصممة فى انجلترا ، تطبيقها هى انزال الجيوش فى ٨ نوفمبر فى منطقة كازابلانكا — أوران . فمن الواجب علينا إذن أن نهزم عدونا ونتلف جيشه فى الوقت المناسب للمساعدة على تحقيق العملية الحربية « تورش » هذا علاوة على رغبتنا الشديدة فى أن نصل إلى طرابلس الغرب ، وفى استيلائنا على مطار مرطوبا لحماية السفن الحاملة النفط والأجهزة إلى مالطا .

فقررت بأن الفوج التاسع الاسترالى سيهاجم بشدة نحو الشمال ليصل إلى البحر وذلك فى ليلة ما بين ٣٠ و ٣١ (أكتوبر) مما يحمل العدو على تركيز انتباهه فى الشمال ثم فى الليلة التالية ، من ٣١ أكتوبر إلى أول نوفمبر أشق فرجة عميقة فى جبهة العدو ، شمال الطرق التى

شققناها أولا بالضبط والفرجة هذه سيشقها الفوج الثانى النيوزلندى يساعده اللواء التاسع المصفح ولواءا مشاة ، والعملية كلها ستكون تحت إشراف الفرع الثلاثين ، ثم « فى الفرجة المفتوحة يمر الفرع العاشر مع أفواجه المصفحة ، وقوام خطتى تلك هو أن أحمل بضربة قوية على اليمين ؛ أردفها فى الليلة التابعة بضربة قاضية على الشمال » وكان اسم العملية بكاملها : سوبرشارج .

فى الصباح وصل إلى مركز قيادتى الاستراتيجى الكسندر وده كازى ، وهو وزير دولة فى الشرق الأوسط ، وهما موفودان من قبل هوايتهال للاطلاع على الأسباب التى دفعتنى إلى الاحتفاظ ببعض القوى الاحتياطية فى حين أنه كان يبدو من اللازم رمى القوى كلها فى المعركة .

مما حمل بعضهم على الظن أن نيتى الانسحاب فى حين كنت على وشك الانتصار .

فأوضحت خطتى كلها ووافق الكسندر . وما علمت قط ، فيما بعد ، ماذا أبرقوا إلى هوايتهال إلا أننى كنت على يقين من رأى بروك فى .

الجمعة ٣٠ (أكتوبر)

قضيت الصباح أدون توجيهاتى فيما يختص بعملية « سوبرشارج » كنت أكتب أنا بنفسى ولا أدع شيئاً للأركان ، تاركا لهما هم تنظيم التفاصيل للخطوط العامة التى أسلمها إياها .

فدونت إرشاداتى من حيث التعليمات العامة التى كنت أريد الجيش الثامن كله أن يتقيد بها .

ثم من حيث عمل الفرع الثلاثين والفرع العاشر .

ثم حددت العمل المتوافق فيما بين الفرع العاشر والثلاثين .

ثم عينت العمل للفرع الثالث عشر وللقوى الاحتياطية وللطيران الحربى الملكى .

السبت ٣١ (أكتوبر)

رأيت أن العمليات اللاحقة « بالسوبر شارج » قد تكون نتيجتها الفشل إذا ما هاجمت فى تلك الليلة . فوفقا لذلك قررت فى أن أرجىء الهجوم إلى الليلة فيما بين أول وثانى (نوفمبر)

وكان من شأن الإرجاء ذلك أن يفيد العدو ، فقررت مد الشقة التى كنت قد أحدثتها فى جبهته إلى بعد ٢٠٠٠ متر ، حتى لا أترك له مجالا للراحة .

ولابد لى من أن أضيف أن السلطات العليا أخذت تشك فى حسن عاقبة خطة « السوبر شارج » ، وتتوقع فشلا من ورائها .

الاثنين ٢ (نوفمبر)

ابتدأ هجوم خطة « سوبر شارج » فى الساعة ١ بعد نصف الليل ، على جبهة وسعها ٤٠٠٠ متر . أحرزنا نجاحا باهراً ، عند الليل كان بين يدينا ١٥٠٠ أسير .

الثلاثاء ٣ (نوفمبر)

كل شيء يدل على أن العدو على وشك الانسحاب والهزيمة .

الأربعاء ٤ (نوفمبر)

فى الساعة ٢ بعد نصف الليل حملت ضربتين قاضيتين فى منطقة الشقة التى كنا أحدثناها وحيث كان العدو يحاول أن يمنعنا عن توسيعها . وكان ذلك خاتمة المعركة .

فانطلقت المصفحات فى مناطق لا ألغام فيها وأخذت تنصب صباً على وراء العدو وعلى قواه المتقهقرة ، تتقدمها المصفحات الفرنسية .

أما فى الجنوب فإن القوى الإيطالية ماكان يسعها إلا أن تستسلم لأن الألمان كانوا قد انتزعوها كل ما كانت تملك من أدوات نقل ومواصلات .

فكلفت هروكس بأن يجمعها ، وصرفت أنا اهتمامى إلى مطاردة قوى رومل المهرولة نحو الغرب .

عمل مصلحة الاستعمالات

هى منظمة الغاية منها تبليغ التعليمات الوارداة من الوحدات المتقدمة إلى مراكز قيادة الجيش وقيادات الفروع المختلفة . وكانت تعرف تلك المنظمة بالحرف « ج » ومخترعها ضابط ممتاز من اركانى اسمه هيومج مينوارينج أسر قرب مرسى مطروح فى ٢ (نوفمبر)

والتعليمات تلك تنقل بواسطة اللاسلكى فتطلع القائد الأعلى على حالة الجنود ومعنوياتهم وتشدالروابط فيما بين أفراد الجيش كله ,

بعض العبر : صارت معركة العلمين على مراحل ثلاثة تطورت العمليات الحربية بمقتضاها .

أولا : الهجوم وكانت الغاية منه الحصول على التفوق الاستراتيجى حتى نستطيع أن نستقر فيما بعد وتنسجم قوانا بعضها مع بعض، فنتمكن حينئذ من الانتقال إلى المرحلة الثانية .

ثانياً : التصارع العام وهى مرحلة عنيفة دامية ، الغاية منها تصديع قوى العدو فنتمكن بعدئذ من الضربة القاضية التى يتم بها تحطيم جيشه

ثالثاً : الفرجة وهى نتيجة ضربة قاضية فى منطقة اخترتها أنا فى خط العدو . ففى أثناء القتال ظن العدوان تلك الضربة ستكون فى الشمال فجمع الألمان هناك وترك الجنوب للايطاليين فحملتها على النقطة الفاصلة بين الفريقين مع التشديد فيها من ناحية الايطاليين فكان ما كان ونجاحنا راجع إلى أننى ثبت على خطتى وما تزعزعت قط مما ضاعف فى حماسة جيشى واندفاعه فى القتال .

إن مصير رومل قرر فى علم حلفا ، فهناك كان محور الحرب كما كتب فون ملنتين ، ثم سحق رومل فى العلمين .

إن رومل ، ولو كان قد حدث له أن ينفذ زاده ، ما كان قد هزم قط . أما الآن فإنه قد حطم تحطيما ، وقضى على الألمان والايطاليين فى أفريقيا .

الفصل التاسع

من العلمين إلى تونس

٥ (نوفبر) ١٩٤٢ — ٧ (مايو) ١٩٤٣

المطاردة نحو آجيلا

ابتدأت المطاردة الحقيقية فى ٥ (نوفبر) مع الفرع العاشر فى الإمام . أما الفرع الثلاثين (ليز) فتركته يرتب فى الغرب المنطقة حيث كانت الفرجة . واما الفرع الثالث عشر (هروكس) فكان عمله تنظيف موقع معركة العلمين وجمع عتادنا وعتاد العدو الحربى ، مع لم الاسرى الايطاليين الذين كان عددهم وافراً .

وغايتى القصوى كانت طرابلس الغرب وهى ابداً ودوماً هدف الجيش الثامن إلا أنه كان يقف دائماً عند بنغازى ويرجع القهقرى امام هجومات رومل . أما انا فكنت عازماً على ان انهى كل شىء واؤمن مصر من شر العدو مدة الحرب كلها . فعندما ابتدأت المطاردة اتضح لى اننى لن ادرك غايتى ما لم أعمل بما يلى :

الاستيلاء على مركز آجيلا وتحصينه من الغرب .

ﺟ) انزال فرع مصفح بقوة فى الجبل فى جوار مكيلى ، وهو فرع مروض على القتال نحو الجنوب ضد كل قوة من العدو تحاول المرور فى مركز اجيلا للدخول إلى مصر .

ح) الحصول من قيادة الجيش الجوى على ان يتواجد طيران الصحراء الحربى فى مطارات مرطوبة ، وفى جنوب بنغازى .

فلتسيير هذه العمليات الحربية اتفقت مع القائد الأعلى لطيران الصحراء الحربى ، كوننجام على الخطة المفصلة التالية : تكون المساعدة قوية بين الطيران وألوية المدرعات . فالمدرعات تدل قوى الطيران المطارد على المطارات الممكن استخدامها بعد الاستيلاء عليها ، وذلك فى مكان بعيد عن معظم الجيش المطارد فتتمكن الطائرات من أن تحط على تلك المطارات وتتابع مطاردتها . وغاية العملية المشتركة تلك ان تتحرش قوانا بالعدو وتتبعه عن كثب فى حين أن الطيران يحميها فى مطاراتها .

وما كنت أظن أننا سنصطدم بدفاع جوى قبل أجيلا . فلا شك فى أن روميل سيعسكر هناك ويحاول توقيفنا . وحينئذ يكون هو على قرب من قواعد تموينه ونحن على بعد من قواعد تموينا وهو عكس ما حدث فى العلمين .

ولذلك قررت أن أدعو الفرع العاشر يتابع المطاردة حتى الجبل فاوقفه هناك وآمره بأن يواصل سيره نحو بنغازى واجدابيا شرط أن تواصل ذلك السير قوى خفيفة من فرعه . ورأيت أن لومسدن سيستطيع

أن يقوم بتلك المهمة . فأكلف حينئذ الفرع الثلاثين بالهجوم على مركز أجيلا وبابتداء السير نحو طرابلس الغرب . وقررت أيضاً أن أسلم قيادة الفرع العاشر لهر وكس إلى أن يستقر ذلك الفرع فى الجبل ، وأن أرسل لومسدن إلى انجلترا لعجزه عن قيادة فرع فى معركة كبيرة وطلبت دمبسى من انجلترا ليحل محله . وهكذا أصبحت مطمئناً كل الاطمئنان إلى قيادة فروعى الثلاثة ، وأنا أعرف معرفة تامة مقدرة قوادها وهم لين، هورروكس ودمبسى . ووافق ألكسندر على التبديلات هذه كلها .

بلغت لومسدن التعليمات اللازمة لمطاردة العدو وحتى أجيلا ، وأشرفت إشرافاً دقيقاً على تسيير العمليات خوفاً من أن يحدث بعض القواد تغييرات يرونها موافقة للظروف وطالما كان يحـــدث ذلك فيما سبق فكدنا نخسر مصر بسببه — فأفهمت لومسدن أن كل الوحدات يجب عليها أن يتقيد بخطتى هذه المرة . كنت قد وعدت الجنود بنجاح تام ، وكنت عازماً على أن أقوم بوعدى .

وقليلا ، بعد ابتداء المطاردة ، كدت أقع أسيراً بين أيدى العدو . إلا أننى نجوت وتطورت العمليات على خير مايرام ، ولم ينج جيش رومل من الهلاك التام بفضل المطر الذى هطل مرتين ، مرة منهما فى مرسى مطروح حيث كدنا نحيط به من كل جانب ونملك عليه بأسره .

ومهما كان من أمر ، فإننى كنت أدفع الجيش الثامن بقـــوة إلى الأمام دوماً حتى ١٧ نوفمبر فاجتاز ٥٦٠ ميلا فى ١٣ يوماً . إلا أن

الحالة الإدارية أخذت تقلقني حينذاك . ذلك لأن القوى الجوية الموجودة فى مرطوبا كان عليها أن تشن الغارات الجوية على الطرق البحرية لتموين رومل ، وعلى طرابلس الغرب وعلى خطوط مواصلات العدو فيما بين طرابلس الغرب وأجيلا . والعمليات تلك تتطلب زاداً من النفط لايستهان بضخامته ، لا نستطيع أن نمد الطيران الحربى به من مستودعاتنا التى كنا فى حاجة ماسة إليها إذا كانت نية رومل أن يكون موجوداً فى اجيلا فيضطرنا إلى مقاتلته فيها لنزعها منه . ومن ناحية أخرى ما كنا لنستطيع أن نستغنى عن مساعدة الطيران الحربى : فإنه فى غاراته البعيدة المدى كان يسهل على الجيش عملياته .

ومهما كان من أمر فإننى فى ١٢ نوفمبر بعد طرد العدو، من مصر . إننى أقول أذعت على الجيش الثامن بياناً أبشره فيه بالأمر وأطلعه على خسارات العدو . فإن جيش البانزرس الألمانى قد فنى . وهكذا أيضاً الفروع العشرون والواحد والعشرون والعاشر الإيطالية ، وكان عدد الأسرى يربو على ٣٠٠٠٠ وبينهم ٩ قواد . وأثنيت فى نفس البيان على الطيران الحربى وتأثيره الفعال فى تأمين انتصارنا . وأضفت بأنه من الواجب علينا ألا نكتفى بطرد الألمان من مصر، بل يجب أن نواصل مطاردتنا حتى نطردهم من أفريقيا الشمالية كلها . وكان يدل توقيع بيانى ذلك انى كنت قد عينت قائداً .

معركة أجيلا : ١٢ - ١٧ ديسمبر ١٩٤٢

وفيما كنا نقترب من أجيلا أخذت أحس عند أفراد الجيش الثامن

بشىء من الاضطراب والقلق . فانهم لاشك كانوا يتساءلون هل يحدث لهم أم لا ما كان يحدث لهم سابقاً أى أن يصلوا إلى أجيلا ثم يرجعون على أعقابهم مهرولين أمام جيش رومل الذى يتتبعهم . فرأيت أن أهاجم المركز حالا وألا أتباطأ حفظاً لمعنويات جيشى وقررت بأن أحتال على رومل ولا أزال أتحرش به حتى يظن أنه إذا قبل القتال فهو لا بد خاسر .

أجل إن المركز كان صعب الاحتلال ولكن جيش رومل هو أيضاً ، كان لا معنويات له وهو فى انسحاب مستمر منذ اسابيع وقد اجتاز فى انسحابه ١٠٠٠ ميل ، هذا علاوة على أن الطيران الحربى كان يتتبعه من مكان إلى مكان بلا شفقة ولا هوادة ، فلا يصل إلى مركز إلا ويفكر بالفرار إلى المركز الذى وراءه ، كما كان الأمر للجيش الثامن سابقاً

فقررت حينئذ أن أهاجم وأن أوجه هجومى لا من ناحية الجنوب بل من ناحية الغرب حيث الساحة أشد موافقة لنا ، وذلك بعد إرغام رومل من الخروج من أجيلا وقررت أن يكون الهجوم فى القريب العاجل مادامت معنويات الجيش الثامن لا بأس بها .

فان الفرع الثلاثين كان قد حل الآن محل الفرع العاشر ، فتفقدت المركز مع ليز فى آخر أسبوع من (نوفمبر) وأطلعته على أوامرى تاركا التفاصيل كلها لمهارته فى تسيير العمليات الحربيـــة . أما طابع الخطة الخاص فكان زحفاً يقوم به فريبرج مع جنوده النيوزلنديين حول جانب العدو الجنوبى نحو مركز يقع فى شمال مراده ، ومن هناك نبتدىء

عملية حربية ضد قوى رومل الورائية ، وكل ذلك يتم فى وقت واحد مع هجوم جبهى يشنه الفوج الواحد والخمسون (هايلند) والفوج السابع المصفح . أما تاريخ ابتداء القتال فعينته لـ ١٥ (ديسمبر) .

ثم ذهبت إلى القاهرة للاجتماع بالسكندر لأعرض عليه خططاً أخرى وكنت أريد أيضاً أن أبتاع ثيابا وأجدد هندامى . فنزلت هناك فى المفوضية البريطانية فى القاهرة حيث شعرت ، بشىء من الغرابة ، إننى أصبحت رجلا مشهوراً .

عند رجوعى إلى مقر قيادتى ، وجدت الاستعدادات للهجوم على أجيلا متقدمة والعدو منهارة أعصابه بعض الشىء . فانه كان قد ابتدأ أن ينقل إلى مركز بويرا (وهو أقرب مركز صالح للدفاع فى الوراء) . فقررت أن أسبق بيومين التاريخ الذى عينته للهجوم .

وسار القتال على خيرمايرام إلا أن النيوزلنديين كانوا قد أسرعوا فى تتبع العدو فتسربت أسراب البانزرس بينهم وبين الفوج السابع المصفح الذى كان يتقدم بشدة . وكان عراك عنيف أخذ فيه الأسرى ثم استرجعوا من الجانبين فى يوم ١٦ (ديسمبر) . وأخيراً استطاع جيش البانزرس أن ينجو متجهاً نحو الغرب بعد أن كبده النيوزلنديون الخسارات الفادحة بمساعدة الطيران الحربى .

فأمرت الفوج النيوزلندى بأن يتوقف وينتظم فى نوفيليا وألحقت جيش رومل بقوى خفيفة استمرت تتصل به حتى مركز بويرا حيث كان محصناً تحصيناً منيعاً . وهكذا انتهت معركة أجيلا التى وقعت بين

أيدينا ، ثم نقلت مقر قيادتى التكتيكى إلى مربل أرتش قرب مطارات مردونا ، فى جوار مقر قيادة الفرع الثلاثين فمن ذلك المكان المتقدم كنت أستطيع بسهولة أن أوجه عمليات درس موقع بويرا لتصميم خطة التقدم نحو طرابلس الغرب .

عيد ميلاد ١٩٤٣ فى الصحراء

كنا الآن فى بلاد طرابلس الغرب ، على بعد ١٢٠٠ ميل من العلمين حيث ابتدأنا نسير . كان رومل قد هزم هزيمة قاضية .

فرأيت أن الجيش الثامن كان فى حاجة إلى الراحة حتى يستعيد قواه للوثبة النهائية على طرابلس ، فأمرت الجنود أن يتوقفوا عن القتال حيثما كانوا وأخبرت الجميع أنهم لن يرجعوا إلى القتال إلا بعد عيد الميلاد ، وأننا سنقضى ذلك اليوم المجيد بالهناء والسرور على قدر ماتتيح لنا الصحراء ذلك . واستوردت من القاهرة الأطعمة المألوف إعدادها لذلك العيد ، وأخذت الأركان التدابير اللازمة حتى يصل كل شىء فى الأوان اللازم .

ثم أذعت على الجيش الثامن بياناً أثنى فيه على أفراده للعمل الجبار الذى قاموا به منذ ٢٣ (أكتوبر) وأهنئهم جميعاً بعيد الميلاد ، وأذكر لهم كتابا كان قد بلغنى من فتاة فى اليوركشير كان حبيبها بينهم وهى تتمنى لنا جميعاً الفوز النهائى قبل عيد الميلاد ١٩٤٣ .

وسررت جداً بقضاء ذلك العيد فى الصحراء وهكذا كان الجميع

فيما أظن . نسينا المشاق والمتاعب بعد انتصاراتنا ، ومعنوياتنا على خير مايرام

ذكرت أن الجيش الأول (اندرسون) كان قد أنزل فى الجزائر فى ٨ (نوفمبر) وأخذ يتقدم نحو بيزارت وتونس . وكان هدفه بعد الاستيلاء على هذين الموقعين ، أن يتجه نحو طرابلس فمن ثم التساؤل فى من يكون الأول فى طرابلس الجيش الثامن أو الجيش الأول ، وأن يتصور الناس أن جيشاً غير جيشهم كان من المحتمل أن يستولى على طرابلس قبلهم كان يثير السخط فى قلوب بواسل الجيش الثامن . إن طرابلس كانت ، مدة ثلاث سنوات ، هدفهم الوحيد ، ولن يدعوه يفلت من بين أيديهم هذه المرة .

إلا أن حربنا وحرب تونس كانت تتقاربان الآن فلا بد من سلطة عليا واحدة تضبطهما وتوجه حركتهما فى آن واحد فلا تسيران كل من ناحيتها . فالذى كنا فى حاجة اليه هى قيادة عليا واحدة . وليس لجنة مؤلفة من عدة أفراد يكون فيها لكل رأيه .

أما رأيى أنا فكان أصح الطرق لأخذ طرابلس هو أن يسير الجيش الثامن إلى الأمام بمساعدة الطيران وأن يعد كل شىء لنجاح المسعى هذا ، لاشك فى أن عمليات الجيش الاول الحربية سهلت علينا مجهودنا إلا أن تقدم الجيش الثامن المستمر إلى الأمام هو الذى أنقذ الجيش الاول من كارثة عظيمة .

التقدم نحو طرابلس ـ ١٥ — ٢٣ (يناير) ١٩٤٣ :

بعد أن انتصر العدو فى بويرا صممت الخطة التالية لاخذ ذلك الموقع .

ما كنت أريد العدو أن ينسحب من جديد بل أن يقاتل فى مكانه فأطوقه من الجنوب . ولذا فإننى تركت معظم القوى المعدة للهجوم على بعد ١٠٠ ميل وراء الجبهة وتصرفت بشكل أن تكون المرحلة الاولى من تقدمنا كمعركة اصطدام جيش بجيش .

إن خطتى للهجوم على بويرا كانت الغاية منها أن أسير تواً إلى طرابلس من دون أن يستطيع العدو أن يمنعنا ويوقف سيرنا .

فالسرعة كانت العامل الأساسى وهذا مايتطلب زاداً غير قليل من النفط وأدوات الحرب الأخرى وكانت قواعدنا التموينية فى بنغازى وطبروق وهى بعيدة عنا ، فلابد من محطة تموين أخرى بينهما . أكد لى الاركان أن إحداث تلك المحطة يستغرق مدة حتى ١٤ (يناير) . فقررت أن أهاجم فى الـ ١٥ منه .

وكنت عالماً أننى ما لم أصل إلى طرابلس فى عشرة أيام ، لا بد لى من الرجوع على أعقابى بسبب نفاد الزاد . ومن ثم كان من الضرورى أن نتمكن من أن نستخدم مرفأ طرابلس حال وصولنا ولا ندع للعدو المجال لاحداث أى خراب فيه . فأصبحت خطتى أن أنتظر ١٤ (يناير) لانتهى من هم تموينى ، ثم أثب على العدو بقوة فى صباح الـ ١٥ منه فأسير تواً إلى طرابلس وأصل إلى تلك المدينة فى عشرة أيام . ولا يخفى ما كانت شدة خطر تلك العملية .

وفى ٤ (يناير) هبت عاصفة على البحر المتوسط واحدثت فى مرفأ بنغازى خراباً جسيماً ، وأصبحت السفن لا تستطيع الارساء فيه وذلك

حتى ١٢ (يناير) . فما العمل ؟ ما كان يمكننا الاعتماد على طبروق كرفأ يصل إلينا عن سبيله زادنا وعتادنا ، إذ أنه يبعد ١٠٠٠ ميل عن طرابلس ، وأخذ مقر القيادة الأعلى فى القاهرة يضطرب ، فسألنى إن كنت دائما على نية الهجوم فى التاريخ المعين سابقاً أم لا . فقررت ألا أغير شيئاً فى خطتى بل طلبت من أفواج الفرع العاشر الثلاثة وهو فرع هروكس أن يتركوا الجبل وجوار مكيلى حيث كانوا وأن ينقلوا لنا من طبروق وبنغازى الزلد والعتاد اللذين نحن فى حاجة إليهما فرضى هروكس وقام بمهمته بنشاط يستحق كل الثناء . فأذعت على الجيش الثامن بعد ذاك بياناً فيه أطلعهم على نيتى فى الزحف على طرابلس وهى لا تزال إلا على بعد ٢٠٠ ميل عنا وأطلب منهم أن يبلوا فى تلك المرحلة الأخيرة البلاء الحسن الذى كان منهم حتى الآن .

وابتدأ الزحف ١٥ (يناير) وسار على خير ما يرام وأصبحنا ، فى ١٩ (يناير) أمام مركز حمص — طرهونا ، وعنده أبدى العدو محاولة فى أن يكون خط دفاع . ثم تخاذل الفوج الـ ٥١ وأظهر بعض الفتور والتعب فاتصلت بقائده وقلت بعض كلمات عنيفة ، وعادت حركة القتال إلى شدتها الأولى فدخلت قواتنا المتقدمة طرابلس فى ٢٤ (يناير) ١٩٤٣ ، الساعة ٤ صباحاً ، ثلاثة أشهر بالضبط بعد ابتداء معركة العلمين .

الجيش الثامن فى طرابلس

رأيت أن وجود الجيش قرب مدينة مثل طرابلس كان خطراً . فإن القصور والمنازل الفخمة وضعت تحت تصرف الضباط وعرضوا على قصر الحاكم الايطالى فرفضت ، ثم منعت الضباط من أن يسكنوا فى المنازل فى المدينة بل أذعت الأوامر بأن يبقى أفراد الجيش جميعهم فى المخيمات ، فى الصحراء ، خارج طرابلس . فإن الجيش الثامن كان لا يزال فى حرب ، وما كنت أريد أن يتعود جنودى على الرفاهية والرخاء بل يبقى على حماسته واندفاعه .

وبعد ذلك سرت مع ليز إلى المدينة وتجاوزناها إلى شاطىء البحر لتناول أكل العصر وللاستحمام . فجلسنا نتحدث عن الماضى والمستقبل إذ كنا صديقين حميمين ، وكان ضباط حاشيتنا جالسين فى جوارنا على الرمل وهم يتحدثون أيضاً فيما بينهم. فسألته عما عسى أن يكون موضوع أحاديثهم ، فأجابنى أنهم ولا شك يتساءلون فيما عسى أن تكون نساء طرابلس وكنت على يقين من صواب جوابه فقررت أن أبعد الجيش عن طرابلس فى أسرع وقت ممكن .

وبلغنى الخبر ، بعد يومين من وصولنا أن مواد الطعام فى طرابلس ما كانت موفرة التوفير اللازم ، فأصدرت الأوامر بمنع أفراد جيشى عن أن يبتاعوا طعاماً قط من الحوانيت والمحلات الطرابلسية ، بل يكتفوا بالحصص المخصصة بهم هذا فيما عدا الشاى الذى سمحت بشرائه وبلغت أصحاب المطاعم أوامرى تلك . والتدابير هذه اتخذتها كلها منعاً

للاضطراب والفتن التي ربما حدثت فى حال مجاعة فتكون فرحة للالمان فى أن يستعيدوا تفوقهم علينا ، هذا علاوة على أن دعاية العدو لن تسكت فى حين حدوث مجاعة فى طرابلس بل تستثمرها لغاياتها ومآربها.

فى ٣و٤ (فبراير) قام رئيس الوزارة ورئيس الأركان الحربية الامبراطورية بزيارة إلى طرابلس . فاستعرض وحدات من الجيش الثامن وبدا التأثر ظاهراً على وجه تشرشل وكنت أنا جد فخور بقيادة رجال كهؤلاء البواسل . وطلبت إلى تشرشل أن يوجه إليهم بعض كلمات ففعل . وفحوى خطابه أن جنود الجيش الثامن ، منذ العلمين ، أخذوا يتقربون كل يوم من وطنهم ، وأنهم إذا ماسئلوا بعد الحرب ، ما الذى قاموا به من مهمات ، يستطيعون أن يجيبوا فقط : « كنا فى الجيش الثامن » .

كان همى الاول ، حال وصولى إلى طرابلس ، إصلاح المرفأ لاستخدامه كقاعدة لاستيراد ما قد نحتاج إليه من زاد وعتاد ، فيمكننا بعد ذلك أن نستغنى عن طبروق وبنغازى. وتم لى ذلك بمساعدة البحرية فدخل أول مركب مرفأ طرابلس فى ٣ (فبراير) ووصلت إليه الذخيرة الاولى فى ٧ منه .

كنت أتوقع أن تكون أقرب معركة ندخلها على خط مرث وستكون تلك المعركة عنيفة . فالمركز منيع للاستيلاء عليه . كنت أرى أنه لا بد من تطويقه من الجانب الغربى . فنويت أن استخدم النيوزلنديين لتلك المعركة وارسلت قوى لاستكشاف الموقع قبل عيد

الميلاد ، عندما كنا لا نزال فى اجيلا ، أى ثلاثة أشهر قبل معركة مرث . ففى اثناء تلك الفترة كان علينا ان نطارد العدو إلى ذلك المركز حتى نتمكن من الاستكشاف عنه ، وأن نسيطر على مفترقات الطرق .

فما استخدمت لتلك العملية ، فى بادىء الأمر ، إلا الفوج السابع المصفح ، ثم أخذت أقوى المنطقة المتقدمة حيث أرسلت الفوج الحادى والخمسين ولواء مـدرعات آخر . وفى آخر (فبراير) أصبح مرفأ طرابلس صالحاً لارساء السفن ويصل إليه كل يوم ٣٥٠٠ طناً من الزاد والعتاد ، فانتهيت من همومى الادارية واستقدمت الفرع العاشر من منطقتى طبروق وبنغازى إلى طرابلس .

ولا بد لى من أن أذكر أن الجنرال لوكلير كان قد انضم إلى بعد وصوله من التشاد مع قوته الفرنسية الصغيرة . فجعل نفسه فوراً تحت تصرفى طالباً منى لقاء ذلك تزويده بالأطعمة والنفط والألبسة . فرضيت للحال وأنا جد مسرور بأن أساعد ذلك الرجل الممتاز .

بمقتضى قرارات مؤتمر كازا بلانكا المنعقد فى ٢ (يناير) ، أصبح الجيش الثامن تحت قيادة ايزنهاور فى حرب تونس ؛ وعين الكسندر مساعداً له والقائد الأعلى للقوى البرية ؛ اما تدر فعين قائداً أعلى للقوى الجوية كلها فى منطقة البحر المتوسط . وكل هـذه التقريرات حسنة من شأنها أن تؤمن لنا الفوز النهائى . فإن القوى الجوية فى تونس ومالطا كان من الممكن جمعها مع الجيش الثامن الآن سعياً وراء عملية حربية واسعة واحدة . فاجتمع كوننجام إلى تدر كقائد للطيران التكتيكى ،

وتسلم هرى برود هرست قيادة قوى الصحراء الجوية التى كانت تعمل إلى جانب الجيش الثامن .

قال لى الكسندر إنه كان قد وجد الحالة فى اضطراب لا مثيل له عندما انضم إلى ايزنهاور ؛ كان الجيش الأول قد قوبل بهجوم عنيف جداً فى جبهته الشمالية فعمت الفوضى وتفاقمت الحالة . فالجمود فى كل ناحية : لا سياسية ، لا خطة ، لا قوى احتياطية ؛ لا تمرين . فلا بد ، بعد ذلك من عدم اللجوء إلى الارتجال فى كل شىء . هذا علاوة على أن القوى الأميريكية كانت لاتزال فى أول اختبارها للحرب ، مثلما كنا نحن عند دخولنا فيها .

فانكب الكسندر على العمل واصلا ليله بنهاره إلا أنه أحس بالاضطراب و قلق مدة ما فكتب إلى فى ٢٠ (فبراير) مستغيثاً طالباً إن كان فى استطاعتى أن أقوم بعملية ما تخفف من ضغط العدو على الأمريكيين فأجبته بالايجاب وتحرشت بروملِ واتضح فى ٢٦ (فبراير) أن ضغطنا كان قد أضطر روملِ إلى التوقف عن القتال ضد الأمريكيين فارتاح الكسندر وكتب لى فى ١٥ (مارس) قائلا إن المريض أخذ فى المعافاة وإنه على قرب من الشفاء التام . فإن الأمريكيين بعد أن رأوا الحرب عن قرب واختبروها أصبحوا جنوداً من الطبقة الأولى .

اما روملِ ، فبعد هزيمته فى جبهة الجيش الأول ، كان لا بد من أن ينقلب على جبهتنا. وكنت أتوقع ذلك .فاستقدمت الفوج النيوزلندى من طرابلس وأخذت فى الاستعداد للصدمة وهى ، فى يقينى ، لا محالة

واقعة ، وماكنت أشعر بالاطمئنان التام إلى قواى بعد المجهود الذى كنت قد طلبته منها لنجدة الكسندر . وكان شعورى فى إننا سنضطر إلى معركة دفاعية مثلما تم فى علم حلفا ، فأردت أن استغنمها كفرصة تسهل على الهجوم فيما بعد . فى مساء ٥ (مارس) كانت كل الدلائل تشير إلى أن هجوم العدو علينا سيتم فى صباح الغد .

معركة مدنين ٦ (مارس) ١٩٤٣ :

وباشر رومل بهجومه ، كما كنا نتوقع باكراً فى الصباح ، وقام بذلك الهجوم أفواج ثلاثة من البانزرس . فصددنا ذلك الهجوم فعاد رومل إلى هجوم ثان بعد الظهر ، واضطر أيضـــاً إلى الانسحاب وخسر ٥٢ مصفحة .

اما خساراتنا فكانت لا شأن لهـا . وكان موقفى فى مدنين كما كان فى علم حلفا ، وواصلت اعداد هجومى أنا . ومثلما سهلت معركة علم حلفا انتصـارنا فى العلمين ، هكذا أيضاً سهلت معركة مدنين انتصارنا فى مرث .

معركة مرث : ٢٠ — ٢٧ (مارس) ١٩٤٣ :

إن خط مرث كان قد بناه الفرنسيون فى تونس وهو خط دفاعى ضد هجوم ايطالى من طرابلس الغرب إن حدث .

وكان ذلك الخط منيعاً بطبيعته ، ثم زاد الفرنسيون والألمـان فى مناعته ، أما جانبه الغربى فكان متصلا بجبل مطمطه . وكانت منطقة

غربى جبال مطمطة تعتبر كبحر رمال لا يمكن السير فيه ، يمتد عدة أميال نحو الغرب . وأكد لى الفرنسيون أن التطويق عن سبيل بحر الرمال ذلك كان أمراً مستحيلا وما كنت أرانى ناجحاً فى هجوم جبهى ضد أى مركز فى تلك المناعة . فكان لابد من أن تقوم خطتى خاصة بتطويق يتم عن غربى جبال مطمطة ، يرافقه فى الوقت نفسه هجوم جبهى محدود .

فالمشكلة التى كنت أمامها هى : هل كانت هناك طريق تمر فى بحر الرمال ؟ ربما يذكر القارىء أننى كنت أرسلت قوى لاستكشاف تلك المنطقة قبل عيد الميلاد . وكانت فئة الصحراء تبينت طريقا . فأخذت خطتى تتبلور ، وبدت لى أخيراً فى خطوطها العامة التالية :

١ ــ أما الفرع الثلاثون فكان عليه أن يهاجم فى الجانب الشرقى بثلاثة أفواج .

ويجب أن يكون ضغطه مستمراً عنيفاً ، مستنداً إلى البحر فى جانبه الأيمن ، وغايته أن يستميل اليه قوى العدو الاحتياطية .

٢ ــ اما النيوزلنديون مع وحدات عديدة تكون قد ضمت اليهم ، فكان هدفهم أن يطوفوا الجانب الغربى ويندفعوا بعد ذلك إلى الامام وراء جبال مطمطة .

٣ ــ أما الفرع العاشر فيحفظ للاحتياط مع فوجين مصفحين (الأول والسابع) والغاية منه أن يهاجم أحد الجانبين حسبما تقتضيه

الحاجة . وهو علاوة على ذلك مطلوب منه أن يحمى المراكز الأساسية والساحات المهمة .

٤ ــ والعملية الواسعة تلك كلها سيقوى فى شدتها وضغطها بجهود عنيف مستمر من قبل القوى الجوية .

فجمعت القوى النيوزلندية - وهى مؤلفة من ٢٧٠٠٠ مقاتل و٢٠٠ مصفحة - فى الجانب الجنوبى ، فى فجر ١٨ (مارس) ولم يحس العدو بذلك . وفى ليلة مابين ١٧ و ١٨ (مارس) قمنا ببعض عمليات تمهيدية على جانبنا الأيمن من شأنها أن تصرف انتباه العدو الى غير المكان الذى كنت أريد أن أضرب فيه ضربتى القاضية . ونجحت تلك العمليات ، إلا أن اللواء ٢٠٢ من الحرس فقد فى احداها ٢٤ ضابطا و٣٠٠ رجل ، ولكن ما كان ذلك بدون فائدة لأن ذلك اللواء أدى للنجاح النهائى مساعدة قوية .

أما هجوم الفرع ٣٠ ، فكانت نيتى الأولى ألا يتم إلا فى ٢٠ مارس فى الساعة ٨ مساء . إلا أننى تأكدت فى صباح ٢٠ (مارس) ان العدو كان قد اكتشف القوى النيوزلندية المتوارية فى جانبى الجنوبى . فأمرت حينئذ النيوزلنديين بأن يتوقفوا عن التستر وبأن يهاجموا بعنف نحو جبهة الشمال . ففعلوا .

وفى ٢٠ مارس أذعت للجيش بياناً أقول فيه إن رومل ، فى مارس عند موقعة مدنين ، كان قد نبه رجاله الى أنهم لم ينجحوا فى تلك المعركة فإن أيام قوى الألمان والايطاليين فى أفريقيا تصبح أياماً معدودة .

وبالصواب نطق . فاليوم ، بعد انتصارنا فى مدنين، أصبحت أيام المحور فى أفريقيا حقاً أياماً معدودة . فغاية الجيش الثامن الآن أن يحطم العدو الموجود فى خط مرث ، وأن يمر فى ثغر كابس يواصل سيره نحو الشمال الى سفاقس ، سوى تونس فى النهاية . ولن نتوقف عن غايتنا مالم ندرك تلك الغاية . ولاننسى أن العالم أجمع أصبح متطلعاً إلينا بعد الشهرة التى نلناها بانتصاراتنا المتتالية ، فإلى الأمام الى تونس وانرم العدوالى البحر

أما مراحل المعركة فلقد عرض لها عدة مؤلفين ويمكن تلخيصها بما يلى :

ب) ابتدأت المعركة بضربة عنيفة فى يميننا .

ح) فى حين كانت تلك الضربة تتحقق ، ابتدأنا بتطويق من يسارنا .

د) وتطور الهجوم عن اليمين تطوراً مرضياً بادىء الأمر . إلا أن العدو جمع فى تلك المنطقة قواه الاحتياطية فاضطر الفرع الثلاثون أن يرجع القهقرى إلى مراكزه السابقة . فأسرع ليز ليطلعنى على الخبر ، فتلقيته برباطة جأش وأمرت ليز بأن يقف مكانه وينتقل الى طور الدفاع بدلا من الهجوم .

ه) قررت أن أثبت فى جانب اليمين ولكن لابد أن أواصل ضغطى من هذه الناحية بحيث تواصل القوى الاحتياطية الألمانية قتالها فيها . وقمت فى الآن نفسه بهجوم فى منتصف الجبهة ضد جبال مطمطه، مستخدما لذلك الفوج الرابع الهندى

و) حينئذ أرسلت الفوج الأول المصفح من قواى الاحتياطية ليساعد القوى النيوزلندية فى حركتهم التطويقية التى أخذت تسير بسرعة وكلفت هروكس بأن يهتم هو نفسه بتلك الحركة ، فى حين كنت أعد هجوماً مفاجئاً حال وصوله الى هناك .

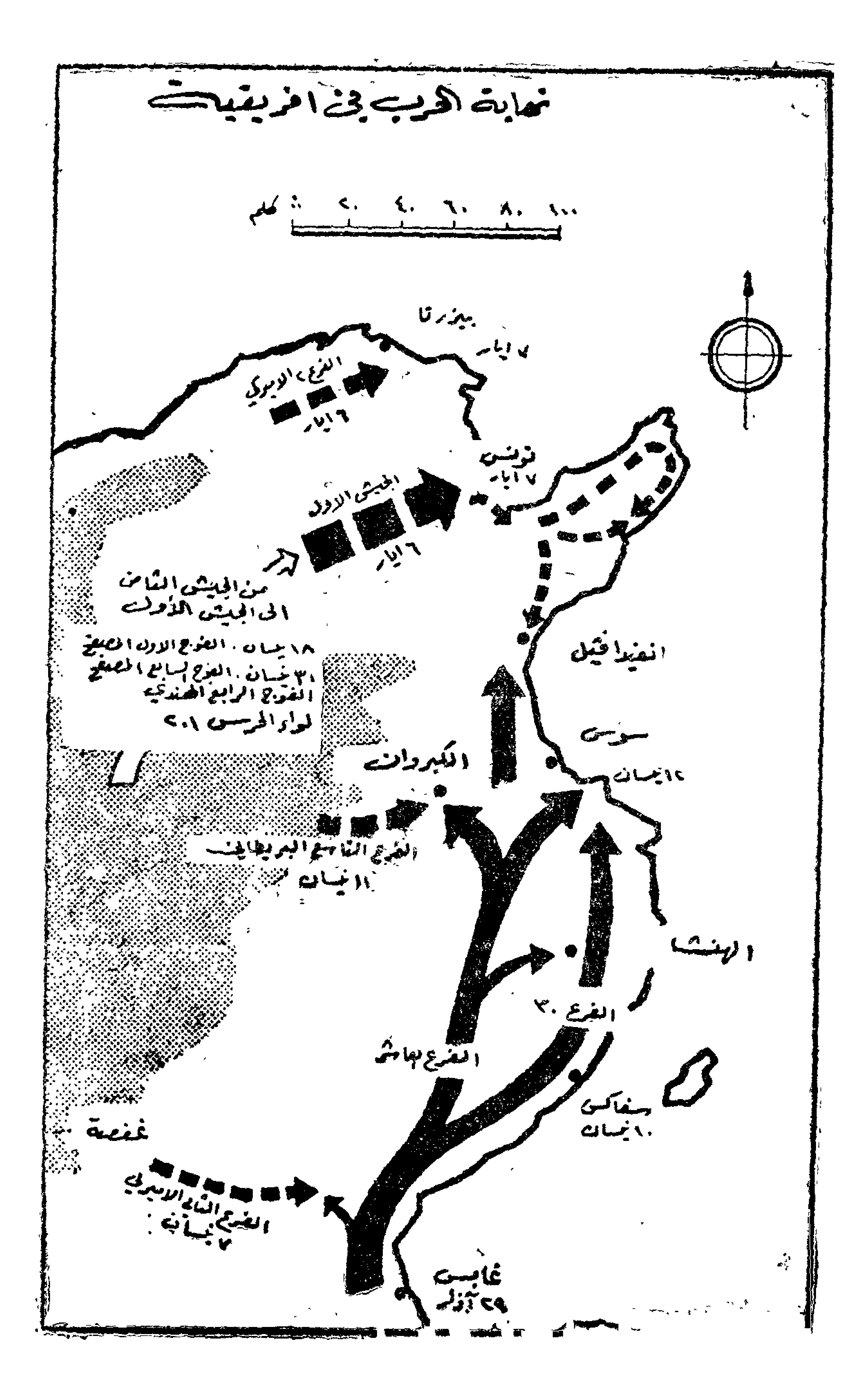
ز) وأحس العدو بنيتى تلك فأسرع إلى نقل قواه الاحتياطية من اليمين إلى اليسار ، ولكن لم تصل فى الوقت اللازم ، بل كان هجومنا الفجائى قد ابتدأ بعشرين دقيقة قبل وصولها .

وفى ٢٨ (مارس) الساعة ٩ صباحاً كنا قد استولينا تماماً على خط مرث كله بعد معركة لم تدم أكثر من أسبوع .

أما طابع تلك المعركة الرئيسى فكان الهجوم الفجائى الذى قمنا به فى الجانب الأيسر ، فى وضح النهار بعد ظهر ٢٦ (مارس) . وكانت الشمس وراءنا وفى عيون العدو ، علاوة على أن عاصفة كانت قدهبت فى الصحراء وأخذت تثير الرمل وتدفعها نحو الألمان . كان العدو يتوقع هجومنا فى الليل وهى عادتنا ، فهاجمناه فى وضح النهار بقوة وعنف . ، فالفضل فى انتصارنا حينذاك راجع الى هجومنا الفجائى، والتكاتف التام بين القوى البرية والجوية ، والرضا بتكبد المخاطر والخسارات .

أما الطيران فإنه أبلى البلاء الحسن قاذفا قنابله على كل شىء يتحرك بعيداً وراء العدو ، وكان عدد الأسرى ٢٥٠٠ كلهم ألمان وأما الأسرى من صفوفنا فكانوا ٦٠٠ ، من بينهم ٨ طيارون فقط .

وكان ذلك الهجوم المفاجىء برهاناً قاطعاً على فعالية التكاتف فيما بين القوى الجوية والبرية. ولابد من أن أذكر أن قيادة الطيران الحربى كانت قد ترددت أول الأومر فى الاشتراك فى هجومنا وأرسل كونتجام ضابطاً لاقناع هرى برود هرست قائد الطيران الحربى فى الصحراء فى أن يمتنع عن ذلك الاشتراك ، فما فعل بل قبل أن يخاطر ويتكبد الخسارات فنجح ونال ثناء من مقر القيادة الأعلى لا بل من وزارة الطيران نفسها.


نهاية الحرب في افريقية
١٠٠ ٨٠ ٦٠ ٤٠ ٢٠ ٠ كلم
بيزرتا
٧ ايار
الفرع ٢ الاميركي
٦ ايار
تونس
٧ ايار
الجيش الاول
٦ ايار
من الجيش الثامن
الى الجيش الاول
١٨ نيسان . الفوج الاول المصفح
٣٠ نيسان . الفوج السابع المصفح
الفوج الرابع الهندي
لواء الحرس ٢٠١
انفيدافيل
سوسة
١٢ نيسان
القيروان
الفوج التاسع البريطاني
١١ نيسان
الهنشا
الفرع ٣٠
الفوج العاشر
صفاقس
١٠ نيسان
غفصة
الفوج الثاني الاميركي
٧ نيسان
غابس
٢٩ آذار

انتهاء الحرب فى افريقيا

واتضح أن الحرب فى افريقيا كان لابد من أن تنتهى بسرعة فإن الجيش الثامن ما كان باقياً عليه إلا أن يندفع فى ثغر كابس لينضم إلى القوى الأميريكية فنحصر العدو بين جبهتين . فى ٦ (ابريل) حدثت معركة عنيفة بيننا وبين العدو ، دامت يوماً واحداً وأصبنا فيها ٧٠٠٠ أسير من الألمان . فى ٨ (ابريل) استطعنا أن نتصل بالأميريكيين فى شرق غفسا ، وكنا فى سيرنا نأسر مايربو على الألف الأسير كل يوم . وكل هذا يدل على أن جيش الألمان ابتدأ حينذاك فى التفتت فى ١٠ ابريل فتحنا سفاكس واستولينا عليها .

كان بدل سميث رئيس أركان ايزنهاور قد قام بزيارة لى فى طرابلس للتناقش فى مصير الحوادث . فوعدته حينئذ أننى سأستولى على سفاكس فى ١٥ (ابريل) فأجابنى أن ايزنهاور ، إذا ما فعلت ، سيعطينى ما أشاء فأجبته إننى سأفعل ، وإننى ، إن نجحت ، أريد من ايزنهاور طائرة . فوعدنى خيراً . ففى صباح ١٠ (ابريل) كتبت إلى ايزنهاور أطالبه بالوفاء بوعده ، فوصلتنى الطائرة فى ١٦ (ابريل) ، وأصبحت قائداً سريع الحركة . وفيما بعد استنكر من بروك عملى ذلك بعنف قائلا إن ايزنهاور غضب غضباً شديداً عندما وصله كتابى وأن بدل سميث

كان يمزح عندما وعدني بالطائرة ، مضيفاً أن الطيران الحربي كان قادراً أن يمده بطائرة ، إلا أن هذا كان خطأ لأنني طلبت من الطيران الحربي غير مرة أن يجعل طائرة تحت تصرفي فما فعل .

في ١٠ (ابريل) كتبت إلى ألكسندر لأسأله على من يقع المجهود الرئيسي في المرحلة النهائية للحرب في تونس . واقترحت أن يكلف الجيش الأول بذلك لسهولة العمل في السهل الواقع غربي تونس ؛ أما من جهتي فكان أمامي منطقة إنفيدافيل وتكرونا الجبلية . فوافق ألكسندر وبالفعل فإنني لم أنجح النجاح التام في تقدمي . إلا أن الجيش الأول لم ينجح في عملياته وكنت حينئذ ملازماً الفراش لزكام أصابني ، فطلبت إلى ألكسندر أن يقدم إلى مقر قيادتي قرب سفاكس لأتباحث معه . فوصل في ٣٠ (ابريل) . فقلت له إنه من اللازم أن يتم جمع الجيش الأول والثامن بحيث نتمكن من أخذ تونس في أقرب وقت ، وفي المنطقة الأشد موافقة لنا . واقترحت أن أعطيه وحدات من جيشي ومنها خاصة الفوج السابع المصفح . وأضفت أنني مستعد أن اعطيه أيضاً أحد قواد فروعي القادرين وفكرت بهروكس . وأخيراً قلت إن الحرب لابد من أن تنتهي بسرعة في افريقيا ، إذ أنه كان علينا أن نفتح صقلية في (يوليو) . ولم نكن حتى ذلك الحين ، على الاستعداد اللازم لذلك .

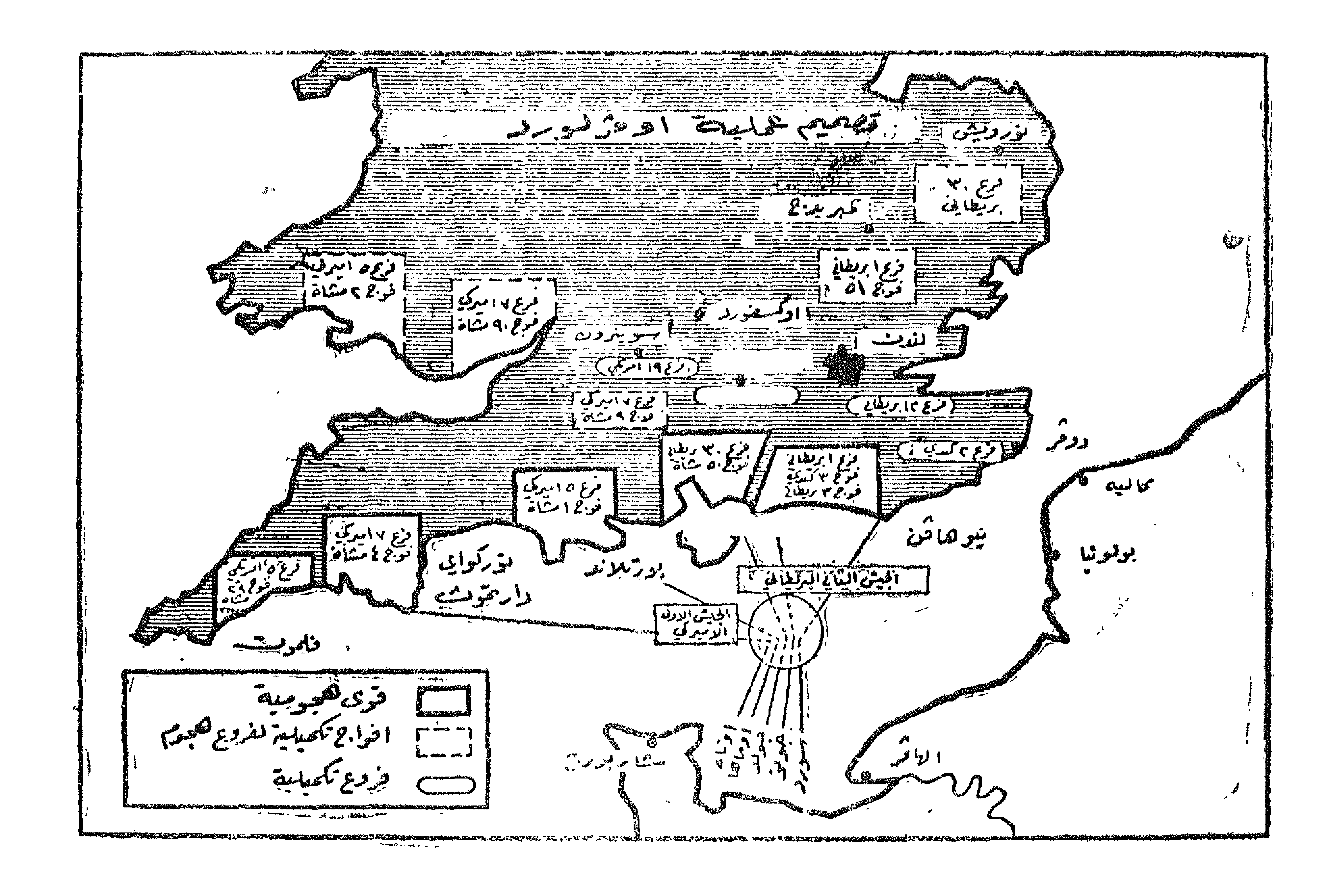
فوافق ألكسندر ، وانتقل هروكس إلى الجيش الأول فنظم في ٦ (مايو) المعركة التي الغاية منها فتح تونس . فنجح نجاحاً باهراً وأخذت تونس وبيزرتا في ٧ (مايو) فانحصر العدو في شبه جزيرة رأس بون .

وكان الفوج السابع المصفح أول من دخل المدينة ، وهو يستحق ذلك وانتهت مقاومة العدو فى ١٢ (مايو) فاستسلم ووقع بين أيدينا ٢٤٨٠٠٠ مقاتل .

وهكذا انتهت الحرب فى افريقيا . فإن الاحتفاظ بالجيوش الألمانية فى افريقيا بعد موقعة مرث كان خطأ كبيراً من الناحية العسكرية . وأظن أن هتلركان قد أمر به لأسباب سياسية . فإن تلك الأسباب قد تكون ضرورية فى بعض الأحيان، ولكنها غالب الأحيان عاقبتها الهلاك التام .

أما عمل الجيش الثامن فى تلك الحرب فلا حاجة إلى تحليله بعد كل الذى ذكرت . فى اوائل (يونيو) كتب رئيس الوزراء فى كتابى المخصص للتوقيعات :

« إن إتلاف أو أسر كل قوى العدو فى تونس ، بعد أن تبلورا باستسلام ٢٤٨٠٠٠ مقاتل ، يظهر أن الخاتمة الممتازة للمشاريع العظيمة المصممة فى العلمين . شاءت الأقـــدار أن تكلل بالنجاح التام الباهر المساعى المقبلة التى لا تزال تنتظر بواسل الجيش الثامن » .



تصميم عملية اوفرلورد
نورويش
فرع ٣٠ بريطاني
كمبريدج
فرع ١ بريطاني فوج ٥١
اوكسفورد
لندن
فرع ١٧ اميركي فوج ٩٠ مشاة
فرع ١٩ اميركي
فرع ١٢ بريطاني
دوفر
كاليه
بولونيا
نيوهافن
فرع ٥ اميركي فوج ٤ مشاة
فرع ٥ اميركي فوج ١ مشاة
فرع ٣٠ بريطاني فوج ٥٠ مشاة
فرع ١ بريطاني
الجيش الثاني البريطاني
الجيش الاول الاميركي
بورتلاند
توركواي
دارتموث
فالموث
الهافر
قوى هجومية
افواج تكميلية لفروع هجوم
فروع تكميلية

الفصل العاشر

حرب صقلية

١٠ (يوليو) -- ١٧ (أغسطس) ١٩٤٣

في (يناير) ١٩٤٣ وردت إلى أفريقيا الشمالية تعليمات تنص بأنه سيقام بعمليات حربية الغاية منها عزل إيطاليا عن الحرب . وقرر أن الاستيلاء على جزيرة صقلية سيكون الخطوة الأولى في هذا المضمار . وسميت تلك العملية باسم « هوسكي » .

وفي ٢٠ (ابريل) في حين كان الجيش الثامن لا يزال يقاتل في تونس أرسلت إلى ألكسندر كتاباً لأطلعه على أن الحالة الناتجة عن خطة عملية « هوسكي » كانت تقلقني . كنت عالماً أنهم قد صمموا لذلك خطة في لندن إلا أن ما سمعت عن تلك الخطة كان يدفعني إلى ألا أظنها حسنة . فكنت أرى من الضرورة أن نجتمع بأيزنهاور لاتخاذ قرارات عن بعض مسائل جوهرية . فقبل اقتراحي هذا وسافرت إلى الجزائر في ١٩ (ابريل) .

وفي الطائرة التي كانت تقلني إلى الجزائر رحت أفكر بالعمل المطلوب مني وأدون ملاحظاتي عليه وسلمت نسخة عنها إلى ألكسندر

أما النقاط التى ألفت الانتباه إليها فهى التالية :

١ ـ التواريخ المهمة الخاصة بالجيش الثامن فيما يتعلق بإنزال الجيوش فى صقلية . ومن هذه التواريخ خاصة أول (يونيو) وهو اليوم المعين لإنزال الجيوش .

٢ ـ جهلى وجهل أركانى لتفاصيل الخطة المصممة لتلك العملية لا سيما وأن بعض وحدات جيشى المطلوب اشتراكها فى احتلال صقلية لا تزال فى تونس . هذا مع العلم أن ضباط الأركان الذين اشتغلوا فى تصميم تلك الخطة يجهلون تمام الجهل حاجيات المعركة .

٣ ـ الأمر المهم فى كل ذلك هو أن نخرج من حرب تونس منذ الآن مقر قيادة الجيش الثامن وكل الوحدات المفروض اشتراكها فى حرب صقلية . ولكن هل يمكن بعد ذلك أن ننهى حرب تونس فى المدة اللازمة لمباشرة الحرب بعدئذ فى صقلية ؟ لا أدرى ما الجواب .

٤ ـ لكى أقوم بالعمل المطلوب منى لابد من أن ألبى الأشياء التالية .

(ا) يجب أن تعيين رئيس أركانى فى رتبة ماجور ـ جنرال فيمثلنى فى القاهرة وتسمح له رتبته بأن يكون لتمثيله لى التأثير اللازم حتى أبقى دائماً قابضاً على زمام الأمور. وعلاوة على ذلك أن استطيع ايفاد أيا شئت إلى القاهرة فيبقى هناك إما دائماً وإما لوقت محدود .

(ب) يجب استحراج الوحدات المطلوبة لمعركة صقلية من تونس فى الحال ، وفى متقدمتها قيادة الفرع الثلاثين ومقرها الأعلى .

(ج) أقوم بنفسى بزيارة إلى القاهرة عن قريب لدرس الموضوع وأريد التنقل بين القاهرة وتونس كل ما رأيت أن الحالة تقتضى ذلك .

(د) هناك تدبيرات لابد من أخذها فيما يختص ببعض الأفواج والوحدات ولا سيما فوج النيوزلنديين الذى لا يمكن ادخاله فوراً فى حرب صقلية .

(ه) لابد من إخراج الجيش الثامن من حرب تونس فى الوقت اللازم ، وذلك قبل أوائل (مايو) على كل حال . هذا علاوة على أنى اقترح أن ينقـــل الفرع العاشر من الجيش الثامن إلى الجيش الأول .

فوافق الكسندر وايزنهاور على ما عرضت وأبرق إلى المكتب الحربى لتعيين ده جنغان فى رتبة ماجور - جنرال للوظيفة التى طلبتها له ، وذهبت إلى القاهرة فى ٢٣ (ابريل) . و فى الطائرة أخذت أفكر فى الماضى والمستقبل .

علمت بواسطة ده جنجان أن سبع خطط كانت قد صممت لإنزال الجيوش فى صقلية .

أما الخطة الأولى فكانت عمل الأركان المشتركة فى لندن فى (يناير) ١٩٤٣ ، وبمقتضاها يتم الإنزال على قياس واسع مندفعتان فى الجهة الشرقية إلى الطرف الشمالى من الجزيرة ولا شك فى أننا ما كنا لنرضى بها إلا أننا ، حين صممت ، كنا لا نزال فى طرابلس فما انتبهت إليها لأنى ما كنت لأظن أن هدفنا القريب سيكون فى صقلية

وصممت أيضاً خطط أخرى ، اشتغل فيها خبراء فنيون مختلفون قصدنى البعض منهم ايطلع على آرائى ، ووصل عدد تلك الخطط إلى السبعة . وما كنت راضيا عل هذا التصرف . لأن الوقت كان يمضى ولأننا أصبحنا فى حاجة إلى خطة نهائية فى القريب العاجل .

وفيما كنت فى الطائرة التى تقلنى إلى القاهرة أخذت أنظر إلى المستقبل بوضوح أتم . لا شك فى أن السلطات العليا لن تسير كما نشاء فلا بد لنا من الدقة والحكمة فى التصرف ، مع شيء من المداعبة والمزاح وأخذ الأمر باليسر والسهولة حتى لا نظهر لغيرنا أننا لا نريد التعاون . إلا أننى كنت عازماً على شيء وهو ألا أتساهل فى الأمور الأساسية

قدم ده جنجان لملاقاتى فى القاهرة وفى الغد عرضوا على خطة فتح صقلية النهائية كما صممتها أركان ألكسندر وهى الخطة الثامنة ، وكان المكلف بنقل الجيش الثامن الاميرال رامسى ، وهو رجل عظيم تجمع فيما بينى وبينه روابط الصداقة ولذلك تأسفت تأسفاً شديداً عندما قتل فى فرنسا سنة ٩٤٥ فى حادث طائرة .

فبعد الاطلاع على الخطة الثامنة رأيتها غير نافعة . فبمقتضاها كان يجب أن ينزل الجيش الثامن فى الجنوبى الشرقى من الجزيرة فى حين أن الجيش السابع الأمريكى كان يجب أن ينزل فى الشمالى الشرقى منها . وسبب توزيع القوى ذلك كان ولا شك الأمل فى ألا نصطدم إلا بقوى ضعيفة . ووافقنى على رفضى لتلك الخطة الاميرال رامسى وليز ودمبسي وهما قائدا فرعى جيشى . فأبرقت إلى الكسندر لأطلب منه أن يكون

إنزال الجيش الثامن فى المنطقة الواقعة بين جنوبى سيراكوزا وشبه جزيرة بتشينو . وكانت هذه الخطة التاسعة ، فسميتها مع أركانى خطة عيد الفصح لأننا كنا قد صممناها فى آخر أسبوع أعياد الفصح . وأصبحت هى الخطة النهائية .

وفى ٢٤ (ابريل) أرسلت إلى الكسندر كتاباً أقول له ما يأتى :

١ - إننى الآن فى القاهرة مع قواد فروعى لفحص الخطة المطلوب من الجيش الثامن تنفيذها عند فتح صقلية . وبحيث أننى لم يتيسر لى أن أركز انتباهى على تلك الخطة حتى الآن ، أرى أنها لا توافقنى على ما هى .

٢ - فإن الخطة الحالية مؤسسة على الافتراض أننا لن تعترضنا مقاومة عنيفة من قبل قوى المحور فى صقلية ، مع أنه يجب أن نتوقع تلك المقاومة ولا سيما من قبل الألمان. ولا أشك فى أنه سيكون قتال عام دام بعد الهجوم الأولى .

٣ - إننى مستعد أن اشترك فى عمليات فتح صقلية شرط أن يسمح لى بأن أسير بمقتضى خطتى أنا . فإن جيشى يجب أن يقاتل ككتلة واحدة فى فروعه وأفواجه ولا توزع وحداته والجهود الأول للجيش الثامن يجب أن يتركز على المنطقة الواقعة بين سيراكوزا وشبه جزيرة بتشينو ، ثم بعد ذلك نسعى إلى أن نحتل مرافىء ومطارات . فالأمر الأساسى هو أن نحتل منطقة سهلة الأخذ ثم نواصل عملياتنا التالية منها بعد تحولها إلى مركز منيع ،

٤ - فالوقت محرج. وإذا رضينا أن ننتظر لندن وواشنطن لمناقشة الخطط المختلفة التى تعرض ، فإننا لن نستطيع أن نقوم بعمل قط فى (يوليو) . هذه علاوة على أن الخطط تلك فاسدة كلها فى أساسها إذ أن كل واحد يحاول استخدامها وهو يعلم أن لا نجاح فيها . ولذلك أعطيت أوامرى منذ الآن بأن يتقيد الجيش الثامن بالتعليمات المضمنة البند الثالث . والاميرال رامسى يوافقنى على ذلك .

٥ - وأنه لاأساس أن تكون مساعدة الطيران الحربى قوية فعالة فأطلب ان يعمل معى برود هرست قائد طيران الصحراء الحربى وأركانه .

ولابد من أن يكون القارىء قد لاحظ أن ساحة قتال القوى الأمريكية كانت بعيدة عن ساحة قتالنا ، وما كان قصدى الأول الاستيلاء على بعض مطارات العدو فى صقلية كما كانت تقتضيه الخطة السابقة ، كان لى رأى شخصى فيما يختص بعمليات الأميركيين لإنزال جيشهم إلا أننى لم أجد الوقت مناسبا لإبداء ذلك الرأى ، ولذا فإننى كنت أتوقع رد فعل عنيف فى الجزائر والحق أنه تم ما كنت أتوقعه ففى الغد ، ٢٥ إبريل بلغ رامسى لوم شديد من قبل الأميرال كوننجام القائد البحرى الأعلى الذى كان على اتصال بالكسندر واضطرب رامسى بادىء الأمر إلا أنه لم يلبث أن أخذ يضحك معى واتفقنا على أن أرسل إلى الكسندر كتابا فحواه مايلى : بلغنى أن كوننجام وتدر لا يوافقان على الخطة التى عرضتها بتمامها فإننى لأعلن بصراحة أن عاقبتنا ستكون الفشل إذا ما اتبعنا الخطة الأولى المفروضة ، أماخطتنا

أنا ورامسى فهى لا محالة ناجحة . أيمكننا أن نقصدك فى القاهرة لنتباحث فى الأمر ، وانتظاراً لذلك فإن الأوامر تسير فى الجيش الثامن حسب خطتى أنا ، لأن الوقت أصبح محرجا » .

غادرت القاهرة فى ٢٦ ابريل ورجعت إلى مقر قيادتى فى تونس وأصابنى زكام ومرضت حين وصولى فلزمت الفراش ، وفى تلك الأثناء كان الكسندر قد نجح فى عقد مؤتمر فى الجزائر فى ٢٩ ابريل ودعيت إليه من رامسى وبما أننى كنت مريضا أرسلت ده جنجان لينوب عنى إلا أنه أصيب بجراح من وراء حادث حصل لطائرته فأوفدت ليز ولكن المؤتمر لم يسفر عن نتيجة واضحة إذ أن تدر ادعى أن قواه الجوية لن يكون اشتراكها فى العملية فعالا ما لم تؤمن المطارات فوراً ، فساق ذلك كوننجام إلى أن يقول إنه ما لم يكن هناك قوى جوية نافذة المفعول لترد هجمات طائرات العدو لن تستطيع سفنه أن تقوم بالمهمات المطلوبة منها ، ولم يتمكن الكسندر من الحصول على التوافق بين القوى المختلفة فانفض المؤتمر ولم يؤخذ تقرير قط .

ثم قصدنى الكسندر فى تونس فى ٣٠ ابريل وكنت لا أزال مريضا فحدثنى عن المؤتمر الذى انعقد فى نهار الأمس فى الجزائر واقترحت عليه أن يعقد فى الجزائر دائما مؤتمراً آخر تحضره كل السلطات العسكرية العليا ، ورأيت أننى سأكون قد شفيت فى ذلك التاريخ ، فأتمكن حينئذ من أن أحضر ذلك المؤتمر وأعرض لخطتى فرضى الكسندر .

إلا أن الجو لم يسمح له بالحضور ولم يمكننا أخذ أى تقرير وهو غائب . وصرت قلقاً مضطربا فأخذت أبحث عن بدل سميث رئيس أركان ايزنهاور ووجدته فى مكان المنافع وبيوت الخلاء ورأيته قلقاً هو أيضاً يود لو أن الجميع يتفقون على خطة نهائية وذلك لأسباب سياسية فأجبت أن الأمر ضرورى من الناحية العسكرية أيضاً خاصة ،وقلت إننى وجدت الخطة المطلوبة . فطلب منى عرضها ففعلت وقلت إن مجهود الأمريكيين يجب أن يصب على السواحل الجنوبية من ناحيتى جيلا وعلى غربى شبه جزيرة بتشنو فتصبح غايتهم الاستيلاء على المطارات التى تعتبرها قواتنا الجوية مهمة . وهكذا فإن الجيش الثامن البريطانى والجيش السابع الأمريكى سينزلان جنباً إلى جنب مما يجعل قوى الحلفاء ملتحمة بعضها على بعض متساندة فى العمل .

فاقتنع بدل سميث ورحنا نستشير إيزنهاور ، فاقتنع هو أيضاً مبدئياً إلا أنه رفض أن يناقش الخطة معى والكسندر غائب . وهذا حق . ووافق الطيران أيضاً على الأمر، أما البحرية فاستمرت على الشك فى صحة خطتى معللة شكها بأن الجبهة حيث سيتم إنزال القوى الأميركية لم يكن فيها مرفأ قط ، ولن يكون من السهل تزويد تلك القوات عن سبيل الشواطىء فقط .

فأقنعت حينئذ بدل سميث أن يعقد مؤتمراً يحضره أعضاء أركان القوى المختلفة وأشترك فيه أنا ،وحينما يصل الكسندر يعرض له ضباط أركانه القرار الذى يكون قد اتخذ . ووافق الجميع على خطتى ، إلا أن

إيزنهاور أصر على ألا يتخذ قرار رسمي قبل حضور الكسندر . فرجعت إلى مقر قيادتي في تونس ، أترقب سير الحوادث . وفي الغد ٣ مايو ، عند منتصف الليل وصلتني برقية من الكسندر فيها يقول إن إيزنهاور موافق على كل ما اقترحت ، فأفاقوني من النوم ليطلعوني على الخبر ، ثم عدت ونمت مرتاحاً فإننا الآن نستطيع أن نعمل بمقتضى خطة سديدة .

غير أنني كنت أريد أن أحصل على شيئين ضروريين لأطمئن تمام الاطمئنان إلى نجاح خطتي النجاح التام وذلك لأن كل الخطط التي عرضت على البحث ما كانت تتناول إلا مجرد كيفية انزال الجيوش أما أنا فكنت أسعى إلى ما وراء ذلك وهو منع الألمان الموجودين في صقلية عن أن يفروا من تلك الجزيرة وينسحبوا جميعهم إلى إيطاليا . ولذلك اقترحت أولا أن يوحد الجيشان البريطاني والأمريكي تحت قيادة واحدة وذلك من الناحيتين العسكرية والإدارية وثانياً أن تسرع قواتنا الموحدة نحو الشمال فتشق الجزيرة إلى منطقتين فتحدث حينئذ جبهة دفاعية نحو الغرب ثم يحاول الباقي جهد المستطاع للوصول إلى مسينا ليقطعوا الطريق إلى إيطاليا على الألمان وتساعد القوى البحرية والجوية على ذلك حارصة على ألا ينجو فرد قط من أفراد العدو عن طريق البحر ووافق الكسندر على فكرتي هذه إلا أن إيزنهاور أصر على أن تكون معركة صقلية معركة جيشين مختلفين في كل نواحيهما تحت قيادة واحدة يؤمنها الكسندر . فلم نفعل بما اقترحت . فاستولينا على صقلية إلا أن الألمان معظمهم استطاعوا أن ينجوا ويعسكروا في إيطاليا .

سفرى إلى انجلترا

فى ١٢ مايو انتهت كل مقاومة فى إفريقيا . واستسلم إلى فى ١٣ مايو الفيلد . مارشال ميسى الإيطالى الذى كان قد خلف رومل كقائد أعلى لقوات المحور . فتناولت العشاء معه وتباحثنا عما كان قد جرى ثم سار إلى مكان أسره .

وعزمت على السفر إلى انجلترا لأرتاح قليلا قبل مباشرة القتال فى صقلية وكنت أيضاً أرغب فى أن أزور الفوج الأول الكندى الذى عين لينزل معنا على شواطىء صقلية وهو آت رأساً من انجلترا ، فما كنا لنراه قبل القتال .معه جنباً إلى جنب فى الجزيرة مما ساقنى الى أن أرى أنه من الضرورى أن أبادر وأتعرف إليه .

فغادرت طرابلس فى ١٦ مايو على متن طائرتى ووصلت إلى انجلترا فى ١٧ منه وكنت جد مسرور لاجتماعى بابنى داود خاصة .

واقيمت صلاة شكر لنهاية الحرب فى افريقيا يوم ١٩ مايو فى كاتدرائية القديس بولس فلم ادع إليها وتعجبت للأمر فقيل لى بعدئذ إن رغبة السلطات هى أن يكون وجودى فى انجلترا أمراً سرياً . إلا أننى سررت جداً من أن الجمهور كان يتبعنى حيثما أسير ، مما جعلنى على يقين من أننى كان لى شعبية عند كثير من الناس لم ترض عليها بعض الطبقات الاجتماعية . وقد يكون هذا سبباً لذلك عدت إلى الجيش الثامن عن

طريق الجزائر حيث اجتمعت ، يوم ٢ يونيو برئيس الوزراء ورئيس الأركان الإمبراطورية . وشعرت أن الرجلين قدما الجزائر من واشنطن ليسير الأمور بحيث يتم احتلال صقلية بسرعة ويستثمر ذلك الاحتلال إلى أبعد حد ممكن فطلب إلى الجنرال مارشال أن يرافقهما . وكان رئيس الوزارة عازماً عزماً ثابتاً على ان يخرج إيطاليا من الحرب فباحثني طويلا عن خطة انزال الجيوش فى صقلية فأطلعته على ثقتى القوية بأنه سيتم كل شيء على خير ما يرام .

عندما كنت فى انجلترا بلغني أن جلالة الملك سيقوم بزيارة فى يونيو إلى قوى إفريقيا الشمالية ووصل إلى افريقيا فى ١٢ يونيو وجاء طرابلس فى ١٧ منه ليرى الجيش الثامن ، أو إن شئت فقل بعض الوحدات التى كانت لا تزال هناك حينئذ فأقام فى مخيمنا على الساحل على بعد بعض أميال من طرابلس. وأظن أنه كان مسروراً من زيارته تلك لأنه كان يتصرف معنا بالبساطة التامة ، وكنت قد اتخذت كل الاحتياطات لتأمين راحته وحياته واضطررت يوما أن أطلق النار على بعض العناصر التى حاولت أن تخرج محتشدة من المنازل ، وكنت قد منعتهم عن ذلك ولما حان وقت رحيله يوم ١٩ يونيو شرفنى جلالته بقبلة الفروسية تحت الخيمة التى نصبت لتناول الغذاء قرب المطار .

احتلال صقلية

فى ٨ (يوليو) وصلتنى برقيـــة من رئيس الوزراء فيها يتمنى لى النجاح ويعرب عن ثقته بى وبجيشى الباسل .

وفى اليوم ذاته أذاعت للجيش الثامن بيانى العادى .

نزلت على سواحل صقلية فى ١٠ (يوليو) . ساعتين قبل الفجر .

أما تاريخ الحرب فى صقلية فلقد عرض له غير مرة ، وخصصت له صفحات فى كتابى « من العلمين إلى نهر السانجرو » .

قليلا بعد إنزال جيوشنا أكرهت إلى موقف شق على أخذه . وهو أن الجنرال ماك نوتون ، القائد الأعلى للجيش الأول الكندى (فى انجلترا) وصل إلى مالطا فى نحو منتصف يوليو مع بعض ضباط أركان ، فطلب إلى أن نذهب إلى صقلية لتفقد القوى الكندية هناك .

فإن الفوج الأول الكندى لم يكن بعد مدربا على الحرب الحقيق وكان قائده جى سيموندس لا يزال شاباً ليس له خبرة وهو يقود لأول مرة فوجا فى الحرب . فعزمت على ألا يزعج الكنديون فى قتالهم ضد الجنود الألمان المحنكين ، إلا أننى كنت أريد أن آخذ رأى سيموندس فى الأمر فأجابنى على الفور : « ناشدتك الله ، امنعه عن القدوم » . فأبرقت إلى مالطا طالباً إرجاء الزيارة إلى صدور تعليمات أخرى . فبعد إنهاء الحرب فى صقلية دعوت ماك نوتون إلى زيارة الكنديين فى الجزيرة ففعل وأقام فى مقر قيـــادتى فى - تورمينا - إلا أننى ما اجتمعت به قط أثناء زياراتى العديدة فى كندا . وأظن أنه كان حاقدا على لأننى منعته من القدوم إلى صقلية فى ١٩٤٣ . وكان الكنديون من خيرة الجنود فى حرب صقلية . نعم لم يكن لهم عهد بالقتال بادىء الأمر إلا أنهم كانوا مدربين جدا ، ولم يلبثوا أن أصبحوا ماهرين . وعندما

حصرهم في القوى الاحتياطية المعدة لاحتلال البر الإيطالى كان فوجهم في نخبة أفواج الجيش الثامن .

لاشك في أن أفراده ذاقوا لذة العيش في جزيرة صقلية بعد خروجهم من الصحراء حيث كانت حياة التقشف . إلا أن الطقس الحار الرطب كان سبباً في انتشار الملاريا بين الجنود ، ففتكت في صفوفهم فتكا ذريعاً وأحدثت من الخسائر في الأرواح مالم يحدث العدو نفسه ، من وراء عدم استعداد جهازنا الطبي لها . وفي صقلية تخليت عن طائرتي الكبيرة لأن مطارات صقلية ما كانت معدة لطائرات بذلك الحجم ، وكدت أتعرض لحادث خطر عندما سقطت في مطار بالرمو حيث كنت أريد أن اجتمع بالجنرال باتون . فطلبت إذن من أيزنهاور أن يبدلها بطائرة أخرى ، ففعل في الحال واتحفني بطائرة داكوتا تقل سيارة جيب في داخلها . وكانت هذه مفيدة جداً .

وأظن أننا استفدنا جميعاً من القتال في صقلية من حيث اختبارنا للحرب ، وذلك من القواد إلى الجنود في الصفوف . إلا أن عاقبة تلك المعركة لم تكن مرضية من كل النواحي ، بمعنى أن الألمان استطاع أن ينسحب معظمهم من الجزيرة ويستقرون في إيطاليا بعد أن عبروا مضيق مسين . وأصابنا من وراء ذلك ضرر جسيم فيما بعد ، عند انزال جيوشنا في يطاليا . فلا بأس إذا مارجعنا إلى الوراء وحاولنا اكتشاف سبب الأخطاء التي ارتكبت .

لأننا كنا في حاجة ماسة إلى التخلص من بعض الأمور المعرقلة

لتسيير القتال ، وإلى بعض التدابير الاحتياطية السابقة لتنفيذ الخطة ، وإلى تعاون وثيق بين قوى الجو والبر والبحر من ناحية ومن الحلفاء مع بعضهم من الناحية الاخرى .

وأخيراً إن التعليمات المتعلقة بالحرب فى صقلية وصلتنا ونحن فى أفريقيا الشمالية فى (يناير) ١٩٤٣ ، إلا أن خطة انزال الجيوش لم يتفق عليها نهائياً إلا فى مايو ، شهرين فقط قبل البدء ، والأسباب الرئيسية لذلك التأخير هى :

ا ــ إن القادة المسئولين مباشرة عن تنفيذ الخطة كانوا جميعهم مشغولين فى عمليات حربية تجرى فى أفريقيا الشمالية . فصمم الخطط المختلفة ضباط أركان ماهرون من الناحية النظرية ولكن بدون توجيهات تردهم من قبل القادة المسئولين . فكانت تلك الخطط لا نفع فيها من الناحية الواقعية التطبيقية . ولذا اضطر المسئولون . عند الاطلاع عليها على التغيير فيها والتبديل فأنفقنا على ذلك وقتاً ومجهوداً كنا فى حاجة إلى ادخارهما .

(ب) إن مقرات القيادات العليا للقادة المسئولين كانت بعيدة بعضها عن بعض . فللاتفاق على خطة ما كان يتحتم عليهم أن يتنقلوا بين القاهرة والجزائر وبينهما مسافة ٢٠٠٠ ميل . فمن ثم جاء التأخير والابطاء فى العمل .

(د) إن القائد الأعظم للقوات جميعها كان وحده يستطيع أن يتخذ التقريرات النهائية . إلا أنه كان منهمكا فى مسائل سياسية

فى أفريقيا الشمالية فلا يتمكن من بذل مجهوده كله على تسيير المعركة .
فإن تجهيز العمليات الحربية كان معقداً صعباً ، وكان معقداً صعباً أيضاً تنظيم المرافىء التى منها تقل الجيوش إلى مراكز انزالها .

فإن وحدات الجيش الثامن كان يجب أن تبحر من حيفا ، ومن مرافىء قناة السويس ومن الاسكندرية ، وبعضها أيضا من طرابلس والمسئول عن ذلك العمل هو مقر القيادة العام فى الشرق الأوسط فى القاهرة . أما سفاكس وسوس والقيروان فكانت معدة لتبحر منها القوى الجوية والمسئول عن هذا العمل مقر القيادة الأعظم فى الجزائر ومقر قيادة الكسندر .

وأخيراً إن الفوج الكندى مع غيره من الوحدات كان عليه أن يبحر من المملكة المتحدة ، والمسئول عن هذا العمل المكتب الحربى فى لندن

وكانت التعليمات المنقولة فيما بين القاهرة والجزائر ولندن متناقضة غالب الأحيان ، والفوضى تعم خاصة خطط الجيش البرى وخطط الجيش الجوى ، ولا سيما فيما يختص بالصور الفوتوغرافية المتخذة من الجو . فإن القائد الأعلى للقوى الجوية المطلوب منه أن يتعاون مع مقر قيادتى لاعداد خطة الهجوم والمرحلة الأولى للعملية ، كان فى مالطا . وهو منهمك فى العمليات الحربية الجارية حينذاك ، ثم إن ذلك القائد الأعلى مع ضباط أركانه كانوا خبراء فيما يختص بالدفاع عن الجزر وبالعمليات الحربية الساحلية . ولكن لا خبرة لهم قط فيما يختص

باستخدام القوى الجوية للتعاون فى معركة تكتيكية تجرى على البر . فإن الخبير المعين لمساعدة الجيش الثامن كان برود هربست قائد الطيران الحربى فى الصحراء وهو فى طرابلس ولم يطلع على الحالة إلا بعد أن كنا فى ساحل صقلية .

وإننى عندما اتذكر كل ذلك لايسعنى إلا وأكون معجبا بضباط أركانى الذين استطاعوا أن يقاوموا كل تلك الصعوبات كان جنجان غائبا حينذاك بعد حادثه فى الطائرة، إلا أن بلشم كان له كخير الخلف لخير السلف ، هذا وإن القادة الثلاثة الذين يعملون تحت سلطة أيزنهاور (وهم الكسندر ، كننجام ، وتدر) ماكان اهتمامهم إلا الهجوم على الجزيرة والاستيلاء السريع على المطارات والمرافىء . فلم يقرر شىء من حيث تسير المعركة بعد انزال الجيوش فى الجزيرة بل كل جيش يتصرف حسب آراء قائده ويطلع القائد الأعلى بعد ذلك على ماقرر فى كل منطقة . فلم نستطع أن نوجه بجهودنا للسير نحو مسن حتى نقطع على الألمان طريقهم إلى إيطاليا . فقضينا نحو ٥ أسابيع لتتميم فتح صقلية وخسر الجيش الثامن ١٢٠٠٠ مقاتل . وماكنا تكبدنا كل ذلك وغيره من الخسارات الجسيمة لو انصهرنا جميعا صفا واحداً بالتعاون والتآلف . هذا علاوة على أننا كنا قد انتهينا من الحرب بأسرع مما انتهينا منه .

الفصل الحادى عشر

الحرب فى ايطاليا

٣ (سبتمبر) — ٣١ (ديسمبر) ١٩٤٣

كنا فيما يختص بحرب إيطاليا على أسوأ ما كنا عليه فيما يختص بحرب صقلية من حيث الاستعداد وخطة تسيير العمليات الحربية . فإن هدفنا حينذاك أن نخرج إيطاليا من الحرب فكان من اللازم أن نتخذ الجزيرة كحافز نثب منه إلى إيطاليا ونتتبع العدو بعدئذ هناك بلا رحمة ولا هوادة . فلم نفعل بل عندما انتهينا من حرب صقلية فى (١٧ أغسطس) أصبحنا لا غاية لنا إلا انزال الجيوش فى ايطاليا ولا خطة لنا قط لتسيير المعركة . حتى ولم نكن قد حددنا المكان الذى فيه يتم انزال الجيوش . أما فيما يختص بالجيش الثامن ، فكان عليه أن يعبر مضيق مسين فى ٣٠ (أغسطس) ولم يعين له غرض آخر . فالححت فى ١٩ (أغسطس) ، أن يحددوا لى العمل المطلوب منى فى ايطاليا ففعلوا وذلك فى ٢٠ (أغسطس)

فى بادىء الأمر ، كانت نية القادة تكليف الجيش الثامن وحده باحتلال البر ، وذلك على جبهة مؤلفة من فرعين ،ويسير انزال الجيوش على حسب خطتين :

خطة بوترس ، فى منطقة جيواتورو ، على الشاطىء الشمالى من قدم الجزمة .

خطة بيتاون ، عن سبيل هجوم مباشر بعد عبور مضيق مسين .
وفى أواخر (يوليو) ابتدأوا بالتفكير فى خطة ثالثة تنفذ فى منطقة سالرن . وكان اسم تلك الخطة « أفالانش » ، وهى فى رأيى خطة حسنة كان يجب تركيز مجهودنا كله عليها ، ولكن لم نفعل .

وفى ٧ (أغسطس) تقرر العدول عن خطة « بوترس » وجعل فرعى العاشر المكلف بتنفيذها سابقاً تحت تصرف الجيش الخامس الأمريكى المكلف بخطة «أفالانش» . فقرر حينئذ أن احتلال البر سيقوم به جيشان : الجيش الثامن عن سبيل مضيق مسين (خطة بيتاون) . والجيش الخامس الأمريكى ، فى سالرن (خطة أفالانش) .

وابتدأت متاعبنا :

ذلك لأن السلطات ، دعماً لخطة أفالانش سحبت عدداً من السفن المجهزة لخطة بيتاون ، فاصبحت وليس معى قائد أسطول أو أركان بحرية لابحار الجيش الثامن . فاحتججت وطلبت من الكسندر أن يؤيدنى ولكن عبثاً فعلت ، فأصبحت خطة بيتاون آخر الأمر عملا مستحيلا . ففى ١٩ (أغسطس) بعد الظهر ابرقت إلى الكسندر قائلا إننى أتوقع من العدو مقاومة لا بأس بها عند انزال جيشى فما الغرض المطلوب منى تحقيقه بالضبط ؟ هل هو تأمين المواصلات البحرية فى المضايق واستمالة انتباه العدو إلى تسهيل العمل لخطة « أفالانش » ؟

فإن كان الجواب بالنفى لابد من اطلاعى عليه . إننى أوافق على أن خطة « أفالانش » لابد من أن يكون لها الأسبقية والأفضلية فى التنفيذ إلا أننا لا يمكننا أن نقبل بأن يكون الفشل فى « الجزمة » الايطالية أول عاقبة لعملنا فى أوروبا . ولذا فإننى فى حاجة إلى تعليمات واضحة فيما يختص تاريخ وغرض كل عملية يرغبون فى أن أقوم بها بعد أن أعبر مضيق مسين ، ويجب أن أتمكن من تحقيق تلك العملية فيجعلون تحت تصرفى العدد اللازم من السفن ورجال البحرية استعداداً لمقاومة قد تحدث عند انزال القوة .

وفى ٢٠ (أغسطس) وصلنى من الكسندر ملخص تعليمات جواباً على برقيتى . « إن مهمتكم أن تحافظوا على الأمن ضمن رأس جسر موجود فى مؤخر « الجزمة » الايطالية لتسهلوا على قواتنا البحرية العمل فى مضيق مسين . وإذا ما انسحب العدو من مؤخر « الجزمة » فلابد من أن تتبعوه بالقوى التى تستطيعون حينذاك أن تتصرفوا بها لتلك الغاية . ولكن يجب ألا ينسيكم عملكم هذا أنكم على قدر ما تصرفون قوى العدو إلى طرف ايطاليا الجنوبى بذلك القدر وتسندون خطة « أفالانش » .

وفى الأمر هذا نظر — فإن محاولة قط لم تحدث لتوافق عملياتى الجيش الخامس الأمريكى المعين انزاله فى سالرن فى ليلة مابين ٩و١٠ (سبتمبر) ولم يقدروا أن الجيش الثامن سيستطيع تجاوز ٦٠ ميلا من رجيو فى الكلابر . وبحسب ذلك قدرت لنا خطتنا .

والجميع يعلم الآن ماحدث . فإن انزال الجيوش فى سالرن لم يتم بالسهولة المقدرة فطلبت إلى أن اندفع إلى الامام وأسند الجيش الخامس الأمريكى مما أدى إلى اثارة بعض مشاكل إدارية فى جيشى .

فجمع أيزنهاور قادة العمليات فى الجزائر فى ٢٣ (أغسطس) وطلب منى أن أعرض خطتى لعملية « بيتاون » فشرحت كيف أصبحت غير قادر على تنفيذ تلك العملية فى ليلة ما بين ٣٠ و ٣١ أغسطس ، وكيف صرت الآن قادراً ، بعد أن توفرت لدى السفن اللازمة ، على أن احتلها فى ما بين ٢ و ٣ (سبتمبر) . فأعلنت السلطات البحرية أنها لن تستطيع أن تعمل قبل ليلة ٤و٥ (سبتمبر) . فاقترح أيزنهاور على كننجام أن يمضى بنفسه ويدرس الحالة فى مكانها وقرر نهائياً أن « بيتاون » ستتم فى ما بين ٢و٣ (سبتمبر) .

واطلعنا أيزنهاور ، بعد ذلك ، على المعاملات القائمة بين الحلفاء والحكومة الايطالية لدرس شروط هدنة يطلبها الايطاليون . فإن كل شيء كان يدل على نيتهم فى الانسحاب من الحرب ، حتى وأنهم أظهروا استعدادهم إلى الانضمام الينا ضد الألمان . فأبديت عدم اطمئنانى إلى النقطة الثانية ، وقلت إن الحد الأقصى الذى يمكننا أن نطلبه من الايطاليين فى تعاونهم معنا هو أن يساعدونا فى الوراء ، وألا يتعاونوا مع الألمان فى المناطق التى لايزال هؤلاء فيها . ثم أضفت أن الأمر إذا كان كذلك فالمقاومة ضد « بيتاون » لن تكون فى الشدة التى كنت أخاف منها .

وحينئذ عرض ماك كلارك ، قائد الجيش الخامس الأميركى ، لخطته فى إنزال قواه فى سلرن فى ما بين ٩و١٠ (سبتمبر) . فرأيه فى ذلك هو أن للألمان ٢٠ فوجا على نحو التقريب فى إيطاليا ، فيمكنهم أن يوجهوا بسرعة لا بأس بها ٤ من هذه الأفواج ضد الجيش الخامس ولكن لم ينتبه الحاضرون إلى قوله لأنهم جميعاً كانوا متفائلين بسبب توقع انضمام الايطاليين إلينا . أما أنا فما كنت لأشـــاركهم فى ذلك التفاؤل .

انزال الجيش الثامن فى أوروبا

فى ٢ (سبتمبر) أذعت على جنودى بياناً أطلعهم فيه على نية نزولنا فى سواحل ايطاليا . وفيما قلت أننا بذلك يتم لنا الشرف بأن نكون أول جيش من جيوش الحلفاء نزل على البر الأوروبى وأننا على ثقة تامة من نجاح عملياتنا لأننا مزودون بالعتاد والأسلحة اللازمة لتأمين ذلك النجاح .

كنت حينذاك أستعد للنزول فى ٢ (سبتمبر) وهو تاريخ الذكرى الرابعة لإعلان الحرب العالمية الثانية ، ولدخولنا فى السنة الخامسة من تلك الحرب ، وتتاح لنا الفرصـــة للأخذ بثأرنا للمرة الثالثة . ففى (مايو) ١٩٤٣ رميت الألمان إلى البحر فى تونس، ثم فى (أغسطس) ١٩٤٣ رميتهم إلى البحر للمرة الثانية فى صقلية .

أما الإيطاليون جنوداً ومدنيين ، فكانوا يؤدون لنا المساعدة

النافعة . فالجنود يحرسون الشواطىء والمدنيون يدلوننا على حقول الألغام التى تعترض تقدمنا ، فيبقون بذلك من الموت روح الكثيرين من البريطانيين . ولاشك فى أن كتاباً رسمياً سينشر عن تاريخ العمليات فى إيطاليا . إلا أن التاريخ الرسمى، فيما أرى، لايكشف عادة عن العوامل الأساسية المتسترة وراء الحوادث وتحتها . فلنقف عند تلك العوامل ، ولنتأمل الحوادث من دواخلها .

تم إنزال الجيوش بسهولة فى أول الأمر ووصلنا بسرعة إلى البر . إلا أن الصعوبات ابتدأت تعترضنا بعد تجاوز الشواطىء بقليل ، فكان سيرنا إلى الأمام بطيئاً .

فى ٥ (سبتمبر) وصل ألكسندر عن سبيل الجو إلى رجيو واجتمعت به فى المطار . فأطلعنى على أن الإيطاليين كانوا قد وقعوا فى ٣ (سبتمبر) على الشروط التى فرضناها عليهم للهدنة ، إلا أن الخبر لم يذع بعد . أما الأمور فستسير على نحو ما يلى :

ا) فى ٨ (سبتمبر) ، فى الساعة ٦ مساء يذيع بادوليو فى روما وايزنهاور فى الجزائر أن الإيطاليين قبلوا الاستسلام دون قيد ولا شرط

ب) فى ٨ (سبتمبر) ، فى الساعة ٩ مساء ستصل قوى أمريكية عن طريق الجو إلى قرب روما . وفى الوقت نفسه تستولى على المدينة الأفواج الإيطالية الموجودة فى جوارها .

جـ) إن الجيش الإيطالى سيحتل تارنت ، برنديزى ، بارى ، ونابولى .

د) فى ٩ (سبتمبر) ، فى الساعة ٤٫٣٠ ، سينزل الحلفاء جيوشهم على النحو التالى :

ــ الجيش الخامس الامريكى فى سالرن يتجه نحو نابولى .

ــ الجيش الخامس البريطانى ينزل فى تارنت .

وكان ألكسندر جد متفائل فانفردت به وأطلعته على رأيى وهو أولا أن الإيطاليين أصبحوا الآن يكادون لا معنويات لهم فلن يقووا على مقاومة الألمان من الناحية العسكرية ، بل وإن هؤلاء سيسحقونهم سحقاً ويجردونهم من أسلحتهم . ومن الممكن أن يساعدونا بتحرشاتهم المنفردة بالوحدات الألمانية فى الجبال والمسالك الوعرة وبأعمال النسف وغيرها ، ويحمل الشعب الإيطالى على عدم التعاون مع الألمان وهى كلها مهمات لا تكون بعمل عسكرى على نطاق واسع . وعلى كل حال فإن موقفنا مع الإيطاليين يجب أن يكون حازماً صريحاً وأن نتدبر مقدماً ماسنتخذه من إجراءات ضدهم إذا لم يتقيدوا بشرط الهدنة . ولا نقدم على عمل إلا بروية وإمعان نظر ، فلا نستخف قوى الالمان فى إيطاليا : فإنهم لايزالون أقوياء ونحن ضعفاء ، فقد يستطيعون أن أن يركزوا هجوماً ضد « افلانش » بأسرع ما يمكننا أن نتثبت فى البلاد . أن رومل لا يزال فى ايطاليا ، ولطالما حاربت ضده ، وهو لا يزال تحت تصرفه عشرون فوجاً ، خمسة منها مصفحة . وإذا بؤنا بالفشل فى عملية إنزال جيوشنا فى سالرن ، فإننا سنضطر إلى قتال صعب طويل فقبل أن نباشر بعمليات واسعة النطاق فى البر الأوروبى يجب أن نتقيد

بادىء الأمر بخطة عامة نسير فيما بعد بمقتضاها ؛ ولم أسمع قط حتى الآن عن خطة مثل تلك ، وأظن أنه ليس لدينا خطة قط .

وكان الكسندر صاغياً إلى ما ذكرته له . إلا أنه ما أظنه كان مقتنعاً به .

ونعلم الآن كيف جرت الحوادث . فإن الألمان اهتموا فوراً بالإيطاليين فجردوهم من أسلحتهم . وأخذت الصعوبات تعترض الجيش الخامس في سيره وتفاقمت حالته فيما بين ١٣ و ١٤ (سبتمبر) فأسرعت إلى نجدته على إيعاز من الكسندر وفى ١٦ (سبتمبر) اتصلت قوى الجيش الثامن الأمامية بجانب الجيش الخامس الأيمن . فكتب إلى كلارك يشكرنى على إسراعى إلى نجدته . ولا شك فى أن قواتى كانت تستحق التقدير للطريق التى قطعته (٣٠٠ ميل فى ١٧ يوما) بالرغم من الصعوبات الشاقة التى كانت تعترضها إلا أننى أظن أن الجيش الخامس الأمريكى قام حينئذ بالمهمة المفروضة عليه بدون مساعدتنا .

وبعد اتصالنا بالجيش الخامس الأمريكى جاءنى أمر بتوجيه سيرى نحو الشرق فاقتضى ذلك على أن انقل مراكزى الإدارية التموينية من الكلابر إلى المرافىء الإيطالية فى المنطقة الشرقية .

ولما انتهيت من ذلك باشرت بتقدم نحو الشمال لأخذ فوجيا ومطاراتها وجرت بينى وبين العدو اشتباكات قوية على خطوط النهرين تريغيو وسنجرو .

فى منتصف سبتمبر حصلّ سوء تفاهم بينى وبين قائد الجيش السابع الإيطالى ، الجنرال ريزيو . كان الايطاليون قدقرروا الانضمام الى الحلفاء وظننت من وراء أحاديث نقلت ، أن نية ريزيو فى أن يجمل الجيش الثامن تحت قياديه بصفة أقدم قائد جيش فى ايطاليا الجنوبية . فقصدته فوراً لتوضيح كل أمر مبهم وكنت عازما على أن أصارحه بدون هوادة أنه كان من الواجب عليه أن يجعل نفسه وجيشه تحت تصرفى ويتقيد بأوامرى تقيداً تاماً . غير أننى لم أضطر إلى ذلك لأننى وقت اجتماعى به ، رأيت نفسى أمام رجل فى غاية اللباقة واللطف لاهم له إلا مساعدتنا والتعاون معنا ضد الألمان .

أغادر الجيش الثامن

فى صباح ٢٤ ديسمبر أفقت باكراً بسبب برقية من المكتب الحربى فيها أبلغ أننى مطلوب إلى انكلترا لأحل محل الجنرال باجيت على رأس مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين ، وهى مجموعة الجيوش البريطانية المجهزة لإحداث جبهة ثانية على سواحل المانش فى فرنسا .

لا شك فى أننى كنت جد حزين لمغادرة الجيش الثامن ، ولكننى كنت من ناحية أخرى شديد الاغتباط لتعيينى لهذا المنصب العظيم وهو احتلال البر الأوروبى لنثأر لدنكرك .

وكنت أشعر فى الوقت نفسه بالارتياح والانفعال العميق . فسبب الارتياح هو أننى لم أكن مسروراً من حالتنا وتصرفنا فى ايطاليا للأخطاء

التى ذكرت سابقاً والتى أخرتنا فى عملياتنا وحالت بيننا وبين أن نستطيع استثمار موقفنا الأولى الذى كان ممتازاً ، قبل دخول الشتاء .

أجل إننا كنا قد أصبنا فوائد لا بأس بها فأخذنا صقلية، وأخرجنا ايطاليا من الحرب وحجزنا الأسطول الإيطالى فى مالطا ، واحتللنا ثلث إيطاليا على نحو التقريب بما فيه نابولى ومطارات فوجيا ، إلا أن كل ذلك كان خسارة للايطاليين ، أما الألمان وهم عدونا الأول ، فإننا لم نتمكن من أن نصيبهم بضرر قط قبل الشتاء ، وذلك لأننا لم نقبل على العمل كما كان يجب ولذلك كله كنت مرتاحاً لمغادرتى إيطاليا وعازماً على ألا ترتكب الأخطاء نفسها فى المنطقة التى أصبحت مسؤولا عنها

ثم إنه قبل تعيينى ببضع أيام لوظيفتى الجديدة كان ايزنهاور قد عين قائداً أعظم للحرب فى الجبهة الثانية .

وفى ٢٤ ديسمبر بعد الظهر ، أذاعت البيبيسى من لندن التعيينات الجديدة : ولسن تخلف لايزنهاور فى منصبه السابق ، الكسندر باقياً فى وظيفته . وأنا كقائد أعلى لمجموعة الجيوش الواحدة والعشرين .

وبما أن العادة المألوفة كانت تسمح لكل قائد جيش أن يختار عدداً من مساعديه الأقربين ليعملوا فى المنصب الذى نقل له ، فقد اخترت ده جنجان كرئيس أركان ، وجراهام كرئيس المصالح الادارية ووليمس كرئيس مصلحة الاستعلامات، وريشاردس كمستشار للصفحات وهيوز كمرشد أعلى . وكنت عازماً على أن أدعو غيرهم فيما بعد . فطلبت من المكتب الحربى أن يوافق على نقل هؤلاء الذين ذكرتهم أولا ، ففعل

باستثناء جراهام وهيوز . فقررت أن آخذ معى جراهام وأن أتعرض لسخط لندن ، أما هيوز وباشم ، الذى كنت أريده كرئيس أركان العمليات التطبيقية والذى أراه صالحاً أن يحل محله إذا ما مرض جنجان وكان يحدث له ذلك بعد العمل العنيف ـ فأرجأت أن أدعوهم إلى فى الأيام التالية بعد أن أكون قد توضحت الأمور فى لندن .

وقضيت يوم الميلاد فى مقر قيادتى التكتيكى مع رفاقى منذ العلمين وهناك أطلعت ده جنجان على رغبتى فى أن أراه وحده بعد الظهر . وحينئذ أخبرته بأننى اخترته كرئيس أركانى فى قيادتى الجديدة وذكرت له أسماء الباقين . فسر وسررت أيضاً لأن ده جنجان كان يعرفنى ويعرف طريقتى وهذا مهم . .

كان أوليفييه لين قد عين ليحل محلى فأخبرنا أن يصل إلينا فى ٣٠ (ديسمبر) فقررت أن أغادر الجيش الثامن فى ٣١ منه ، فان لين يعرف الجيس الثامن معرفة تامة فيسهل ذلك علينا تسليم السلطات والمسؤوليات

وفى ٢٧ (ديسمبر) ركبت الطائرة إلى الجزائر لأجتمع بايزنهاور وبدل سميث الذى كان يرافقه كرئيس أركان .

فقال لى إيزنهاور إنه يطلق لى الحرية التامة لتتميم المرحلة الأولى من المعركة البرية وأنه سيضع تحت تصرفى كل القوى الأمريكية الموجودة آنذاك فى انجلترا . فتباحثنا فى شأن تشكيل القيادة وشأن الضباط الأميركيين الذين قد أحتاج إليهم فى مقر قيادتى الجديد لمجموعة الجيوش

والأمر الذى كنت أراه صعباً على حقا هو وداعى لضباط ورجال مقر قيادة الجيش الثامن ، ومعظمهم يرافقوننى منذ العلمين . قلت إننى سأودعهم فى ٣٠ (ديسمبر) فى فاستو حيث كان مقر قيادتى الرئيسى واقترح ده جنجان أن تكون الحفلة فى مسرح البلدية . فطلبت منه أن يرافقنى إلى حيث ألقى كلمتى الأخيرة لأننى كنت شاعراً أنه لابد لى من صديق مخلص حميم يكون إلى جانبى ليمد لى يداه إذا ضعفت . وكنت قد طلبت من قوادفروعى أن يكونوا حاضرين جميعهم ، دمبسى وألفرى وفرايبرج قائد الفوج النيوزلندى ، وبرود هرست قائد الطيران الحربى فى الصحراء ، وكان المسرح البلدى غاصا بالناس . ولقد وصف ده جنجان فى كتابه « عملية النصر » جو ذلك الاجتماع ، وهو جو مفعم بالعاطفة يسوده السكوت والتخشع .

ووصل لير فى الليلة نفسها فسلمته القيادة .

وفى صباح الغد ، ٣١ (ديسمبر) أقلعت طائرتى من المطار المجاور لمقر قيادتى التكتيكى ، وأنا فيها مع رفاقى الأربعة ده جنجان ، غراهام وليمس وريشاردس .

وفيما كنت أطير فوق البحر المتوسط ، رحت أتأمل فى الماضى وأفكر فى المستقبل . وتذكرت رهانى مع أيزنهاور ويقينه من أن الحرب ستنتهى فى عيد ميلاد ١٩٤٤ . لا شك فى أنى كنت واثقا الثقة التامة فى أن الأمر ممكن ، شرط أن تسير الحرب تسييراً سديداً ، إلا أننى ما كنت مقتنعا الاقتناع التام من أنه سيكون ثمة تسيير سديد .

الفصل الثاني عشر

فى انجلترا ـ قبل النهار

٢ (يناير) - (يونيو) ١٩٤٤

عندما وصلت إلى مراكش فى مساء ٣١ (ديسمبر) وجدت رئيس الوزراء منصرفا إلى درس نسخة عن خطة أوفر لورد ـ وهو الاسم السرى لعمليات احتلال النورمنديا .

فسلمها إلى لألقى عليها نظرة ،فأجبته انى لست مستشاره العسكرى ولم أناقش قط أحداً فى تلك الخطة حتى إننى لم أطلع عليها قط .

فسلم بصحة جوابى إلا أنه ألح على أنه يود مع ذلك لو أننى أدرس تلك الخطة واطلعه على رأيى فيها بعد قراءتى الأولى لها

فأجبت إننى سأقرؤها قبل النوم وإننى سأطلعه على رأيى فيها صباح الغد ، وكان يعرف أنه من عادتى أن أنام مبكراً

وصل إيزنهاور الى مراكش بعد الظهر وكان مسافراً إلى الولايات

المتحدة ليتباحث مع الرئيس روزفلت قبل أن يتسلم وظيفته الجديدة كقائد أعلى للعملية أوفر لورد . كنت قد رأيته فى الجزائر قبل ذلك ببضعة أيام وعلمت حينذاك أنه لم يكن عنده عن الخطة إلا فكرة سطحية ، وأنه لم يستحسنها . فكلفنى أن أحل محله فى لندن فى كل شيء وأن أعيد النظر فى الخطة وأعدها إلى حين رجوعه فى منتصف (يناير) فألفت نظره إلى أن بدل سميث ، وهو رئيس أركانه ، سيكون هو أيضا فى لندن ، ولذا طلبت منه أن يخبره كتابة بانه كلفنى أن أحل محله حتى رجوعه من أميركا . وكل هذا الذى قد تم فى الجزائر ، ولم أجتمع بايزنهاور فى مراكش إلا فترة قصيرة وسافر إلى الولايات المتحدة فى أول (يناير) .

فى ليلة رأس السنة تناولت العشاء مع رئيس الوزراء ورجال أركانه وامرأته . وكنت عالما أن السهرة ستستمر حتى نصف الليل على الأقل فاعتذرت وانسحبت فوراً بعد العشاء مدعيا أننى أريد الاطلاع على خطة أوفر لورد .

فأخذ منى ذلك الاطلاع بضع ساعات ودونت آرائى الأولى وحملتها اليه فى صباح الغد وهو لا يزال فى سريره والآراء المهمة فى الموضوع يمكن أن ترد إلى البنود الأربعة التالية :

١ - لم أطلع قط على خطة أوفر لورد قبل ذلك اليوم أو (يناير) ولم يحدثنى أحد بها ولم أتصل قط باحد فى شانها من قبل ولذا فان آرائى تلك ليس لها الا قيمة نسبية وهى آراء دونتها بعد اطلاعى الأول فقط على الخطة المذكورة .

٢ - إن المرحلة الأولى لإنزال الجيوش تقع على جبهة ضيقة جداً وضمن منطقة أصغر من أن تسع الأفواج كلها فلابد من أن تعم الفوضى العمليات التى نباشر بها ولا يسعنا بعد ذلك الاشراف على تسييرها وتوجيهها . ولذا فإننى أرى أن الخطة تلك مستحيلة التنفيذ .

٣ - من ناحية الجيش فقط ، لا بد من تأمين النقاط التالية وهى أن انزال القوى يجب أن يتم على جبهة واسعة ، وكل من الجيشين البريطانى والأميركى ينزل فى منطقة غير منطقة الآخر ، فيتسنى لكل منهما أن يتطور بعملياته بيسر وسهولة ويحاول أن يؤمن له مرفأ فى أسرع وقت ممكن .

٤ - إن نموذج الخطة الصحيحة كما يلى : ينزل من الجيش البريطانى فرعان وإذا أمكن ثلاثة فروع . وهكذا أيضاً من حيث الجيش الأمريكى . ثم تضاف إلى هذه الفروع أفواج تتوالى ويساعد الطيران تلك القوى فى تقدمها . ويلى ذلك فوراً سيارات غير مصفحة بعدد ضخم . أما المعركة الجوية فيجب أن نربحها قبل أن نباشر بالعمليات البرية ، وغرضنا بعـــد ذلك أن نربح المعركة البرية بفضل سرعة عملياتنا وعنفها .

فأبدى رئيس الوزراء سروراً قوياً عند اطلاعه على آرائى تلك ، وطلبت منه أن يعيد لى ورقتى إذ أن المدون عليها ما كنت ناقشته مع المسؤولين وما كنت أريد فور استلامى لوظيفتى الجديدة أن أدخل فى مشاكل مع الذين صمموا خطة أوفرلورد فى لندن . إلا أن تشرشل احتفظ بالورقة واعداً بأنه لن يستخدمها إلا لتنويره الشخصى .

لو اقترحت السيدة تشرشل أن نقضى نهارنا فى أرياف مراكش ففعلنا . وفى الطريق صارحت رئيس الوزراء بأن عادتى ، فيما يختص بالخطط ، هى ألا أتأخر فى أن أطلع على خططى هؤلاء الذين كان عليهم أن ينفذوها فى ساحة الحرب ، وغايتى من ذلك هى التمكن من تغيير ما نريد وأن نغير فيها بيسر وسهولة ، ولذا فإن تلك الخطة يجب أن تصمم بسرعة ، ولم يتم ذلك فيما يختص بخطة حرب صقلية فلم ننجح فيها النجاح التام ، وها نحن الآن فى المشكلة نفسها مع خطة أوفرلورد .

ولشد ما كانت فرحتنا أثناء تلك النزهة فى الأرياف المراكشية . ثم اننى أثناء زيارتى تلك القصيرة إلى مراكش استطعت أن أتعرف إلى تشرشل وزوجته تعرفاً تاماً فكان ذلك مبدأ صداقة عميقة مازالت روابطها فيما بيننا تقوى وتشتد .

وفى ليلة أول يناير ، بعد العشاء ركبت الطائرة إلى لندن حيث وصلت فى ٢ منه .

ان ده جنجان والضباط الآخرين الذين أخذتهم من أركانى فى الجيش الثامن كانوا قد سبقونى بأربع وعشرين ساعة إلى العاصمة وكان مقر قيادة مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين فى مدرسة القديس بولس وهى مدرستى إذ كنت لا أزال طفلا . فسكنت الجناح المقابل للمدرسة نفسها وطلبت من رامسى ، القائد البحرى الأعلى فى خطة أوفرلورد أن يأتى مع كريزى ، رئيس أركانه ويسكن معى فكنا بذلك عدداً من الأشخاص يجتمع فرحين مرحين إلى العشاء ، ونسترسل إلى الأحاديث

المختلفة المواضيع . وغالب الأحيان تنتهى تلك الأحاديث بالمراهنات . فاقترحت أن نخصص كتاباً فيه تسجل تلك المراهنات مع توقيعات أصحابها ، كما كانت العادة فى الجيش الثامن . والكتاب ذلك لا أزال محتفظاً به ، وله قيمة تاريخية لا بأس بها لما يحتوى عليه من آراء سياسية وحربية وتاريخية وقع عليها كبار من رجال السياسة والحرب لا أستطيع أن أذيع أسماءهم الآن لأنهم لا يزالون على قيد الحياة . أما المراهنات فإنها تتناول شتى المواضيع ولكنها غالب الأحيان تقوم على تاريخ نهاية الحرب ، كالرهان الذى تم بينى وبين أيزنهاور والذى ذكرته فى أوانه سابقاً .

إلا أننا ما كنا لنقضى وقتنا كله بالمراهنات . فإننى ، وقت وصولى إلى انجلترا ، استطعت أن أقدر المجهود الجبار الذى ينتظرنا ، وهو مجهود عملية حربية لا عهد للتاريخ بها حتى ذلك اليوم .

والمهمة الأولى التى انصرفت إليها هى التبديلات اللازمة فى مقر القيادة العليا لمجموعة الجيوش الواحدة والعشرين . فهو مؤسس منذ أربع سنوات والضباط الداخلون فيه مع سعة علومهم وشدة تمارينهم ، لم يكونوا على خبرة تامة بالمعارك والحرب الواقعية علاوة على أنهم كانوا متمسكين تمسكاً شديداً بآرائهم القديمة . فالتجديدات اذن ، كان لا بد منها ، وكان لا بد من ضباط أركان اختبروا الحرب عن قرب ، مطلعين على أساليبى ، فيقدمون بدون تردد على العمل وتنفيذ الأوامر ، تحت توجيه ده جنجان وارشاده . فتحقق ذلك ، ولكن لم يتم لى بدون صعوبة ، فراحت الاحقاد والضغائن تعمل أعمالها فى اندية لندن .

ثم أن الجنرال باجيت الذى خلفته فى الوظيفة كان معى فى سندهرست وكنا صديقين حميمين ، وهو يتوقع تغييره ويود لو أن قائداً شاهد الحرب عن قرب يحل محله . إلا أنه لم يكن راضياً على الشكل الذى تم به تبديله : فإنه قد عين أولا لقيادة جبل طارق وهى قيادة ليس لها كبير أهمية ، ولكنه عين للقيادة فى الشرق الأوسط فى نهاية الأمر .

وأخيراً كانت التبديلات لا بد منها حتى فى صفوف الجنود المعدين للقتال ، وليس فقط فى ضباط الأركان والمكاتب ، وإن المعركة يربحها الضباط الذين يقاتلون على رؤوس وحداتهم المختلفة . وذلك راجع إلى مهارتهم فى تسيير قواهم أثناء القتال، فلا بد لهم، بعد ذلك، من اختبار الحرب اختباراً عملياً . وما كان مثل هؤلاء الضباط فى الجيوش الموجودة فى انجلترا حينذاك . فأحدثت التبديلات اللازمة لسد تلك الثلمة احقاداً وقوبلت تبديلاتى بالاستنكار أولا ثم ما لبث الجمهور أن فهم قصدى فاقتنع .

أما المشكلة المهمة التى شق حلها أول الأمر فهى مشكلة العلاقات بين الجيش والمكتب الحربى .

فإن ذلك المكتب كان شديد المراقبة لكل عمل يقوم به الجيش فى المملكة المتحدة ، وهى مراقبة أشد من التى تكون على جيش فى ساحة الوغى .

ورأيى أن مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين كانت إذ ذاك كجيش فى قتال يجب إعداده لمهاجمة الألمان فى القريب العاجل .

فلابد لذلك من توجيه سديد يقوم على سرعة نقـــل الأوامر وتنفيذها .

فدعوت كل القواد إلى محاضرة فى مدرسة القديس بولس فى ١٣ (يناير) وأطلعتهم على أساليبى والجو الذى أريد أن نعمل فيه . فوافق الجميع ، إلا أن بعضهم لاحظوا أن كل ذلك يتطلب تبديلات ثانوية فى الخطط والطرق المألوفة حتى ذلك الوقت ، وكانوا قد طلبوا تحقيقها من المكتب الحربى فلم يحصلوا على جواب . فوافقت فى الحال على تلك التبديلات وأمرت بتحقيقها فوراً .

إلا أنه كان بين الحاضرين ضباط من المكتب الحربى ما كنت لأرضيهم فى تصرفاتى فنقلوا الخبر إلى رؤسائهم فى المكتب الحربى وأثاروا سخطه على .

فبلغنى من بروك أن سكرتير الدولة للحرب ، السرجامس جريج ، مستنكر بشدة قلة مبالاتى الصريحة بسلطة المكتب الحربى . فاضطربت لذلك ، لأننى ما كنت لأنجح فى إعداد جيوشى للحرب بدون مساعدة تامة من قبل المكتب الحربى

فأشار بروك إلى جريج أن يدعونى إلى تناول الغذاء معه فيتسنى لنا حينئذ أن نتباحث طويلا فى الموضوع .

وما كنت أعرف جريج معرفة تامة حينذاك . فتقبلت ذلك الاقتراح بسرور .

وفى أثناء الغذاء عرضت لجريج حرج الموقف واعتذرت له عن إسراعى فى العمل طالبا منه أن يدعنى أباشر به عند الحاجة وأنا دائماً

مستعد أن أقبل اللوم منه عندما يرى للوم سببا . فانشرح صدره لكلامي هذا وكان ذلك بدء صداقة فيما بيننا .

وإنني الآن أرى أنه كان خير سكرتير دولة أسعدنا الحظ به في المكتب الحربي . هذا وإنني لم أطلب من ذلك المكتب إلا تبديلا واحداً فيما يختص بالقيادة العليا ، وهو تبديل أندرسون بدمبسي على رأس الجيش الثاني .

فإن دمبسي كان قائد فرع في الجيش الثامن ، وكنت شديد الإعجاب به ، وخدم إلى جانبي كقائد للجيش الثاني ولم تتزعزع قط ثقتي به .

وقبل ١٩٤٤ بمدة طويلة كان في لندن مقر قيادة مكلف بدرس إعادة جيوش الحلفاء إلى المنطقة الشمالية الغربية من أوروبا .

والمشرف على ذلك المقر هو فردى مورجان الذي كنت أعرفه معرفة جيدة ، وشكا لي غير مرة الصعوبات التي يتكبدها في سبيل تصميم خطة لائقة ، وهو لا توجيه له ولا استعلامات لديه إلا عن القوى الممكن استخدامها في العملية الواسعة تلك ، وهي استعلامات يتلقاها من الأركان المتآلفة المقيمة في واشنطن . هذا مع العلم أنه يعمل وحده ، أعني أنه لا يعمل إلى جانبه قائد جيش عرف الحرب الحديثة عن قرب واختبرها .

وكنت كلما ازددت اطلاعا على الخطة التي صممها مورجان لمجموعة الجيوش الواحدة والعشرين . كلما قلت بها ثقتي للأسباب التي ذكرت

فى أوانها سابقا من ضيق الجبهة والفوضى التى لابد من أن تشمل العمليات وهى ليس لها مركز واسع تبتدىء منه ثم تتطور. هذا علاوة على أن تلك الخطة كانت تقتضى أخذ مرفأ شربورج. مع أننا لابد لنا من الاستيلاء على ذلك المرفأ بسرعة لتسيير عملياتنا بالسهولة اللازمة فيما بعد.

وما كنت أرى فكرة واضحة عن كيفية تطور القتال بعد إنزال الجيوش على الشواطىء النورمندية. فقصدنا أن نحدث ساحة وغى أخرى على البر الأوروبى، ولن يتم ذلك إلا بمراحل ثلاث:

معارك متتالية فى أوروبا الغربية، تحطيم قوى العدو، احتلال ألمانيا. فمن اللازم إذن أن نقرر أول الأمر كيف نسير المعارك البرية، فنؤمن بمقتضى تصميمنا لذلك التسيير الاستيلاء على السواحل التى نراها أشد موافقة من غيرها لإنزال جيوشنا. والظاهر أننا أقبلنا على المشكلة من الطرف المعاكس.

فاستعلاماتنا فى ذلك العهد (- (يناير) - ٩٤٤) تدل على أن للألمان فى فرنسا أكثر من ٥٠ فوجاً. ٦ منها، على نحو التقريب من البانزر وحساب وليس يدل أيضاً على أننا سنضطر إلى مقاتلة ٦ أفواج ألمانية فى مساء أول يوم إنزال الجيوش فلماذا المخاطرة إذن؟ فإن فشلنا فى إنزال جيوشنا فى نورمنديا يزيد ذلك فى مدة الحرب سنوات وسنوات.

لابد لنا، على البر. من أن نشق طريقنا بالقتال ومن أن نستقر بسرعة قبل أن يتمكن العدو أن يأتى بقواه الاحتياطية ليطردنا من

حيث وصلنا ؛ وفى تلك الأثناء يحمى طيراننا المراكز التى نتحصن فيها ويعرقل حركات العدو وتنقلاته بنسف الطرق وخطوط السكك الحديدية .

ثم إن مرحلة هجومنا الأولى يجب أن يقوم بها ٥ أفواج على الأقل ويضاف إليها أفواج أخرى تحمل عن طريق الجو وتنزل على جوانبنا حتى تمنع العدو عن أن يعترضنا فى تقدمنا إلى الداخل . ولذا لا بد لنا من ٨ أفواج فى مساء اليوم الأول و ١٢ فوجاً فى مساء اليوم الثالث من إنزال الجيوش ، و ١٨ فوجاً بعد ذلك بأسبوع . وهذا عمل جبار يتطلب استحضار سفن من أساطيل البحر المتوسط ويتطلب أيضاً مطارات يمكن أن تنقل فيها الأفواج ثلاثة ثلاثة .

وكان أيزنهاور قد كلفنى أن أحل محله فى كل شىء فاجتمعت غير مرة مع أعلى قادة البحرية والطيران ، كما إننى اجتمعت أيضاً مع أعضاء أركاننا المختلفة . كنا جميعاً على يقين من أن عملية أوفرلورد هى محور الحرب فى أوروبا ، فيجب تقديمها وتقويتها على كل عملية أخرى ، وما كنا لنستطيع أن نفترض قط فشلا فيها .

فبعد إعادة النظر فى الخطة اتضح للفور أن نجاحنا متعلق بأن تعتبر عملية أنفيل كتهديد بسيط ليس غير ؛ وأن السفن المخصصة لتلك العملية تنقل إلى أوفرلورد .

وعملية أنفيل تلك عبارة عن إنزال جيوش يتم فى جنوبى فرنسا . شرقى تولون ، والقوى التى تنزل مأخوذة من الجبهة الإيطالية وهذه

فكرة أميريكية ، فيما سمعت ، ولم تحبذها سلطة بريطانيا قط . فنظرية الأميريكيين هي أن تعتبر أوفرلورد وانفيل ككل واحد ، والغاية من انفيل صرف جزء من قوى العدو إلى جنوبي فرنسا فيضعف ضغطه على أوفرلورد . وأنفيل . وكان الفرنسيون يحبذونها .

وما زالت المناقشات تدور حول أنفيل حتى (أغسطس) وكنا نحن نفتهي من تطويق الألمان في منطقة فاليز . ولأمر ما أجهلة بدل أسمها فعرفت بعدئذ بعملية « دراجون » . فبوشر بتنفيذها في ١٥ (أغسطس) وكانت ، في رأيي أكبر خطأ استراتيجي ارتكبه الحلفاء في الحرب . ففيما بين أواخر (يوليو) وأوائل (أغسطس) وقعت في شأنها مناقشة عنيفة بين أيزنهاور ورئيس الوزراء . ورأى أيزنهاور أنه سيقوى موقفه من تشرشر إذا استطاع أن يقول له إنني أوافق على أن يباشر بتلك العملية في (أغسطس) كما كان قد قرر . وضعفت أمامه ووافقت على رأيه مرغماً إذا إنه في (أغسطس) كان كل شيء معداً لإنزال الجيوش في جنوبي فرنسا .

وافق أيزنهاور في ٢١ (يناير) على خطة أوفرلورد النهائية وهي الخطة الأساسية بعد أن أعدنا النظر فيها ونقحناها . فأخذنا نطبقها بعد ذلك في أدق تفاصيلها . فنتج عن ذلك عمل جبار في الجيوش كلها مما اضطر الأركان إلى مجهود عنيف مستمر . ولا غرو وإن تلك الأركان تحت توجيه ده جنجان . كانت تسير السير السديد وما أظنك تجد حينئذ فئة أوفر اختباراً من تلك التي كان يؤلفها ده جنجان ، جراهام ،

بلشم ووليمس ، والتي انضم إليها بعد هربرت (اليوم ليوتنان — جنرال سراتوى هربرت) رجل للعمل الذى لا يعرف للتعب معنى .

وأريد هنا أن ألفت النظر إلى خواص الخطة الأساسية بالنسبة لتطور العمليات بعد أن عسكرنا فى البر . فمن تلك الخواص قامت شبهات أدت إلى صعوبات شاقة فيما بعد .

كانت نيتنا الاستيلاء فى الوقت نفسه على الشواطىء النورمندية الواقعة فى شمالى مصب كارنتان وعلى ما بين تلك المنطقة والأورن وغايتنا من كل ذلك احتلال منقطة تشتمل على مطارات مع مرفأ شربورج نتخذها كقاعدة لعملياتنا فيما بعد . هذا مع العلم أن مفترق طرق « كان » يشكل بجانب الأيسر أو الشرقى لذلك المركز .

وكان الجنرال أيزنهاور قد سلمنى قيادة كل القوى البرية المعدة لذلك الهجوم ، وتلك القوى جيشان فى أول الأمر ـ الجيش الثانى البريطانى وقائده دمبسى ، والجيش الأول الأمريكى وقائده برادلى) ـ أضيف إليهما بعدئذ جيشان آخران ـ الجيش الأول الكندى وقائده كريرار والجيش الثالث الأمريكى وقائده باتون والمهم هو أن يفهم قصدى الصحيح وهو أن أتظاهر بأننى أريد شق جبهة العدو فى منطقة « كان » مما يضطره إلى جميع معظم قواه ، ولا سيما المصفحة منها . فى تلك المنقطة محاولا بذلك صد الهجمات التى يقوم بها الجيشان الكندى والبريطانى تحت قيادة دمبسى . وفيما يكون العدو منصرفاً إلى القتال بمعظم قواه فى ذلك الجانب الشرقى تندفع القوى الأمريكية تحت قيادة برادلى لنشق جبهة الألمان فى الجانب الغربى . والهجوم هذا يتجه نحو الجنوب أولا

ثم يعدل به نحو الشرق إلى نهر السين وباريس . وأملى أن تكون فاليز محور ذلك التطويق الضخم فاقطع على العدو طريقه فى جنوبى نهر السين بعد أن تكون القوى الجوية قد دمرت كل جسور ذلك النهر من تلك الناحية .

وكان عملنا كله معلقاً بتلك الخطة الأساسية التى عرضت لها غير مرة أثناء اجتماعاتنافى (فبراير) ، وتم الاتفاق عليها بين القادةالمسؤولين جميعهم فى ٧ (ابريل) .

فرأيت بعد ذلك أن أدع لده جنجان وأركانه التدقيق فى تفاصيل تلك الخطة صارفاً وقتى واهتمامى إلى مراقبة إعداد الجيش للمجهود الذى قد يطلب منه . فجعل قطار خاص «رابيير» تحت تصرفى وأخذت اتجول فى انجلترا ، اسكتلندا وبلاد الولش محاولا الاتصال بكل فرقة وكل وحدة ، راغبا فى أن أرى كل جنودى وأن يرونى جميعهم ، حتى أعرفهم ويعرفونى وتتم بيننا تلك الثقة المتبادلة التى بدونها ما كنت أتيقن من النجاح التام .

وعند منتصف مايو كنت قد زرت كل الوحدات القائمةفى المملكة المتحدة وعدد الرجال الذين رأونىورأيتهم يربو علىالمليون ، وهم جميعاً معدون للدخـــول فى معركة النورمنديا . فمن بينهم البريطانيون والامريكانيون والفرنسيون الأحرار والبولونيون وهلم جرا . ولقد استهلكت تلك الزيارات مجهوداً جباراً أتعبنى . ولكننى كنت أرى مكافأتى وراحتى بالثقة التى أحرزتها عندهم . والذى سرنى فوق كل شىء

هو اطمئنان الجنود الأميريكيين إلى والجميع يعلم حذرهم من كل أجنبي عن بلادهم . ولقد أكد لى ذلك كتاب جاءنى من بدل سميث يهنئنى فيه على عملى وعلى الثقة التى أخذ الأمريكيون يشعرون بها نحوى بعد قيامى بذلك العمل .

ثم أن وزارة التموين طلبت منى . بعد وصولى إلى انجلترا باسابيع قلائل ، أن أقوم برحلة تفتيشية فى معامل مناطق البلاد المختلفة . والناس يعملون فيها لتجهيز العتاد للجيوش ولا سيما لخطة أوفرلورد فيزيدون إلى وقتهم النظامى ساعات إضافية .

فأتاحت لى تلك الزيارات التفتيشية أن أتصل بجمهور ضخم من العمال ، وطلبوا منى أن أخاطبهم فى كل معمل فأخذت أعرض لهم كيف أن العامل والجندى مشتركان فى عمل واحد وهو القضاء على سيطرة الألمان فى أوروبا ، وهكذا كنت أفعل مع الموظفين فى السكك الحديدية والذين يعملون فى المرافىء . وأطلعتنى كل تلك الاتصالات على أن الشعب كان قد سئم من الحرب ومن الحرمان الذى تفرضه على الجميع فى كل مرافق الحياة وكانت الجماهير تهتف بى أينما حللت . وشعرت انني أصبحت رجلا غير مرغوب فيه فى بعض الأوساط العليا ، لا بل طلبوا منى أن أمتنع عن تلك الزيارات ، إلا أننى لم أفعل مدعياً دوماً أن بعض الوزارات ى هويتهال دعتنى إلى أن أقوم بها .

والواقع هو أن جمهور العمال كان فى حاجة إلى تقوية معنوياته ؟ فانهم كانوا يرون فى إنزال الجيش فى أوروبا مجازر لا فائدة منها ، فأكدت لهم أنه لن يكون الأمر كذلك . وفى تلك الأثناء قامت لجنة

الأمن القومية بدعوة إلى الأمة جميعها تستنجدها لتلبية حاجات الجيش والبحرية والطيران .

فى ٢٨ ابريل نقل مقر قيادتى إلى سونويك هور ، فى منطقة بورتسموث ، حيث اتفق أن يكون مركز قيادتنا للعمليات ؛ أما مركز إقامتى فكان قريبا فى برومفيلد هوز .

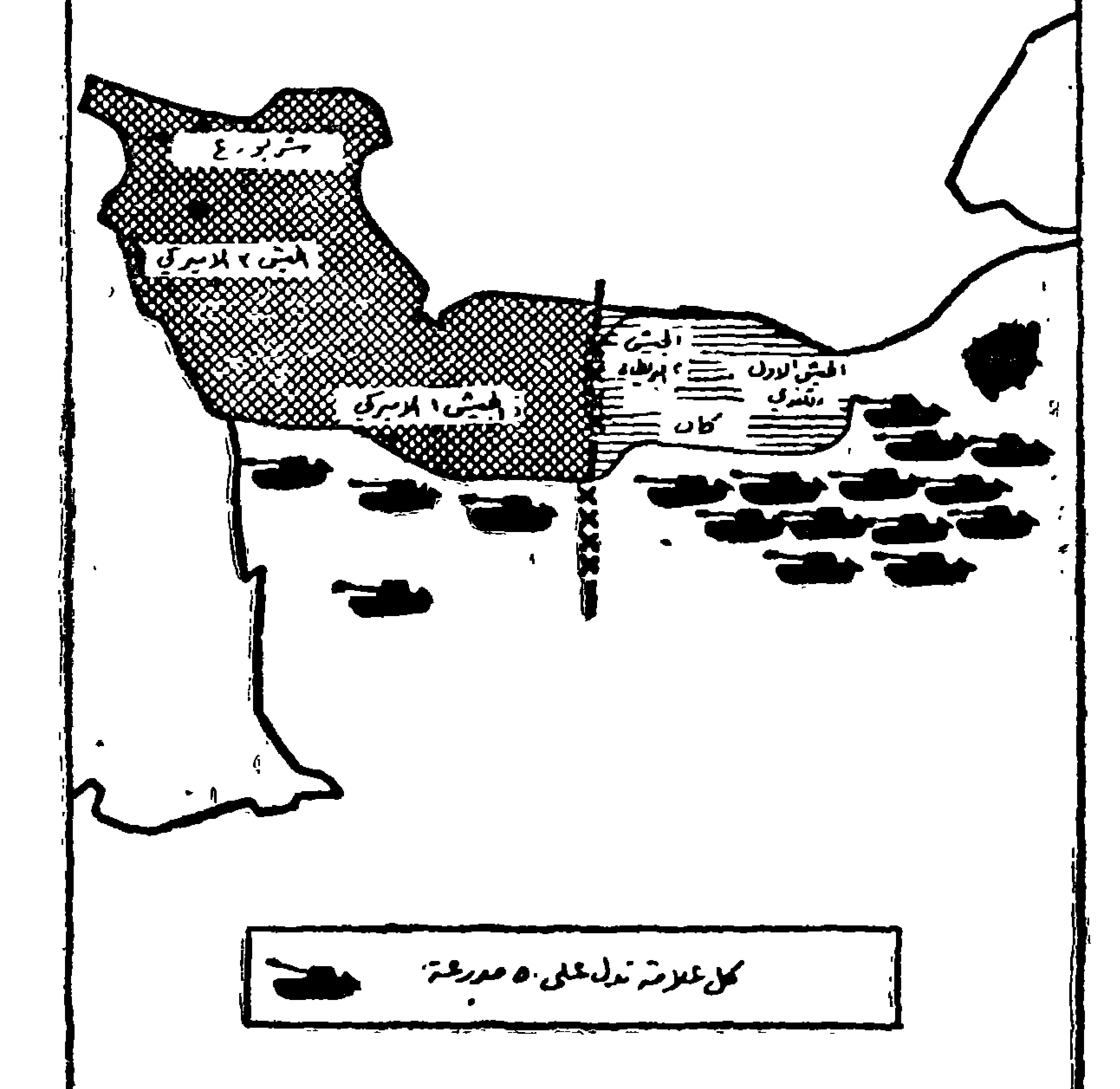
وفى ابريل أيضا دونت تعليماتى الأخيرة للجيشين المتجهزين للنزول فى نورمنديا . وقد كتبت فى ١٤ ابريل مايلى .

١ ــ إننا لا ندرى فى أية سرعة يستطيع العدو أن يجمع قواه ولا سيما المصفحة منها ، ليهاجمنا بعد نزولنا . ولذا فإنه من اللازم علينا ألا نوزع قوانا بل نحفظها دائما مجتمعه لنتمكن من صد كل الهجومات.

٢ ــ وخير وسيلة فى منع العدو عن أن يلم قواه ليهاجم هى أن نندفع نحن أنفسنا إلى الأمام بقوى مصفحة وذلك بعد ظهر اليوم «ن» وتكون تلك القوى من الألوية المصفحة فى كل جيش فتتوالى دوما وتتحرش بالعدو فتعرقله فى حركاته وتنقلاته وترمى فى صفوفه القلق والاضطراب .

٣ ــ ولا بد من اللجوء إلى تلك العملية الهجومية المستمرة منذ النهار الأول لنزولنا . فاذا ما انتظرنا إلى اليوم الثانى فاتتنا الفرصة واضطررنا إلى أن نبقى على خطة دفاعية . ولذا فان وحدات المصفحات يجب أن تجمع فوراً عند نزول القوى الأولى ، وتباشر حالا بالعمل فتشق طريقها نحو الداخل .

انتظام المصفحات الألمانية قبل
هجوم ٢٤ تموز ١٩٤٤



٤ — ونتيجة هذه العملية الهجومية التى تقوم بها المصفحات هى أن تؤمن لنا مراكز منيعة فى مقدمة الكتلة الضخمة من قواتنا . وإذا كانت تلك المراكز منيعة فلن يقوى العدو على تطويقها . ثم أننى لا أخشى الخسارات ، ولو كانت فادحة ، من هذه الناحية ، على افتراض أنه ستكون ثمة خسارات . فان تلك المراكز ستشغل العدو وتؤخره فى هجومه علينا مما يتيح لنا أن نتقدم بسرعة بقواتنا الضخمة بعد انزالها على الشواطىء فنحتل بسهولة منطقة مهمة من الجبهة . ثم أرسلت نسخة من التعليمات لكل من قائدى الجيشين ونسخة أخرى لرئيس الوزراء الذى لم يلبث أن أعطى موافقته وبدون تردد .

فى شهر مايو اجتمعت غير مرة بـبيل وليمس الذى كان قد أصبح الآن قائد لواء ورئيس مصلحة الاستعلامات فى مقر قيادتى . وكان رومل قد عين قائد المنطقة فى هولندا واللوار فكان وليمس يرى أن خطة رومل أن يهزمنا فى الشواطىء والمستنقعات النورمندية ، فاذا لم يتمكن من هزمنا على الشواطىء فانه ينوى على تطويقنا فى المستنقعات النورمندية . فصممت خطتى تبعا لذلك .

وفى ١٥ (مايو) قام مقر القيادة الاعظم بالعرض الاخير للخطط المتآلفة . وتم ذلك فى مدرسة القديس بولس بحضور الملك ورئيس الوزراء والجنرال سموتس ورؤساء الاركان البريطانيين ، فالقى كل من الملك ورئيس الوزراء وسموتس كلمه تليق بالمناسبة وانسحبوا . وبعد ذلك بقليل دعانى سموتس إلى ان اتناول الطعام معه فى لندن فقبلت دعوته . وفى اثناء الطعام اخذ يحدثنى عن مصير اوروبا بعد الحرب ،

وكيف يجب أن تترأس بريطانيا تنظيم الأمور فى اوروبا ، فتصبح منها وفيها ولا تعيش فى عزلة تاركة الدفة لفرنسا التى فشلت بعد حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ واخيراً طلب منى أن أصارح الجمهور بتلك الآراء لشهرتى ولنفوذى فى بريطانيا ، فأستطيع أن أجاهر بما لا يستطيعه احد غيرى . اعترف بان هذا الكلام ولدفى انفعالا عميقاً وجعلنى أغوص فى بحر من التأمل والتفكير ولو كنت على يقين من أن الجندى لا كلمة له فى الموضوع بل من الواجب عليه ان يدع رجال السياسة يتكلمون فيه.

ثم ابتدأت فى ٢٣ (مايو) بتلك الجولة الاخيرة ذكرت ان ٥ (يونيو) كان قد قرر على ان يكون النهارن . فلا بد من رجوعى عند هذا التاريخ . هذا وانى قمت بزيارة إلى كل منطقة يحل فيها فرع جيش أو فوج ، وحدث لى ان كنت أخطب فى ٥٠٠ او ٦٠٠ ضابط كل مرة . ودامت الجولة ثمانية أيام رجعت منها وقد اعيانى التعب . الا ان ذلك المجهود كنت أراه ضرورياً لتوطيد الثقة فى قلوب الجنود ، فكنت ، فى كل حفل أعرض لموضوعى بكامله فأتكلم عن حالتنا فى الماضى وماأقف طويلا عندها، ثم أنتقل إلى الكلام عن وضع الحرب حالياً وعن الآمال التى يمكننا ان نستسلم لها فيما يختص بالمستقبل . وادخل بعد ذلك فى العرض للمجهود المفروض علينا فى الوقت الحاضر من استعداد قوى وتمرين واسع شامل بالعتاد والاسلحة ، وانهى خطابى بذكر الشروط الاساسية لتأمين نجاحنا وهى التآلف الودى بين الحلفاء أولا ثم الحماسة والعزيمة القوية على الهجوم المستمر ، ثم الثقة المتبادلة واخيراً بذل الأرواح فلا نثنى عن هجومنا أو ننتصر .

فى ١ (يونيو) اخذت افكر بكل ما كان قد تم منذ قدومى إلى انجلترا فى ٢ (يناير) ، فرأيت من الواجب على ان اكتب رسالة إلى السر جمس جريج اعرب فيها عن كل ما اشعر من الشكر نحوه ونحو المكتب الحربى على الخدمات الجليلة التى قدماها لى وللجيش . وفى ذلك الكتاب اعتذر لسكرتير الدولة فى المكتب الحربى عن كل ما ارتكبت من اخطاء نحوه بسبب عدم صبرى وعدم تقيدى بالانظمة المعهودة ، ثم اصارحه بارتياحى إلى الروح الطيبة التى انعشت العلاقات بين الجيش والمكتب الحربى واتمنى ان تستمر تلك الروح هكذا حتى الانتهاء من الحرب ، فيكون النصر ليس نصر الجيش فقط بل نصر الجيش والمكتب الحربى معاً .

واجابنى جريج ليشكرنى على عواطفى وهى عواطف قلما ابداها قائد جيش نحو المكتب الحربى فيما قال . واكد لى أنه لايزال هو والذين يعملون معه فى خدمة الجيش لمساعدته ولتأمين الرفاهية لافراده جنوداً وضباطاً .

بعد أول (يونيو) اخذت حالة الجو تقلقنا ، اذ أنه كانت قد هبت عاصفة قوية تشمل انجلترا وسواحل فرنسا من ناحية المانش ، وكل شىء يدل على انها ستستمر إلى ٥ (يونيو) وهو النهار المعين للمباشرة بانزال الجيوش إلى نورمنديا وبعد الاجتماعات والمباحثات . قررنا فى الساعة ٤ صباحا من ٥ يونيو ان نرجىء عمليتنا إلى الغد . وكانت الدلائل الجوية تنبىء بصحو نسبي يستمر بضعة ايام بعد ٦ (يونيو) ثم تليه

عاصفة اخرى ، فقرر حينئذ ايزنهاور المباشرة بالعمل بعد اجتماع لم يدم ربع ساعة فسررنا جميعا .

ففى مساء ٥ (يونيو) قدمت هندهاد لارى السيد رينولدس وامرأته وتباحث معهما فى مصير داود واتخذت كل التدابير حتى اخفى على الجميع ان المعركة ستبتدىء فى صباح الغد ٦ (يونيو) .

قضيت ذلك النهار فى بستان برومفيلد هوز . بعد أن أخذت قسطا من الراحة سجلت للبيبيسى بيانى إلى الجيوش وكان قد اذيع للجنود عند ابحارهم . واخذ النهار يتقدم ومع تقدمه اخذ الأمر يتضح لنا أن عملية انزال الجيوش قد ابتدأت وكانت تسير على خير ما يرام .

فرأيت أنه من الواجب على ان أكون فى نورمنديا ولا فى بورتسموث وركبت المدمرة ه . م س . فولسكنور التى كانت قد جعلت تحت تصرفى ، فما رجعت قط إلى انجلترا بعد ذلك إلا بعد غياب دام ستة اشهر .

كنت شديد الرغبة فى ان اتصل ، قبل كل شىء ، بقائدى الجيشين دمبسى وبرادلى وهما فى البحر على ظهرى السفينتين الموضوعتين تحت تصرفهما . كنت راغبا فى ذلك لأجتمع بهما واتباحث معهما فى شأن تطورات الحالة .

الفصل الثالث عشر

معركة النورمنديا

٦ (يونيو) — ١٩ (أغسطس) ١٩٤٤

نصل الآن إلى الحوادث التى كان لها التأثير العميق على تطور الحرب ضد ألمانيا . ولطالما كتب عنها ولطالما جر الشعور القومى ، لا سيما عند الأمريكيين ، إلى أقوال لا أساس لها ، وجهت ضد البريطانيين عامة وضدى بنوع خاص .

ولقد وافق صديقى أيك على أن الوقت قد حان لى أنا أيضاً أن أبدى رأيى فى الموضوع . وسأفعل متقيداً بالواقع كما جرى ، مكتفياً بذكره على إخلاص تام .

فى صباح ٧ (يونيو) مرت مدمرتى الفولكنور قرب الساحل الفرنسى متجهة إلى المنطقة الأميركية فى الغرب ، فالتقينا بالمركب الأميركى أوجستا حيث كان برادلى فتباحثنا فى أمور الجيش الأول وفى حرجِ موقفه فى الشاطىء أوماها واتفقنا على كيفية تسيير المعركة هناك . ثم رجعت إلى المنطقة البريطانية وقصدنى دمبسى مع الاميرال

فيان للمباحثة فى امور الجيش البريطانى وهى حسنة لاتدعو إلى قلق واضطراب قط . وفى الوقت نفسه وصل ايزنهاور ورامسى فصعدت إلى مركبهما لاجتمع بهما ، ثم عدت إلى مدمرتى وطلبت من قبطانها ان يرجع بنا إلى المنطقة الاميركية لاتصل ببرادلى مرة ثانية وكانت الاخبار الآن عن حالة المعركة فى شاطىء اوماها اخباراً حسنة، ونزل برادلى إلى البحر إلا أن رئيس أركانه صعد إلى الفولكنور وأطلعنى بدقة على احوال الجيش الاميركى . ورجعنا بعدئذ إلى المنطقة البريطانية .

وكان الجو صافياً والشمس ساطعة فى الفضاء ؛ ولم يظهر قط ردفعل يذكر من قبل طيران العدو . فكأن ليس هناك معركة تدور . فرجعنا إلى الشواطىء البريطانية وطلبت من قبطان المركب أن يعود ويقلنى فى صباح الغد إلى السواحل الفرنسية ويتقدم إلى أقصى حد ممكن من تلك السواحل لإنزالى إلى البر . ففعل مكرهاً واصطدمت السفينة بالرمل إلى مركب كان فيه أحد ضباط أركانى ووصلت سالماً إلى البر الفرنسى .

كان العدو قد بوغت بهجومنا وما كان يظنه يتم فى ذلك الوقت وقدهبت العاصفة التى ذكرت فى الأيام السابقة . إلا أن إنزال جيوشنا سار بسهولة وأخذنا نتقدم ونوطد مراكزنا . وفى اليوم الثانى ٧ يونيو كنا قد سرنا بين ٥ و٦ أميال إلى الداخل وفى ١٠ يونيو ، اعنى ٤ أيام بعد نزولنا ، أصبحت مساحة المنطقة التى نحن فيها ٦٠ ميلا طولا و٨ إلى ١٢ ميلا عمقاً . أصبحنا حينئذ معسكرين على الشواطىء الفرنسية وزال كل قلق واضطراب

فى ١٢ يونيو قدم رئيس الوزراء والجنرال سموتس لزيارة لى فى نورمنديا. أما تشرشل فكان شديد الاغتباط والفرح ومستعداً أن يعترف لى بالمهارة التامة فيما يختص بتسيير القتال. وقبل إنصرافه كتب على دفترى المخصص للتوقيعات. ما يلى « شاء الله أن تكون النهاية من طراز البداية » وأضاف سموتس : « أمين .

سبقت وعرضت لخطتى الحربية فى معالمها الأساسية ، وهى تقوم بجبهتين . جبهة شرقية الغاية منها استمالة قوى العدو عليها ، فنقف موقفاً دفاعياً يؤمنه الجيش الثامن البريطانى . وجبهة غربية هجومية تتقدم بسرعة لتطويق العدو بعد انصرافه إلى الشرق تطويقاً واسع النطاق ويقوم به الجيش الأول الأميريكى . فمحور الجبهة الشرقية مدينة «كان» لأهميتها كمفترق للطريق والسكك الحديدية التى تتجه من الشرق ومن الجنوب الشرقى إلى منطقة مركزنا . وبما أن معظم القوى الاحتياطية كانت فى شمالى نهر السين فلابد لها من أن تهاجم ذلك المركز من الشرق فتتجه لا محالة نحو مدينة « كان » . فأصبحت اذن على يقين من أن هجوماً قوياً ومستمراً فى منطقة « كان » يتيح لنا أن ندرك غايتنا وهى صرف قوى العدو الاحتياطية إلى الجبهة الشرقية . فعدت إلى خطتى تلك حال نزولنا إلى البر وعسكرنا على الشاطىء ، فما لبثت أن تبلورت وأخذت تتضح وتبدو صالحة كل الصلاحية للنتيجة التى كنت أريدها منها عندما وصلنا إلى منطقة « كان » واحتللنا شبه جزيرة الكوتنتين .

وما عدلت قط عن تلك الخطة الأساسية . لاشك فى أننى غيرت

بعض تفاصيلها وما اصررت على أن يتم كل طور منها فى الوقت المعين له سابقاً . فما أخذنا « كان » مثلا إلا فى ١٠ يوليو ولم نفته من تنظيف ضواحيها الشرقية قبل ٢٠ يوليو ثم أن نيتى الأولى كانت أن استولى بأسرع وقت ممكن على المرتفعات بين « كان » وفالز لتحويل تلك المنطقة إلى مطارات ، فعندما رأيت أن ذلك امر مستحيل عدلت عنه بالرغم من سخط سلطات الطيران الحربى .

وهناك أمر آخر وهو أن هدف خطتى الحربية الاساسى حينذاك أن أمركز قوة مصفحة فى جنوب شرقى « كان » فى منطقة بورجبوس وهذا ضرورى جداً إذ أننا به نجعل معظم المصفحات الألمانية ينصب على الجانب الشرقى فيتيسر للقوى الأميركية الزحف نحو الغرب ، والعملية هذه معروفة باسم جودوود . إلا أننى لم أواصل الضغط فى تلك المنطقة من الجبهة الشرقية عندما توقفت مصفحات دمبسى عن التقدم بسبب مقاومة العدو العنيفة والمطر الذى نزل هاطلا فحول المنطقة كلها إلى بحر من الوحل :

وظن الكثيرون ، عند المباشرة بعملية جودوود ، أن عملنا هذا ابتداء تنفيذ خطة الغاية منها الزحف على باريس من الجبهة الشرقية ، وبما أن ذلك الزحف لم يتم اعتبروا أن تلك المعركة كانت عاقبتها الفشل وهذا مانجد مثلا فى الصفحة ٣٢ من بيان أيزنهاور عن معركة نورمنديا فتخرج من قراءتها مع الشعور بأن الكنديين والبريطانيين باؤوا بالفشل فى الشرق أعنى فى مدينة « كان » مما اضطر الأميريكيين إلى أن يأخذوا

على عاتقهم الضغط والتقدم من ناحية الغرب . وهذا يدل على أن أيزنهاور لم يفهم الخطة الأساسية مع أنه وافق عليها وقبلها بسهولة . فاننا فى معركة نومنديا ، ما كنا لننوى على أن نقوم بهجوم نحو باريس من جهة الشرق ، بل غاية احداث الجبهة الشرقية استمالة قوى الألمان إليها ليخف ضغطهم من ناحية الغرب فيستطيع الأميريكيون أن يزحفوا بسهولة من تلك الناحية إلى باريس . وكل ذلك تراه مدوناً واضحاً فى الأوامر والتعليمات الصادرة عن مقر قيادتى ولم يجهلها أو يتجاهلها إلا رجال مقر القيادة الأعظم . أما القادة المسئولون مباشرة عن تسيير القتال فى ساحة الوغى ، وبرادلى فى مقدمتهم ، فلم يكن عندهم شك قط بالخطة الأساسية . فان سوء التفاهم ذلك فسح المجال لمجادلات عنيفة . فاستغل أعدائى فى مقر القيادة الأعظم الموقف وراحوا يختلقون الصعوبات والمشاكل عندما أخذت المعركة تسير سيرها وتتطور .

وأظن أن سبب الاضطراب هـــذا كله هو أن الخطة الأولى « كوساك » كانت تقتضى شق جبهة الألمان فى المنطقة « كان - فاليز » من ناحية جبهتنا الشرقية فرفضت تلك الخطة وعدلتها . وكان صاحبها الجنرال مورجان ، وهو حينذاك رئيس الأركان المساعد فى مقر القيادة الاعظم . فنى نظر مورجان ايزنهاور إله ، ربما اننى رفضت غير خطة من الخطط التى قدمها ، اصبحت أنا فى الطرف المقابل من ذلك السلم السماوى . هنا أصل الأختلاف . فان مورجان والذين حوله من القادة الخائبين كانوا يتلمسون كل فرصة لصفونى لايزنهاور كقائد لا اقدام عنده ، فما يروننا نشق الجبهة الألمانية فى ناحية قط .

وكان فى جانب مورجان قادة الطيران الحربى ومن بينهم كوننجام وتدر . فانهما كانا يريدان الاستيلاء على منطقة ما بين كان وفاليز لاحداث المطارات ، وما كنت أنا اعلق على تلك الاحداث كبير اهمية . فانى لم ادخل المعركة لاخذ مطارات بل لاهـــزم رومل واكرهه على الاستسلام فى نورمنديا فاستولى بعد ئذ على المطارات ، أما هما فكانا يريدان الاستيلاء على المطارات للتمكن بعد ذلك من هزم رومل .

وفى نحو منتصف (يوليو) ابتدأت الصحافة تظهر أن الرأى العام عيل صبره نوعاً ما ، لما بدا له من أن المعركة فى النورمنديا ما كانت تسير على ما يرام . كان برادلى قد حاول أن يتقدم نحو كوتانس وباء بالفشل . ثم كانت عملية جودوود فى الجبهة الشرقية وتم ما ذكرت عنها فى حينه . ولابد لى من الاعتراف بأن سوء التفاهم الذى حدث فيما يختص بتلك العملية انما حدث بذنبى أنا إذ أننى بدأت متفائلا أكثر من اللازم أثناء تصريحى لمندوبى الصحف حينما كانت المعركة تدور . مما حملنا . برادلى وأنا ، الا نكشف للصحافة خططنا الحربية الحقيقية بل نتظاهر دوماً بالابتسام . إلا أن الاحتفاظ بالابتسام كان يزداد صعوبة يوماً بعد يوم .

فى ١٨ (يوليو) اشرنا بعملية كوبرا ، وهى آخر محاولة لشق جبهة العدو من ناحية الأميريكيين الغربية ، وكنت قد وافقت على خطتها . وأرى هنا من اللازم على أن أذكر أن الطقس ، فى ذلك الوقت ، كان يعاكسنا معاكسة شنيعة جداً . ففى حين كنا بحاجة إلى قوى

جديدة نشيطة ، كانت العاصفة تمنع المراكب من الدنو إلى الشواطىء فتبقى تلك القوى عليها فى البحر . ثم أن الجيش الاميريكى الأول أصيب بمحنة شديدة ، وما عاد يمكننا استخدام المرفأ الاصطناعى فى ساحل اوماها فتركناه ولجأنا إلى تخصيص الاعتدة الحربية الأمريكية وتأخر برادلى اسبوعاً عن الخطط التى كان عازماً على تنفيذها.

وفيما كانت العمليات تتطور بحسب خطتنا ومقتضاها ، كنت اراقب خساراتنا عن كثب فها هى :

٢٢ (يونيو)

	قتلى	جرحى	المجموع
بريطانيون	٢٠٠٦	٨٧٧٦	١ ٧٨٣
أمريكيون	٣٠١٢	١٥٢٧٢	١٨٣٧٤
			٢٩١٥٦

١٠ (يوليو)

بريطانيون	٣٨٩٤	١٨٣١٤	٢٢٢٠٨
امريكيون	٦٧٩١	٣٢٤٤٣	٣٩٣٤١
			٦١٥٤٩

١٩ (يوليو)

	قتلى	جرحى	المجموع
بريطانيون	٦٠١٠	٢٨٦٩٠	٣٤٧٠٠
امريكيون	١٠٦٥١	٥١٣٨٧	٧٢٠٢٨
			٩٦٧٢٨

وعلاوة على ذلك فاننا كنا فى ١٩ (يوليو) قد ابعدنا ١١٠٠٠ مريضاً عن منطقة البريطانيين .

وفى تلك الاثناء استطاع الجيش الامريكى أن يعسكر بحيث يباشر عملية شق جبهة العدو . كان املنا ، أول الامر أن تبتدىء تلك العملية من الخط سان ـ لو ـ كوتانس . فاضطررنا الى العدول عن هذه الفكرة وقرر برادلى نهائيا أن يبتدىء عمليته من الطريق ما بين سان ـ لو ـ وبريية. وكان قصدنا أن نصل إلى ذلك الطريق فى ١١ (يونيو) . إلا أن ذلك لم يتم لنا إلا فى ١٨ (يوليو) . أما القوى البريطانية فانها واصلت عملها على الجبهة الشرقية ، تلك المدة كلها، فحملت القوى الألمانية على أن تنصب عليها صباً فى منطقة «كان» . وكنت قد أمرت القوى البريطانية أن تقوى ضغطها بقدر ما يزداد تأخير الأميركان فى جهتهم وما سكادمبسى من تلك الحالة قط ، بل قام بمجهوده خير قيام وكبد العدو خسارات فادحة فى الارواح والعتاد ولا سيا بالمصفحات .

حاول الألمان أن يطوقونا فى المستنقعات النورمندية على بعد ١٥ أو ٢٠ ميلا من منطقة القتال . ولقد نجحوا مدة فى عمليتهم تلك بفصل

قواهم الاحتياطية فنعونا من أن نحتل أرضاً واسعة فى منطقة كان . إلا أنهم بذلك تركوا الطريق مفتوحة أمام الأمريكيين فى الجهة الغربية فأحدث ذلك فى جبهتهم ثلمة ما كانوا ليستطيعوا أن يسدوها فيما بعد لأن قواهم كانت قد دخلت القتال فى مكان آخر .

كان من المفروض أن نباشر بعملية كوبرا فى ٢٠ يوليو إلا أن الطقس عاد فأخرنا ولم نستطع أن نبتدىء بتلك العملية إلا فى ٢٥ يوليو ويقينى أن الألمان ، عند اشتداد ضغط الأمريكيين ، سينسحبون إلىالوراء لكى يعودوا وينظموا جبهتهم . ولن يتم لهم ذلك ، فيما رأيت ، إلا فى كومون أو على نهر الأورن أو على المرتفعات بين كان وفاليز . فقررت أن أنقل ضغطى فى الجهة الشرقية من الطرف الأيسر ، فى جنوبى شرقى كان إلى الطرف الأيمن ، فى كومون مما يتطلب من الجيش الثانى مجهوداً جباراً قام به بشكل يستحق الأعجاب

أما الهجوم على كومون (عملية بليو كوت) فالمفروض أن تباشر به ستة أفواج فى ٢ أغسطس إلا أن الأمريكيين تقدموا بسرعة ما كنا ننتظرها ،فقدمت ذلكالموعد إلى ٣٠ يوليو بموافقة دمبسى .

وهكذا فى ٢٥ يوليو ، يوم ابتدأ الأمريكيون يشقون جبهة العدو ، كنا نتوقع النتائج العظيمة ، فنحصد ما زرعنا ونجنى نجاحا قاطعاً من وراء خطتنا الحربية فىمعركة النورماندى . وما هىإلا والغيوم تتابد فى سمائنا بدون سابق انذار .

فى ٢٦ يوليو ، تناول ايزنهاور الغذاء فى لندن بصحبة تشرشل .

لا أدرى ما قيل بالضبط أثناء ذلك الغذاء . إلا أن ايزنهاور كتب لى كتابا فى مساء اليوم نفسه ، وفى ذلك الكتاب جملة أقلقتنى ، ها هى « أن تشرشل أعاد غير مرة أنه عارف أنك ترى ضرورة إبقاء الجبهة مضطربة فى حين تتقدم الهجومات الأساسية وتسير سيرها » .

فظننت أول الأمر أن ايزنهاور شكا إلى تشرشل أننى لا أفهم ما على أن أعمل . والواقع ، فيما بلغنى بعدئذ ، هو أن أيزنهاور أطلع رئيس الوزراء على الانزعاج الذى تحدثه عنده الصحافة الأمريكية وهى ترى أن البريطانيين لم يدخلوا القتال بالشدة اللازمة بل اكتفوا بالمجهود القليل وتركوا الأمريكيين يتكبدون وحدهم الخسارات الفادحة . فما الجواب والإحصاءات تثبت قوله ؟

فنى مساء الغد ، ١٧ يوليو دعا رئيس الوزراء بعض الشخصيات المسؤولين إلى تناول الغذاء مع ايزنهاور . وما لبثت أن بلغنى الذى جرى أثناء ذلك الغذاء .

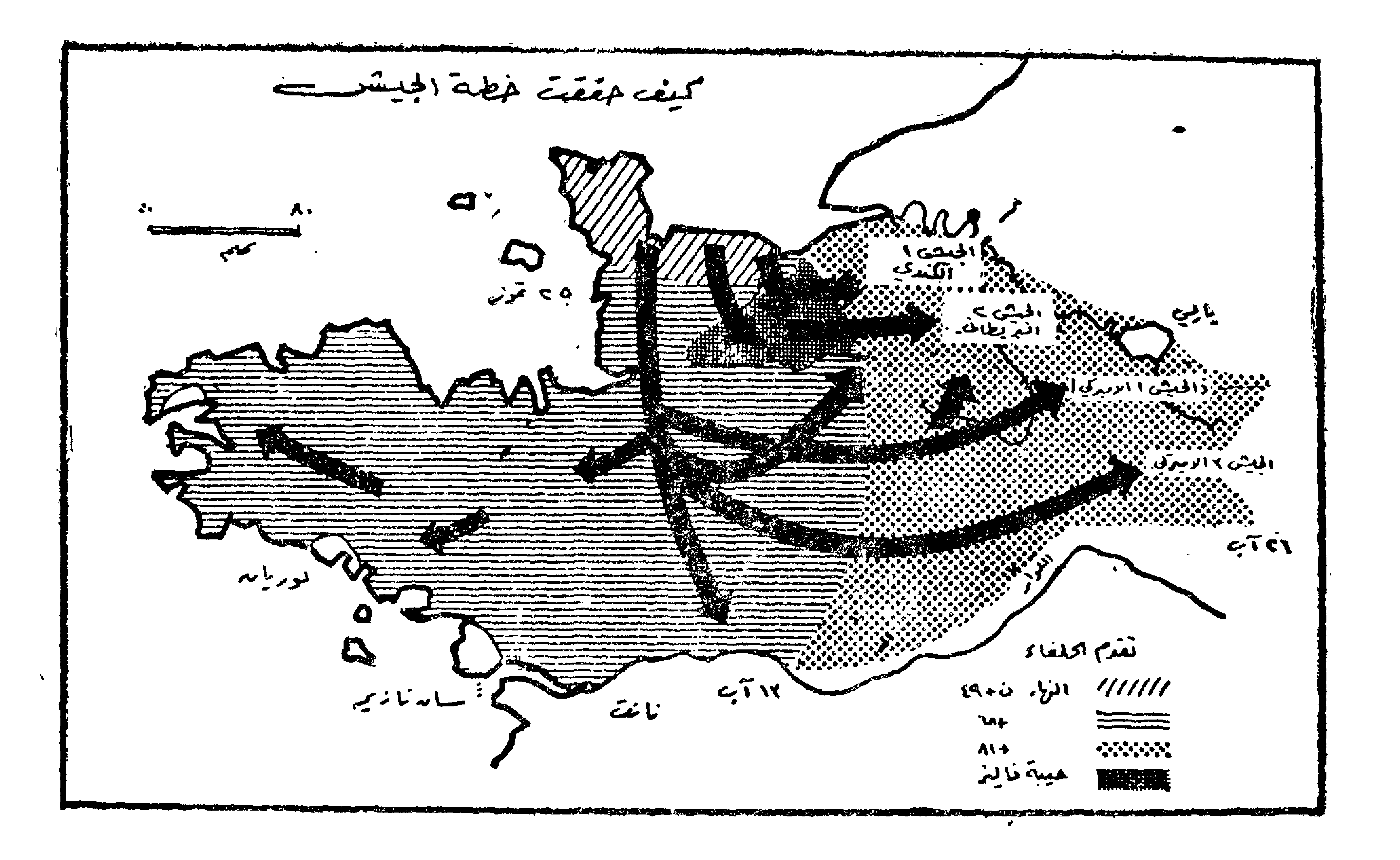
شكا ايزنهاور من أن دمبسى ترك على الأمريكيين كل وطأة المعركة . فألفتوا انتباهه إلى خطتى الحربية الأسياسية وهى أن أقاتل بعنف فى يسارى وأن أجذب الألمان إلى ذاك الجانب فى حين أننى أندفع إلى الأمام عن يمينى . ولاحظوا عليه أنه قد وافق على تلك الخطة وأن معظم المصفحات الألمانية منقلبة على الجبهة البريطانية . فما استطاع ايزنهاور أن ينكر ذلك . فسأل لماذا لا نقوم بهجوم على جبهة كل جيش من الجيشين البريطانى والأمريكى مثلما هو الأمر فى روسيا . فأجابوه

أن كثافة القوى الألمانية فى جبهة نورماندیا هى بقدر ضعفين ونصف ضعف كثافتها فى الجبهة الروسية . فلسنا نستطيع القيام بهجوم على جبهتنا كلها فنوزع قوتنا وهو بالضبط الأمر الذى يريده الألمان ، علاوة على أن ذلك لن يكون موافقاً لخطتنا الأساسية التى اتفقنا عليها جميعاً . فإننا قد باشرنا بهجوم فى ٢٥ يوليو من الجانب الأيمن والجيش الثانى البريطانى يقاتل ليحفظ الألمانيين على الجانب الأيسر وها هى خطتنا الحربية توصلنا إلى النجاح القاطع . فمن أية ناحية يمكن أن نلام ؟

ثم طلبوا من ايزنهاور أن يحدد بنفسه الموقف الذى يراه موافقاً ويأمرنى بأن أتقيد به بصفته القائد الأعظم للقوى فى المعركة نورمنديا ، أو أن يفوض رئيس الأركان الامبراطورية للأمر . فلم يرض لا بهذا ولا بذاك .

وبعد أيام قلائل أحرزنا انتصاراً أعتبر كأعظم انتصار فى تاريخ الحروب كلها . أما الدور الذى لعبه البريطانيون فى المعركة فلم يكن ظاهراً بادياً للعيان .

ورأت الصحافة الأمريكية فى ذلك الانتصار انتصاراً أمريكياً . إلا أننا نعلم جميعاً أنه لو لم يقم الجيش البريطانى بمهمته فى الجبهة الشرقية لما كان استطاع الأمريكيون أن يشقوا طريقهم فى الجبهة الغربية . فان الخطة الحربية فى نورمنديا كانت خطة بريطانية ، ولقد نجحت بفضل التعاون الوثيق الذى كان بين البريطانيين والأمريكيين . غير أن


كيف حققت خطة الجيش
الجيش ١ الكندي
الجيش ٢ البريطاني
الجيش ١ الاميركي
الجيش ٢ الاميركي
باريس
٢٦ آب
اللوار
١٢ آب
نانت
سان نازير
لوريان
٢٥ تموز
٨٠
كلم
تقدم الحلفاء
الزاء ن ٢٩٠
٦٨٠
٨١٠
جيبة فاليز

البريطانيين بلغتهم شكوى ايزنهاور من أنهم لم يخاطروا فى المعركة بقدر ما خاطر الأمريكيون فأدى ذلك إلى شيء من الفتور فى العلاقات بين الفئتين .

وما أظن أن ايزنهاور ذلك الرجل العظيم الذى هو اليوم من أعز أصحابى ، كان منتبهاً إلى أنه يرى الفتنة هكذا فى صفوفنا ، هذا علاوة على ما كنا نسمع ، بين الحين والحين ، من باتون . ففى أرجنتان مثلا عندما منعه برادلى من أن يسرع فى تقدمه نحو الحدود الألمانية ، صرخ هاتفاً : « دعنى إذاً أمضى إلى فالز وأرمى البريطانيين فى البحر مثلما تم لهم فى دنكرك » .

وبدا لى بشكل أوضح يوماً بعد يوم أن ايك وأنا كنا على طرفى نقيض فيما يختص بتسيير الحرب . أما مذهبى الحربى فهو قائم على إحداث خلل فى التوازن عند قوى العدو فى حين نحتفظ نحن بالتوازن التام فى قوانا . وذلك راجع إلى أننى أتصرف بحيث يضطر العدو إلى استخدام قواه الاحتياطية على جبهة واسعة ليصد الثلمات التى نكون قد أحدثناها فى خطه الدفاعى ، ثم بعد ذلك أنقلب عليه بقواى الاحتياطية على جبهة ضيقة لاحمل عليه الضربة القاضية . وشعورى أن ضباط مقر القيادة الأعظم ما كانوا يفهمون مذهب « التوازن » فى تسيير العمليات الحربية . فالظاهر أن عقيدة ايزنهاور فى هذا المضمار هى أن تقوم جميع القوى بهجوم عام مستمر يشن فى كل ناحية وأذكر أن بدل سميث شبه ايزنهاور بحكم فى لعب كرة القدم يعدو

مضطربا من طرف الملعب إلى الطرف الآخر ليحث الجميع ويحمسهم وهـــذه خطة نتيجتها الخسارات الفادحة فى الأرواح والعتاد كما يظهر واضحا من مراجعة الاحصاءات فى هذا الشأن ، والمقارنة فيما بين خسارات الامريكيين وخسارات البريطانيين والـكنديين .

فلا غرو بعد ذلك إذا امضى أعدائى فى مقر القيادة الأعظم يستغلون ذلك الاختلاف فى المذهب بينى وبين ايزنهاور ، وما زلت أرى أنهم هم الذين دفعوا ايزنهاور إلى أن يشكو إلى تشرشل من أن الجيش الثانى ما كان يقاتل كما يجب فتفاقم ، بعد ذلك ، الخلاف الذى بدأ يظهر فى نورمنديا وأخذ يقوى ويشتد وكاد يطيح بمركب الحلفاء ويهلـكه .

أما المعركة فى نورمنديا فيمكن الاعتبار انها انتهت فى ٩ أغسطس يوم استسلمت بواقى العدو فى شرقى مورتين فنصرنا كان مطلقاً ، تاماً قاطعاً . وفى تلك المعركه قتل واسر فيما بين ٢٠ قائد جيش وفرع وفوج وجرح رومل ، وعزل فون روندشتيت وفون كلوجه . ولا أذكر خسارات الألمان فى الأرواح والعتاد .

ولا أريد أن أختم هذا الفصل بلهجة يستشعر منها المضض . إلا أننى لا أرى لى بدا من أراحة نفسى بذكر حادث مؤلم جرى لى فى نورمنديا ، وهو أن بعضهم رمانى عند بعض المسؤولين فى وزارة الخارجية على اننى اتساهل فى النهب واستفيد منه ، فبلغنى الخبر ، فاستقدمت السيد كوليه ممثل الجنرال ديجول فى منطقة الاحتلال وسألته

فيما إذا رفعت إليه شكوى من ذلك النوع من قبل المقيمين الفرنسيين. فأجاب بالنفى المطلق .

وبعد البحث والتدقيق عثرت على أصل الشكوى ومصدرها . وهو أن زعيما من ضباط أركانى الحربية كان قد قصدنى ليطلعنى على أن بعض الضباط فى دوراتهم التفتيشية، كانوا قد التقطوا بعض الدواجن من دجاج وأرانب ، وهى سارحة فى الحقول لا أصحاب لها . وكنت حينئذ منهمكا بتطورات المعركة فطلبت منه أن يتصل برئيس أركانى ويخبره بالأمر . فأبدى شيئاً من الاستياء ولمح إلى اننى اتساهل بمثل تلك الأعمال لاستفيد منها . فما ضقت ذلك منه فاتصلت برئيس أركانى تليفونيا وطلبت منه أن يغادر ذلك الزعيم حالا مقر أركانى الحربى . وعند وصوله إلى لندن أخذت الأخبار تنتقل ورفع بياناً خطياً إلى المكتب الحربى .

وعندما أصبحت رئيس الأركان الامبراطورية بعد الحرب اطلعت على ذلك البيان . ولا شك بى أنك لأول مرة فى تاريخ الحرب ترى قائداً أعلى فى ساحة الوغى يتهمه أحد ضباط أركانه بالنهب ، ومن المحتمل أن تكون القصة قد شغلت بال المكتب الحربى وأقلقته .

الفصل الرابع عشر

خطة الحلفاء الحربية فى شمال نهر السين

فى منتصف شهر أغسطس ١٩٤٤ أصبحت حالة الألمان فى فرنسة حالة يأس وقنوط : سقطت باريس فى ٢٥ أغسطس وفى الغد أذاع مقر القيادات الأعظم بياناً فيه يقول أن نهاية الحرب فى أوروبا أصبح أمراً متوقعاً من يوم لآخر ، ويكاد يكون فى متناول اليد .

كنت أرى أنا أيضاً أن نهاية الحرب فى أوروبا أصبحت حقاً أمراً « فى متناول اليد » ، ولكن بشرط أن نسرع فى تقرير مصيرنا وخاصة أن نتقيد بخطة عمل . إلا أننا كنا نسير بدون خطة فيما أعلم . أجل إننا انتصرنا على الألمان فى نورمنديا انتصاراً قاطعاً وتشتت قوى العدو ، ولكن كل نجاح يجب أن يستمر ويستغل وإلا ذهب ولا نفع فيه .

أما خطتى فكانت حاضرة قبل أن تنتهى معركة نورمنديا . فركبت الطائرة فى ١٧ أغسطس من لوبنى بوكاج حيث كان مقر قيادتى الحربى إلى فوجير حيث كان برادلى لاجتمع به وأعرض له تلك الخطة فى معالمها العامة . وهى على نحو ما يلى :

١ — تشكل مجموعتا الجيوش الثانية عشرة والواحدة والعشرون بعد اجتياز نهر السين ، ككتلة متجانسة العناصر تتألف من نحو ٤٠ فوجاً ، وتكون من القدرة بحيث لا تخشى هجمات العدو . فتزحف تلك القوة نحو الشمال الشرقى ،

٢ — فى الجانب الغربى تنصرف مجموعة الجيوش الواحدة والعشرون إلى تنظيف شواطىء المانش ، (والبا — ده — كالى) ، والفلاندر الغربية ، ثم تعسكر فى انفرس وفى جنوبى هولندا .

٣ — أما مجموعة الجيوش الثانية عشر فتشكل الجانب الشرقى وتزحف من يمينها نحو الأردين متجهة إلى إكس لاشابيل وكولونيا

٤ — تكون باريس المحور الأساسى لذلك الزحف المشترك . هذا علاوة على أن قوة أمريكية منيعة تعسكر فى المنطقة التى تشمل أورليان تروا ، شالون ، ريمس . ولان ، ويمتد جانب تلك القوة الأيمن طوال نهر اللوار حتى نانت .

٥ — ثم إن القوى المشتركة فى عملية دراجون والآتية من جنوبى فرنسا توجه نحو نانسى والسار . ولن نحاول الاتصال بها عن يميننا حرصاً على توازن خطتنا الحربية .

٦ — والغاية الأساسية من زحفنا هى أن نعسكر فى بلجيكا طيرانا قوياً ، وأن نحتل مناطق متقدمة إلى ماوراء نهر الرين قبل ابتداء الشتاء ثم أن نستولى بسرعة على الرور .

فوافق برادلى بدون تردد على خطتى تلك فى معالمها العامة ، وفى ٢٠

(أغسطس) عقد ايزنهاور اجتماعاً فى مقر قيادته فى نورمنديا ،ودعى رئيس أركانى إلى ذلك الاجتماع . وبكلمة وجيزه قرر هناك ما يلى .

(ا) منذ أول (سبتمبر) يصبح ايزنهاور نفسه القائد الأعلى لمجموعات الجيوش .

(ب) توجه مجموعة الجيوش الثانية عشر نحو مينز والسار ، حيث تتصل بالقوى المشتركة فى عملية دراجون .

وباشر مقر القيادة الأعظم فى العمل على التعليمات التى يريدنى أن أتقيد بها . فاقترح ده جنجان أن يتخذ رأيى فى الأمر ، فقبل اقتراحة . وقدم فى المساء نفسة إلى مقر قيادتى الحربى .

فلم أرض بالتعليمات المشار إليها ودونت بعض ملاحظات سلمتها إلى ده جنجان فعاد إلى ايزنهاور ليعرضها عليه . وها هى فيما يلى :

١ — إن أسرع الطرق لانهاء الحرب هى أن تزحف كتلة جيوش الحلفاء نحو الشمال ، وأن نحرر السواحل حتى انفرس ، وأن يعسكر فى بلجيكا طيراناً قوياً وأخيراً نحتل الرور .

٢ — يجب أن تعمل قوانا ككل، ملتمة بعضها على بعض أو يجب أن تكون من القدرة بحيث تتمكن من تتميم عملها بسرعة .

٣ — يجب أن يعين رجل واحد ليراقب ويوجه العمليات الحربية فى البر حتى يؤمن نجاحها . فإن الانتصار الباهر الذى احرزناه فى شمالى — غربى فرنسا راجع إلى أن تسيير المعركة كان معلقاً برجل

واحد . ولا ينبغي أن يكون معلقاً بالأركان .

٤ — إن تبديلا ما فى تنظيم القيادة بعد انتصار باهر مثل الذى أحرزناه لا بد من أن يؤدى إلى امتداد الحرب .

وقضى ده جنجان ساعتين مع ايزنهاور ، وفى ٢٢ (أغسطس) اطلعت على أن برادلى كان قد وافق على خطتى ، وحاول أن يسلم ببعض النقـــاط الرئيسية منها ، فلم يحصل على نتيجة قط . وبقى ايزنهاور مصراً على رأيه . فعاد إلى ده جنجان ليبلغنى فشله فى مسعاه وقررت أن اجتمع أنا ذاتى بايزنهاور فدعوته إلى أن يتناول الغذاء معى فى الغد فى مقر قيادتى الحربى فى كونده سور - نوارو . فقبل راضياً . وكنت راغباً فى أن أجتمع ببرادلى من جديد قبل وصول ايزنهاور فركبت الطائرة فى ٢٣ (أغسطس) باكراً قاصداً لا فال حيث كان برادلى قد نقل مقر قيادته . ولشد ما كان عجبى عندما رأيت أن برادلى غير فكرته . فبدلا من أن يكون فى جانبى ، أصبح الآن يدافع بحماسة عن لزوم توجيه مجهود مجموعة جيوشه نحو ميتز والسار . فرجعت مسرعاً إلى مقر قيادتى لا ستقبال ايزنهاور ومعه بدل سميث الذى لم أره قط منذ مغادرتى لانجلترا فى ليلة ٦ (يونيو) .

فطلبت من ايزنهاور أن أنفرد به أولا للتباحث بالأمور الأساسية ثم يجتمع بدل سميث إلينا . فرضى وعرضت له رأيى فى أنه من الضرورى أن تصمم لنا فوراً خطة بنائية صحيحة وأنه من اللازم عليه هو أن يقرر ابن يكون مجهودنا الرئيسى فنجتمع هناك بحيث نكون

على يقين من أن نصل إلى نتائج نهائية قاطعة . ثم نبهته إلى أن طرق المواصلات عندنا ستكون عن قريب بعيدة عن مراكز العمليات الحربية ، فلابد من أن نجعل زادنا بالنفط والعتاد على قرب من خط القتال . فإذا ما وزعنا ذلك على طول الجبهة ، لن نتمكن من تقرير مصيرنا بالسرعة اللازمة . وأخيراً أخذت أعرض له خطتى التى وافق عليها برادلى فى أول الأمر . وصارحته بأنه إذا عمد إلى خطة حربية تقوم على جبهة طويلة وتقتضى أن تتقدم القوى كلها على خط واحد فتقاتل كل وحدة بشكل مستمر ، فإننا لابد من أن نتوقف عن التقدم يوما فنتيح للألمان أن يستريحوا فنبقى فى الحرب الشتاء كله ، لا بل حتى عام ١٩٤٥ . واضفت أنه من اللائق به ألا يتدخل بذاته ، وهو القائد الأعظم ، فى تسيير المعركة على البر . فالقائد الأعظم يجب أن يصرف نظره عن التفاصيل حتى يفرغ تفكيره ويشرف من عل على مجموعة من العمليات الحربية التى تتوزع وتتحقق منها على البر ، ومنها فى البحر ومنها فى الجو وتتصل بعد ذلك بالأمور المدنية والسياسية إلى ما غيرها . فلابد من أن يترك تسيير العمليات فى البر لرجل يعلم بها ، وهى هذه الخطة التى مكنتنا من انتصارنا فى معركة نورمنديا . فإن كان الرأى العام الأمريكى يطالب برجل أمريكى لهذه المهمة تلك ، فأنا مستعد إلى أن أتخلى عن قيادة المعركة فى البر وأسلمها لبرادلى فاخدم تحت أوامره فاضطرب ايزنهاور فوراً لاقتراحى هذا وأكد لى انه لم ينو قط على شىء من ذلك . ووافق على أن مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين لن تقدر وحدها على الهجوم نحو الشمال وانه لابد من تعاون الأمريكيين

ومن قيادة واحدة تسير عمليات ذلك الهجوم نحو الشمال . فاجبت انى أريد أن يتقدم عن جانبي الأيمن جيش أمريكى لا يقل عدد أفواجه عن الأثنى عشر . فرفض مدعياً أنه بذلك لن يبقى إلا جيش واحد فى مجموعة الجيوش الثانية عشر وهو أمر لابد من أن يثير سخط الرأى العام الأمريكى . فسألته ولماذا تدع الرأى العام يؤثر علينا بحيث يكرهنا إلى مواقف نعرف أنها خطأ . ثم اعتذرت إليه من الحاحى فى الدفاع عن فكرتى ومن انى لم انبه الانتباه اللازم إلى المسؤولية السياسية التى لابد من أن يحسب لها حسابها هو . ومهما كان من أمر ، فإننى الآن عندما أذكر مناقشاتى مع ايك لا يسعنى إلا وأن أشعر بشكر قوى له للحلم والصبر اللذين كانا يتذرع بهما ليستمع إلى وأنا أعرض لرأيى .

غير أننى لم أزعزعه عن عزمه . فاعتمدت الخطة الحربية القائمة على « الجبهة الممتدة » . اما مجموعة الجيوش الثانية عشر ، فإنها نعم آزرتنا فى الزحف نحو الشمال ، إلا أن هدفها الرئيسى كان أن تتقدم نحو ميتز والسار وهكذا أصبحنا جميعاً مستعدين إلى أن نعبر نهر السين ثم تسير كل فئة فى طريقها .

وكان التفاؤل يحدو الجميع والقائد الأعظم يحث كلا منا على أن نهاجم جميعاً فى كل مكان وكل زمان . غير أننا لم نمش على هدى وخطة أساسية واحدة بحيث تسير العمليات على اختلافها كعملية واحدة . أما أنا فكنت عازما على أن العب دورى على الوجه الاتم إلا ان ضطرابى

كان شديداً واختبارى للمعارك يزيدنى يقيناً من ضعف موقفنا تجاه العدو ، واسترسالا لاضطرابى ولا سيما ان الحرب ، والحالة على ذلك لابد من أن تطول . وهذا أمر لن يقف منه الشعب البريطانى موقف اللامبالاة وعدم الاكتراث .

وفى تللق الاثناء المقلقة التى طالما جرت إلى اليأس والتشاؤم بلغنى كتاب من رئيس الوزراء يحيطنى فيه علماً بأن جلالة الملك وافق على تعيينى فى رتبة فلدمارشال ، ابتداء من أول (سبتمبر) . وعلمت فيما بعد ان ذلك التعيين تم على الشكل التالى . وهو أن تشرشل بعد رجوعه من ايطاليا أضطر إلى أن يلزم الفراش فجاء الملك يعوده وإذ بتشرشل يقدم بيان تعيينى فى الرتبة المذكورة ويطلب منه أن يوقع عليه ، فعمد جلالته إلى وسادة رئيس الوزراء ووضع عليها البيان ليوقعه . وأذاعت البيبيسى الخبر فى صباح الغد فبادر ايزنهاور وكتب إلى ليهنئنى .

وكنت ، كلما ازددت تفكيراً بما نعمل ، ازددت يقيناً من أننا لا نعمل على صواب وبصيرة . فإن الاقتصاد البريطانى واليد العاملة البريطانية كانا فى حاجة إلى أن تنتهى الحرب فى عام ١٩٤٤ إذ أنها ابتدأت تثقل كواهل الشعب البريطانى . وما كان قادة الأميركيين ليفهموا ذلك لأنهم لم يشعروا قط بالحرب فى بلادهم فلا يبالون بالخسارات بل يتقيدون بالرأى العام ، والخطة الحربية القائمة على « الجبهة الممتدة » والتى نسير بمقتضاها الآن لا بد وأن تكلفنا الخسارات الكثيرة

فى الأرواح والعتاد إذا أن كل فئة أصبحت مضطرة إلى أن تقاتل فى منطقتها وبصورة مستمرة هذا علاوة على أن ايزنهاور كان قد أقام مقر قيادته فى جرانفيل على بعد نحو ٤٠٠ ميل من جبهة القتال . وهو مكان يصلح للقائد الأعظم ولكن لا يتفق ومهمات القائد المشرف على العمليات فى البر ومن اللائق به أن يتتبع جيوشه فى كل حركاتها وسكناتها فلا بد من أن يكون قريباً منها . ثم إنه كان مصاباً فى ركبته ملازماً الفراش ولا خطوط تليفونية أو لاسلكية تصل بينه من ناحية وبينى وبين برادلى من الناحية الثانية . فما لبث أن انتهى إلى حيث كنت أراه منتهياً : أصبح منفصلا تمام الانفصال عن المعركة فى البر .

فعزمت على أن اتصل بايزنهاور للمرة الثانية وألح فى ضرورة التقيد بخطة واضحة صحيحة وكتبت إليه التعليمات التالية فى ٤ (سبتمبر ، يوم استيلائنا على انفرس ولوفين .

أريد أن أعرض عليك بعض وجوه عملياتنا الحربية فى المستقبل وأبدى فيها رأيى .

١ ـ أرى أننا الآن وصلنا إلى طور من القتال حيث يمكننا أن نقوم بهجوم نحو برلين ونحتلها فننهى بذلك الحرب مع ألمانيا

٢ ـ ليس لدينا الامكانيات الكافية للقيام بهجومين .

٣ ـ ثم أن الهجوم الذى نختار القيام به يجب أن يجهز وأن يصرف إليه الاهتمام القوى ولو نتج عن ذلك اهمالا العمليات الاخرى

فتترك القوى المكلفة بها ، وتعالجها تلك القوى على قدر امكانها .

٤ ـ وليس أمامنا إلا هجومان ممكنان : هجوم عن طريق الرور ، وهجوم عن طريق ميتز والسار ، وأرى أن الهجوم الأصلح هو الهجوم عن طريق الرور .

٥ ـ إن الموقف حرج والوقت قد ضاق علينا وكل الجوء إلى تحيز الفرص والتوانى يضعف امكانياتنا بحيث نصبح لا نقوى على هجوم قط ، وتطول مدة الحرب ، ولذا فالرأى هو ان يقرر الموقف عاجلا وبمقتضى ماسبقت واشرت اليه . ولربما استطعت ان تأتى إلى فنتباحث فى الامر ، أما أنا فلست قادراً على أن أبتعد الآن عن ساحة المعركة » .

والواقع هو اننى لما ارسلت تلك التعليمات كانت الفرصة قد فاتت . فان الهجوم نحو السار كان قد ابتدأ واستلم باتون كل اللوازم ليزحف على ميتز ، اما الجيش الاول عن يمينى فكان عليه أن يحمى باتون فى تقدمه فلم يستطع أن يعاوننى فى عملياتى كما كانت تقتضى الأوامر . ومع ذلك فاننى لم أيأس من وجود منفذ لانقاذ مايمكن إنقاذه بشرط ان نحصل بسرعة على تحديد ما الموقف .

استلم أيزنهاور كتابى فى ٥ سبتمبر فأجابنى عليه فى اليوم نفسه فى الساعة ٧،٤٥ مساء . إلا أن المواصلات مع مقر قيادته فى جرنفيل كانت معرقلة بحيث أن جوابه وصلنى على مرحلتين . فالبندان الثالث والرابع وصلا أولا فى ٧ سبتمبر فى الساعة ٩، والبندان الأول والثانى

لم يصلا إلا فى صباح ٩ منه ، فى الساعة ١٠،١٥ . وهذا هو الجواب بكامله ، كما كان فى الأصل :

١ — أنا معك فى أنه لا بد من هجوم عنيف نحو برلين ، إلا انى لا أرى أن نركز اهتمامنا كله على ذلك الهجوم بصرف النظر عن عمليات أخرى .

٢ — إن معظم القوى الألمانية فى المنطقة الغربية قد اتلفت الآن . فمن اللازم أن نستغل نجاحنا فنشق خط سيجفريد ونعبر الرين ونحتل السار والرور ، وذلك بأسرع وقت ممكن . فنكون بذلك قد استولينا على المنطقتين التجاريتين المهمتين فى ألمانيا وجعلنا ألمانيا عاجزة عن مواصلة الحرب فى كل حال . هذا علاوة على أن عملنا ذلك يمكننا من قطع الطريق على القوى الألمانية التى تنسحب الآن من جنوبى فرنسا . فنتمكن حينئذ من أن نوجه ضرباتنا إلى حيث نشاء ونكره العدو على أن يوزع قواه للدفاع عن مراكزه .

٣ — أثناء تقدمنا يجب أن نفتح مرفأى الهافر وانفرس وهما عاملان لا بد لنا منهما لمواصلة هجومنا حتى قلب ألمانيا . فإن توزيع امكانياتنا على غير الخطة التى ذكرت ، مهما كان شكله ، لن يمكننا من مواصلة هجوم نحو برلين .

٤ — وعليه فإن نيتى أن نحتل السار والرور أولا ، وعند ذلك فان الهافر وأنفرس يكفيان لأن نمد باللوازم المحتاج إليها أحد الهجومين الذين نذكر أو اثنيهما . وفيما يختص بهذه الناحية فانى قدمت دائماً

ولا أزال أقدم على غيره الهجوم عن طريق الرور وطريق الشمال فتفضل الآن وأطلعنى على ما يلزمك حتى تباشر بالزحف »

فى ٧ سبتمبر لم أستلم إلا الجزء الثانى من رسالة إيزنهاور ، إلا أن ذلك كان كافياً لافهم أننى لن أحصل على تحديد موقف كما أريده فأجبت إيزنهاور أن الزاد الذى يصلنى لا يكفى للعمليات المطلوبة منى لاسيما وأننى الآن أصبحت على بعد ٤٥٠ ميلا عن المرافىء التى تؤمن تموينى وسأباشر بالزحف إلى الرور ومنها إلى برلين حالما أتمكن من استخدام أحد مرافىء البا ـ ده ـ كاليه . وختمت كتابى قائلا إننى لا أزال راغباً فى الاجتماع به .

فى ٩ سبتمبر بلغنى من لندن أن الصواريخ ف ٢ الأولى كانت قد قذفت على انجلترا فى الأيام السابقة ، ومصدرها فيما يظن روتردام أو أمستردام . فسئلت متى عسانى أن أستولى على هاتين المنطقتين . فوقع ذلك فى حينه ليحدد لى وجه زحفى وعملياتى لاجتياز نهرى الموز والرين فلا بد من أن تكون وجهتى نحو مدينة أرنهم . فاستدعوت دمبسى وبرونتج فى صباح ١٠ سبتمبر للتباحث فى ذلك الشأن ، وأنا أعلم أن المانع الأول لكل تقرير هو أمر تموينا .

وبعد ظهر ١٠ سبتمبر وصل أيزنهاور عن طريق الجو إلى بروكسيل وفقاً لطلبى قبل ٣ أيام مرت ، وكان تدر فى رفقته ، فتحدثت إليهما فى الطائرة لأن ركبته ما كانت لتسمح له بالنزول .

فعرضت للحالة بتفاصيلها وذكرت قصة الصواريخ ف ٢ فقال إنه لايزال يقدم على غيرها عمليات الزحف نحو الرور والشمال ، إلا أنه لا يقدمها على وجه الاطلاق بصرف الاهتمام عن غيرها . فانه لا يستطيع بحال أن يخفف من وطأة الزحف إلى السار . فاجبته أن مقاومة العدو تشتد على القناة البير وأننا أصبحنا بحاجة ماسة إلى الزاد والعتاد والأسلحة .

وأصبح من الواضح أنني لن أتمكن من الزحف إلى الأمام على نطاق واسع نحو أرنهم فى الوقت الذى أراه موافقاً قبل أن يستعيد العدو قواه. فاننا بعد اجتيازنا لنهر السين انتقل مقر قيادتى إلى الشمال ، و مقر قيادة برادلى إلى الشرق وأصبح كل منا يعمل فى ناحيته معزولا عن الآخر . فصرحت بأنه ما دام الزحف يسير هكذا منشقاً إلى منطقتين ، وما دام التموين يوزع هكذا إلى فئتين فإننا لن نحصل على نتيجة قط ، والاحرى أن نقوى إما زحف برادلى نحو الشرق وإما زحفى أنا نحو الشمال . ولا نسطيع أن نواصل الزحفين معاً بنفس القوة والشدة ، ثم أنه لا بد من تحرير مرفأ أنفرس فيجب إذن دعم خطتى الحربية من اليسار . فان هذا الدعم ليس فقط يسهل علينا أمور تموينا ، بل أيضاً يمكننا من مواصلة ضغطنا على الألمان فيحطمون تحطيما فى منطقة من أهم المناطق ، مما يساعد على إنهاء الحرب بسرعة . وأضفت أنه من اللازم أن يطلع هو « أيزنهاور » على وجهة نظرى فيحكم بعدئذ بما يراه لازماً

واتضح لى أن أيزنهاور لم يوافق على تحليلى ذلك للواقع ، وبقى مصراً

على أنه من الواجب أولا نجتاز نهر الرين وذلك على جبهة ممتدة واسعة وبعد ذلك فقط ، نستطيع أن نجمع قوانا للقيام بهجوم واحد . إلا أنه رضى بأن تزحف مجموعة الجيوش الواحدة والعشرون نحو آرنهم واقتنع من أن العمليات فى تلك الجبهة إذا ما كللت بالنجاح ، ستساعد مساعدة قوية فى كل عمل تقوم به فيما بعد .

وفى الغد ١١ سبتمبر كتبت إلى أيزنهاور رسالة أقول له فيها أن الخطة التى يفرضها علينا لن تلبث أن تسفر عن نتائج سنندم عليها . فأن العمليات المطلوبة من الجيش الثانى نحو نهرى الموز والرين لا يمكن أن يباشر بها قبل ٢٣ سبتمبر ، حتى قبل الـ ٢٦ منه . فيفسح ذلك المجال للعدو من أن ينظم خطه الدفاعى فتشتد مقاومته لنا، وبما أن الشتاء قريب والطقس أخذ يتغير . فاننى أخشى من ألا نفيد كبير شيء من تفوق طيراننا على الطيران الالمانى . ثم أن عملياتنا متقيدة بالمواصلات عن طريق البر والجو ، فإذا تباطأنا ولم نستغن بطريق المواصلات تلك جميعها لدعم هجوم واحد نختار جهته فاننا لم ننجح فى كلا الهجومين لبعدنا الشاسع عن قواعد تموينا ومع ذلك فاننا سنحاول جهد المستطاع لنقوم بالمهمات المطلوبة منا .

وكان لرسالتى هذه رد فعل سريع . فإن بدل سميث جاءنى فى الغد ليخبرنى أن ايزنهاور قرر أن يعمل بمقتضى نظريتى . فإنه أمر بتوقيف الهجوم نحو السار وجعل تحت تصرفى أدوات النقل التابعة لثلاثة افواج امريكية لتأمين تموين مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين ،

وفوضت أخيراً إلى أن اتصل بالجنرال هودجز قائد الجيش الأول لأطلب منه أية مساعدة أرانى محتاجاً إليها .

فأقبلت على خططى أعيد النظر فيها مع دمبسى وحددت يوم الأحد ١٧ (سبتمبر) للزحف نحو أرنهم .

وعلمت فيما بعد (ووددت لو أننى لم أعلم قط) أن باتون ، عندما بلغته تلك التعليمات، دفع بجيشه الثالث إلى ما وراء نهر الرور بعد حصوله على موافقة برادلى ، بحيث لا يستطيع مقر القيادة الاعظم أن يخفف من تموين ذلك الجيش ولا أن يوقفه عن القتال .

فى ١٥ (سبتمبر) وصلنى من أيزنهاور الكتاب التالى :

عزيزى مونتجمرى .

إن أملى أن ندرك عن قريب الأهداف التى أشرت إليها فى تعليماتى السابقة ، فنستولى على الرور ، ومنطقة فرنكفورت وفيما يلى ما أنا عازم عليه .

إن الألمان بعد انسحابهم من الرور وفرنكفورت يصبحون فى حالة سيئة . قد يحاولون جمع قواهم ليقفوا أمام زحفنا إلى الأهداف الأخرى التى نسير إليها فى المانيا . ولكن بإدراكنا تلك الأهداف نكون قد قضينا على القوى الألمانية فى الغرب ، ثم نحتل مراكز أخرى مهمة ونشدد ضغطنا على الشعب الألمانى .

لا شك فى أن برلين لا تزال هدفنا الأهم ، وسيحاول الألمان جهد

المستطاع للدفاع عنها فمن الواجب علينا أن نجمع كل قواتنا وامكانياتنا لهجوم سريع نحو برلين .

إلا أن خطتنا الحربية يجب أن تتناسق مع خطة الروس الحربية . فلا بد من اعتبار شتى الأحوال على اختلاف وجوهها .

فهناك منطقة المرافىء الشمالية ، كيل — لوبيك — همبورج — بريم . فإن احتلالها يمكننا من مراقبة البحرية الألمانية ، وقواعد بحر الشمال ومنطقة تجارية واسعة ؛ علاوة على أنه ييسر لنا عزل القوى الألمانية الموجودة فى النرويج والدانمارك . ويسهل علينا حماية قواتنا الهاجمة على برلين .

وهناك مناطق هنوفر — برنسويك وليبزيج — درسد ، فهى مراكز تجارية وإدارية هامة ومن المحتمل أن يحاول الألمان الاحتفاظ بها لأهميتها من ناحية طرق المواصلات التى تؤدى إلى برلين .

ثم هناك مناطق نورمبرج — راتسبون وأوكسبورج مونيش . فلا تخفى عليك أهمية مونيخ من الناحية السياسية، علاوةعلىأهميتها من حيث الاقتصاد والإدارة المدنية . هذا مع العلم أن احتلالنا لتلك المناطق يمكننا من قطع الطريق على القوى الألمانية المنسحبة من ايطاليا ومن البلقان .

أما أهدافنا بالضبط فلا يمكن تحديدها إلا بحسب ما تدل عليه الظروف ، فمن الواجب علينا أن نستعد إلى احدى العمليات التالية أو إلى القيام بها جميعاً :

ا) توجيه قوى بمجموعتى الجيوش نحو برلين بعد تطويق منطقة الرور — هانوفر — برلين أو منطقة فرنكفورت ـ ليبزيج — برلين أو بعد تطويق المنطقتين معاً .

ب) إذا ما وصل الروس قبلنا إلى برلين فمجموعة الجيوش فى الشمال تستولى على منطقة هانوفر ومرافىء همبورج . ومجموعة الجيوش فى الوسط تستولى على منطقة ليبزيج ـ درسد كلها أو البعض منها ، حسب تقدم زحف الروس .

حـ) وعلى كل حال فإن مجموعة الجيوس تستولى على اوجسبورج — مونيش . أما منطقه نورمبرج — اوجسبورج فتحتلها مجموعة الجيوش فى الوسط أو مجموعة الجيوش فى الجنوب حسب ما تسمح به الظروف آنذاك .

وقصارى الكلام فاننى أريد أن نسرع إلى برلين بأقصى جهد مستطاع وبكل قوانا امريكية ، أو بريطانية وغيرها ، ويتم زحفنا كعملية حربية واحدة متآلفة فى شعبها وعناصرها .

ولا يسعنى الآن أن أحدد الوقت الذى تتم فيه تلك الهجومات ولا بأية شدة وقوة تتم ، إلا اننى اود لو انك تطلعنى على رأيك فى كل ذلك الذى عرضت لك هنا » .

فأجبته فى ١٨ سبتمبر أننا لا يمكننا أن نقوم بهجوم عام سريع على المانيا نظراً إلى سوء حالتنا من حيث الإدارة ومن حيث التموين . غير أن هناك هجوماً يمكن أن تقوم به قوى معدة له ومزودة بكل اللوازم .

فيجب أن تؤمن تلك اللوازم ولو اقتضى ذلك حرمان الغير منها .

ورأيي الشخصى هو أننا لن نحصل على ما نريده عن طريق احتلال مناطق مثل نورمبرج ، اوجسبورج ، وميونيش وتركيز قوانا فى المانيا الوسطى ، بل اننى أرى أن خير أهدافنا هو الرور وأن خير السبيل إلى برلين هو الزحف نحو الشمال . وإذا اتفقت معى على هذا فإن مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين مع افواج الجيش الأول الأميركى التسعة قادرة على القيام بتلك المهمة شرط أن تحصل هذه القوى على كل ما يلزمها من زاد وعتاد ، فتكتفى الجيوش الأخرى بما يتوفر لها .

أما إذا كان رأيك هو أن خير السبل إلى برلين هو الزحف عن طريق فرنكفورت والمانيا الوسطى ، فالأوفق أن تقوم بالمهمة مجموعة الجيوش الثانية عشر فتزود باللوازم إلى الحد الأقصى ، ويلعب البريطانيون دوراً ثانوياً ، مثل حماية القوى الامريكية وغيرها فى زحفها .

وقصارى الكلام فالمهم هو الوصول إلى برلين بأسرع وقت ممكن . فاذا وقع الاختيار على طريق الشمال، أرى أن جيوشاً ثلاثة تكفى للعملية وأن تأمين تموينها ممكن . أما طريق الجنوب فلا فكرة لدى عنه . ومهما كان من أمر ، فلا بد من تحديد موقف يتخذ وخطة تنفذ وذلك بأسرع ما يمكن من الوقت حتى لا تكون عملياتنا ارتجالية ، تفرضها علينا الظروف .

فأجابنى ايزنهاور فى ٢٠ (سبتمبر) أنه يرى مثلما أرى فيما يختص

بضرورة الزحف نحو برلين عن طريق الشمال والرور إلا أنه لا يوافق على أن يتوقف الجانب الأيمن (الجيوش الأميريكية) ويسير الجانب الأيسر وحده (بمجموعة الجيوش ٢١ مع بعض قوى امريكية) نحو عاصمة المانيا . فخطته هى أن تصل الجيوش جميعها إلى نهر الرين وتمون بما يلزمها من مرفأ انفرس بعد احتلاله وترميمه ، ثم بعد ذلك يتم الزحف على برلين عن طريق الشمال . وأضاف أنه طلب من برادلى أن يزحف إلى الجانب الأيمن من جيوشه ليساعد قواتنا فى زحفها ويحميها إذا ما اقتضت الظروف . وأنهى كتابه قائلا إن قوى امريكية جديدة تتصل من بوست لتنضم إلى وحداتنا وأنه يريد أن يكون اهتمام برادلى الأول عند وصوله إلى نهر الرين أن يضع على شمالنا جيشاً قوياً ليرافقنا فى سيرنا نحو برلين .

فأجبته على الفور فى ٢١ (سبتمبر) شاكراً على ما يشير إليه من اتفاقه معى فيما يختص بالزحف عن طريق الشمال ، وأضفت أن لا بد من توقيف الجانب الأيمن من مجموعة الجيوش الثانية عشر عن السير وإلا فسنصبح أمام مشاكل لا حل لها . فاننا إذا أردنا احتلال الرور يجب أن يوضع كل شىء فى كفة اليسار ويترك كل ما سواها ، وإذا لم نفعل لن نحصل على الرور .

فعقد ايزنهاور مؤتمراً فى فرساى بعد ظهر ٢٢ (سبتمبر) وكانت الحالة تفاقمت فى منطقة أرنهم ، وما استطعت أن أحضر ذلك المؤتمر بل انتدبت ده جنجان ليقوم مقامى ، ويدافع عن وجهة نظرى فى مقر

القيادة الأعظم حيث لم تكن قلوب الكثيرين من أعضائه صافية على، وأبرق لى ده جنجان فى الليل ليخبرنى أن أيزنهاور دافع مدافعة تامة عن وجهة نظر وقال إن الزحف عن طريق الشمال يجب أن نصرف إليه الاهتمام الشديد وأن يؤازر مؤازرة مطلقة من كل قيد وشرط.

وكانت الحالة فى أرنهم قد أزدادت تفاقماً آنذاك واضطررت فى ٢٥ سبتمبر إلى سحب الفوج الأول البريطانى من ضفة نهر الرين المقابلة لضعتنا حيث كان قد نقل عن طريق الجو ولا يسعنى إلا أن أذكر إجتماعى بايزنهاور فى مقر قيادتى الحربى فى كونده فى ٢٣ أغسطس إذ طلبت إليه بالحاح أن يتقيد بخطتى . فلم يفعل . وها هو الآن يرجع إليها ويدافع عنها بشدة ، ولكنه تأخر شهراً بالضبط للرجوع إليها وها هى الحوادث تجرى على نحو ما قلت حينذاك ، ولن نستطيع بحال أن نتدارك أمرنا .

وصارت حالة التموين من سوء إلى أسوأ . فتوقف الجيش الأول عن مواصلة عملياته فى نحو ٦ أكتوبر . وفى ٧ منه ، كتبت إلى ايزنهاور من أيدوفن أننى فى الجانب الشمالى ، لن أستطيع الوصول إلى نهر الرين ما لم ترتفع كميات الزاد المخصصة لى . وأضفت أننى طلبت من برادلى أن يجيئنى فى الغد ٨ أكتوبر لنتباحث فى الحالة معاً .

فكتب إلينا ايزنهاور فى أيدوفن ليطلعنا على وجهة نظره فى المشاكل التى تعترضنا جميعا وفيه يقول إن الهجوم العام نحو نهر الرين يجب أن يرجأ حتى تصل القوى الأميريكية الجديدة من السواحل ثم يضيف

قائلا . ومع ذلك فإن الهدف الأول لمجموعة الجيوش هو أبداً ودوماً الوصول إلى خط الرين فى شمال بون بأسرع ما يمكن .

وما كنا نوافق على هذا الرأى « برادلى وأنا » لأن الزحف نحو الرين كان أمراً مستحيلا ما دامت حالة التموين فى حاجة إلى التنظيم فأخبرت ايزنهاور أننى أوقفت زحف الجيش الثامن نحو الرين لأصب مجهودى كله على ضواحى أنفرس بحيث يصبح ذلك المرفأ صالحاً إلى الاستخدام بأقصى حد ممكن .

وفى الغد ٩ اكتوبر جاءنى من إيزنهاور تصريح بتوقيف العمليات كلها من سويسرا إلى المانش وبصرف الاهتمام الشديد إلى إحتلال مرفأ إنفرس وترميمه .

وفى ٨ اكتوبر وصل الجنرال مارشال ابرئمة برادلى إلى مقر قيادتى وتباحثنا طويلا فى مكتبى ، فصارحته بوجهة نظرى فى سير الامور بعد أن تقلد ايزنهاور قيادة المعركة فى البر وهو لا يزال القائد الأعظم المشرف على تسيير الحرب فى الجو والبر والبحر وكانت الجيوش حينئذ قد فصل بعضها عن بعض قوميا مع كونها تقاتل فى منطقة جغرافية واحدة ، لا وحدة توجيه فى تسيير العمليات الحربية ولا وحدة مراقبة . بل فوضى تعم المعركة فى كل مراحلها ومناطقها وكان مارشال يصغى صامتا ولكن لاشك فى أنه كان مستنكراً ذلك كل الاستنكار . وفى الشهر ذاته ، بعد أيام قلائل نقلت مقر قيادتى إلى بروكسيل ليتيسر لى توجيه العمليات ضد أنفرس فانتهيت منها فى أوائل نوفمبر وأطلعت عليها

ايزنهاور فى ٣ منه ، على أن ضواحى انفرس كلها مع منطقة مصب نهر الأسكو قد أنقذت من يد العدو . وأسرنا ١٤٠٠٠ مقاتلا من الألمان . فاستخدام انفرس أصبح بعد ذلك أمراً راجعاً إلى السلطات البحرية فاجابنى ايزنهاور فوراً ليشكرنى وكلفنى أن أنوب عنه لتبليغ شكره إلى الجيش الكندى وقائده إذ أن الكنديين هم الذين قاموا تحت إشرافى ، بمهمة تحرير منطقة انفرس من الألمان .

أن مصير تطور خطة الحلفاء الحربية فى شمالى نهر السين هو أن يصبح من أعظم المجادلات التى عرفها تاريخ الحرب فإن الألمان . هم الذين إستفادوا من إختلافنا فى نهاية الأمر ؛ فإننى كنت ولا أزال على يقين من أننا أخطأنا و لم نستغل تماما الفوضى التى عمت صفوف العدو بعد هزيمته القاضية فى نورمنديا فى أغسطس ١٩٤٤ فالمهم بعد تلك الهزيمة ليس فقط أن نستولى على مرفأ انفرس ، كما ظن بعضهم ، بل أن نتخذ تصرفنا فى نورمنديا كحافز حتى نتبع الألمان ونتحرش بهم ونستولى على المرافىء اللازمة لنا فى الجانب الشمالى مع التقيد بخطة حربية واضحة بسيطة منذ منتصف أغسطس ، ولو فعلنا لكنا عسكرنا فى مناطق متقدمة إلى ما وراء الرين وأستولينا على الرور قبل أوائل الشتاء ، هذا علاوة على أننا كنا أنهينا الحرب بسرعة ومهدنا الأمور إلى توازن سياسى يؤمن عن طريقه إستقرار قريب سلمى غير الذى نحن فيه اليوم .

كان ايزنهاور يريد السار ، ومنطقة فرنكفورت والرور ؛ وانفرس وخط الرين وكل ذلك ليس إلا سعيا وراء المشاكل وطالبا لها فمن

المستحيل أن نحصل على كل ذلك عن طريق هجوم عام واحد إلى الأمام .

فلو تقيد ايزنهاور بخطتي لكان استطاع أن يحصل على انفرس والرور مع وجوده فى مناطق متقدمة إلى ما وراء نهر الرين فتصبح حالته بذلك على خير ما يرام .

أو أنه لو تقيد بخطة برادلى لكان استطاع أن يحصل على السار ومنطقة فرنكفورت مع إقامة معسكر له فى مناطق متقدمة إلى ما وراء نهر الرين فى الوسط وفى الجنوب .

إلا أنه كان متفائلا وأصر على تفاؤله فلم ينل هدفا قط من أهدافه وأصبحنا فى حالة يرثى لها .

وفى ٦ نوفمبر غادرت بروكسيل للاستراحة بعض أيام فى إنجلترا وكنا عشنا جميعا أياما شاقة منذ نزولنا فى البر فى نورمنديا ، ويوم ٦ يونيو وقد مضى على ذلك ستة أشهر بالضبط ، فرأيت أننى استحق شيئا من الراحة .

وعند وصولى إلى إنجلترا ذهبت توا إلى رئيس الوزارة لأطلعه على أمورنا ولا أقول له أيضا أنه لا بد له، الآن من أن يتوقع أن تدوم الحرب كل الشتاء ، لا بل تبقى حتى عام ١٩٤٥ .

وفى ١٠ نوفمبر عدت إلى مقر قيادتى فى بروكسيل .

الفصل الخامس عشر

معركة ارنهم

١٧ — ٢٥ (سبتمبر) ١٩٤٤

ان زحفنا عن طريق الشمال للاستيلاء على الرور ، بمقتضى أوامر ايزنهاور ، كان يعترضه حاجزان مهمان وهما نهرا الموز والرين. وأى طريق اخترنا ، كان يعترضنا حواجز أخرى وهى القنوات الواسعة .

أما خطتى فكانت أن أندفع بقوة إلى الأمام نحو نهر الرين بعد اجتيازى تلك الحواجز كلها ، ثم أعسكر فى منطقة متقدمة الى ما وراء الرين قبل أن يستعيد العدو قواه فينظمها ليوقفنا .

وكان قد وصلنى فرع الحلفاء الأول ، تحت قيادة الجنرال برونتج وهو فرع مؤلف من قوى بريطانية وأمريكية وبولونية فأدمجته بالجيش الثانى تحت قيادة دمبسى .

هذا وقد سبق لى أن ذكرت أن ذلك الزحف كانت وجهته ارنهم، وذكرت أيضاً الأسباب التى من أجلها تم . وطابع خطتى فيه هو أن أنزل عن طريق الجو قوى بين القنوات الخمس الرئيسية التى تقطع الطريق

العام المار بايندوفن والواصلة الى ارنهم . فيزحف الفرع الثلاثون (هروكس) فى ذلك الطريق والمناطق الموازية له وهو على اتصال دائم بالفرج الأول البريطانى الذى يكون قد أنزل فى منطقة ارنهم عن طريق الجو ، ويكون فى شمالى تلك المنطقة منطقة متقدمة إلى ما وراء نهر الرين الشمالى . أما الجيش الثانى فكان عليه أن يعسكر فى المنطقة الواقعة بين ارنهم والزويدرزى ، متطلعاً نحو الشرق بحيث تتيسر له العمليات ضد الجانب الشمالى من الرور . ثم أن الفرع الثلاثين ، يكون معه أثناء تقدم الفرع الثامن من الشرق (أوكوتر) والفرع الثانى عشر (ريتشى) من الغرب فيوسعان الطريق الذى يشقه .

وعرفت بمجموعة هذه العمليات باسم (مركت جاردن) . فإن الخطة التى تسير بمقتضاها خطة جريئة ، يصفها برادلى على (أنها أشد خطط الحرب امتيازاً بالابداع) . إلا أنه قام ضدها خوفاً من أن نجاحها فى الجانب الشمالى قد يسفر عن امكانيات لابد من أن تستمر فيقتضى ذلك طلب قوى أمريكية أخرى تنضم إلى قواى لاستغلال تلك الامكانيات وهو حينئذ يحبذ الهجوم المضاعف على السار وعلى الرور فى نفس الوقت.

وقد ذكرت أنه فى ١٠ (سبتمبر) عند اجتماعنا فى بروكسيل مع ايزنهاور كان قد وافق على الخطة المصممة لها ونيته آنذاك أن تستمر الجيوش زاحفة نحو الساروالرور لاحتلالهما معاً. وفى أثناء زحفها تستولى على مرفأى الهافر وانفرس وتفتحهما للسفن. أما احتلال مرفأ انفرس

وترميمه ، وتقدم تلك العملية على غيرها من العمليات ، فلم تستقر نيته عليها لأول مرة إلا فى ٩ (اكتوبر).

هذا ما تثبته التعليمات التى أذعتها على قواتى فى ١٤ (سبتمبر) والتى فيها أتقيد تمام التقيد بنوايا ايزنهاور وأوامره .

توجيه للعمليات : م ٥٢٥

١ ـــ الآن وقداحتللنا الهافرأصبحنا على استعدادأشد للقيام بالمهمات المطلوبة منا لاحتلال الرور .

٢ ـــ احتللنا مرفأ أنفرس إلاأننا لايمكننا أن نستخدمه لأن العدو لايزال مرابطاً فى مصب نهر الاسكو وطرده من هناك عمل يكلف به الجيش الكندى ويقدمه على غيره من المهمات المطلوبة منه .

٣ ـ على جانبنا الأيمن دخل الجيش الأول الأمريكى الى المانيا وهو الآن متصل بمراكز خط سيجفريد الدفاعية .. وفى الجنوب عسكر الجيش الثالث الامريكى فى مناطق متقدمة الى ما وراء نهر الموزيل .

٤ ـــ مع مجموعة الجيوش الثانية سنباشر بعمليات، الغاية منهاعزل الرور واحتلاله . وإذن فهدفنا الحقيقى هو الرور إلا أننا فى طريقنا سنحتل مرفأى أنفرس وروتردام إذ أن احتلالنا الرور ليس إلاالمرحلة الاولى فى زحفنا إلى داخل المانيا .

القصد العام

٥ — اتلاف العدو فى غربى الخط العام زوله — دفنتر — كايف — فنلو — مايستريش ، إذ أن هدفنا الزحف نحو الشمال واحتلال الرور .

الحدود التى يتم الزحف ضمنها

٦ — بين مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين ومجموعة الجيوش الثانية عشر .

فمجموعة الجيوش الثانيةعشر تشرف على هسلت - سيتار - غرتزفيلر ليفركوزن (على نهر الرين) .

ومجموعة الجيوش الواحدة والعشرون تشرف على أوبلادن (على نهر الرين) - وريبورج - برنسويك .

٧ — وليس تعيين الحدود تلك إلا دليلا عاما لتسيير العمليات . فإن زحف الجيش الثانى البريطانى يتجه أولا نحو الشمال ثم نحو الشرق بحيث يطوق الرور من ناحية جانبه الشمالى ، وزحف الجيش الأول الأمريكى يتم نحو الشرق بحيث يطوق الرور من ناحية جانبه الجنوبى . والجيشان اذن قد يبتعدان بعضهما عن البعض بحكم زحفهما فلابد من أن تتخذ التدابير اللازمة لحماية قواعما الورائية .

الجيش الأول الـكندى

٨ ــ نتميم إحتلال بولونيا . ثم إحتلال كاليه .

٩ ــ إن الاهتمام بدنكرك يرجأ إلى بعد ، أما فى الوقت الحاضر فحجب ذلك المركز يكفى .

١٠ــ يجب أن يوجه الجيش كل قواه إلى عمليات الغاية منها التمـكن من استخدام مرفأ انفرس استخداما تاماً . وستعاونه فى كل ذلك قوى تنقل عن الجو . ولقد قام الطيران بعمليات ضد جزيرة والشيرين .

١١ ــ أن مقرى قيادة الفرع الأول والفوج التاسع والأربعين سينقلان بأسرع ما يمكن من الوقت من منطقة الهافر إلى منطقة انفرس وسيبقى الفوج الواحد والخمسون فى مكانه فى شبه جزيرة الهافر لتـكون أدوات النقل المخصصة له تحت تصرف الجيش الـكندى مادام قائماً بالمهمات المطلوبة منه والمشار اليها آنفاً .

١٢ ــ يجب على الجيش الـكندى أن يحل محل الجيش الثانى البريطانى فى منطقة انفرس ابتداء من نحو ١٧ (سبتمبر) . أما فيما

يختص بعمليات التبديل فالجيش الثانى يتقيد بالتوجيهات الصادرة من الجيش الكندى .

١٣ — بعد الانتهاء من عمليات أنفرس ، يتجه الجيش الكندى نحو الشمال ، وتكون مهمته إتلاف الأعداء غربى خطه وتحرير مرفأ روتردام .

١٤ — وبعدئذ ينقل الجيش الكندى إلى يسار (الجانب الشمالى) الجيش الثانى ، ثم يتجه نحو بريم وهمبورج .

الجيش الثانى البريطانى

١٥ — إن مهمة هذا الجيش الاولى هو الاتجاه نحو الشمال واجتياز نهرى الرين والموز فى منطقة أرنهم ـ نيماج ـ غراف ، وسيجعل تحت تصرفه ، للقيام بتلك المهمة ، فرع مؤلف من ثلاثة أفواج ينقل عن طريق الجو .

١٦ — ومن ثم فان الجيش يعسكر بقوة على الخط زفولة ـ دفنتر ـ أرنهم ، ووجهته الشرق فيحتل مناطق متقدمة على ضفة الايسل الشرقية . ثم يستعد بعد ذلك أن يزحف من ذلك المركز نحو الشرق فى منطقة رينة ـ أوستابروك ـ مونستر . وفى أثناء زحفه ذلك يشدد ضغطه بنوع خاص على يمينة ، ، نحو هام حيث يندفع بزحف عنيف نحو الجنوب طوال حدود الرور الشرقية .

١٧ - إن الزحف نحو الشمال لاجتياز النهرين (بند ١٥) سيتم بسرعة وبعنف بصرف النظر عما سيحدث فى الجوانب . ويتخذ الجيش بعد ذلك التدابير اللازمة لتوسيع المنطقة التى تم فيها زحفه بادىء الامر ولاحداث خطة لتأمين التموين .

١٨ - يباشر الجيش بالعمليات المشار اليها يوم الاحد ١٧ (سبتمبر) وقد تقتضى حالة الطقس إرجاء العمليات المفروض تتميمها عن طريق الجو .

مجموعة الجيوش الثانية عشر

١٩ - يزحف الجيش الاول الامريكى نحو الشرق بالترتيب التالى :

(ا) يوجه الفرع الخامس على بون

(ب) يوجه الفرع السابع على كولونيا

(ج) يؤمن الفرع التاسع عشر لحماية جانب الجيش .

٢٠ - يحتل الجيش بون وكولن ويعسكر فى منطقة متقدمة إلى نحو ١٠ أميال على ضفة نهر الرين اليمنى .

٢١ - يزحف الجيش حينئذ مطوقاً جهة الرور الجنوبية . ويجب أن تتم تلك العملية بحيث تتوافق وزحف الجيش الثانى البريطانى إذ يطوق جهة الرور الشمالية . فلابد من أن أبقى على اتصال مستمر مع برادلى أثناء تلك العمليات .

ملاحظات عامة

عند ما ندخل إلى ألمانيا يجب أن نتخذ التدابير اللازمة حتى لا تكون مقرات القيادات والمنـــاطق التى تحل فيها الوحدات ظاهرة بادية للنظر يسهل الوصول إليها فيتسلل فيها الجواسيس وعملاء الجستابو . ثم أنه لا بد لكبار الضباط من أن يحتاطوا لأنفسهم أثناء تنقلاتهم فى مناطقهم خوفاً من رصاص عدو مطارد متستر .

وعند ما نصبح فى ألمانيا سوف لا نلبث أن نرى ما هو الموقف الواجب اتخاذه . فنلجأ حينئذ إلى التدابير اللازمة » .

ومالبث أيزنهاور أن اطلعنى على الوقع الحسن الذى أحدثته تعليماتى هذه فى نفسه. فيقول لى فى كتابه بتاريخ ١٦ سبتمبر أنه يوافق على كل ما أمرت به ، ثم يصرح من أن العدو سيركز جهوده على الرور ، فإذا انتهينا منه هناك تم لنا كل شئ . ولذا فإنه يريدأن يكون برادلى متفقاً معى وإن توازرنى القوى الأمريكية إلى أقصى حد ممكن . ويختم كتابه قائلا إن الزاد المعد لى سيصلنى فى ١٧ سبتمبر وأنه سينقل مقر قيادته إلى فرساى ولكنه سيقيم هو بين كومبينيا ورمس فى منطقة لا يزال يجهلها فيخبرنى بها حالما تعين .

ووردنى فى الوقت نفسه من المكتب الحربى كتاب يطلب فيه منى أن أكون أول من يتقيد بالبند الثانى والعشرين من تعليماتى السابقة واتخذ كل الاحتياطات اللازمة للتأمين على روحى . وفى خاتمة الكتاب ورد أنه

من الواجب عل ألا أعتبر كل ذلك كاقتراح ليس غير ، بل كأمر قاطع من قبل رئيس الأركان الامبراطورية العام .

باشرنا بعمليات مركت جردن فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٤ . وطالما عرض لها المؤرخون فى كتبهم . وخير ما قيل فيها ، فيما أرى ماورد عنها فى كتاب تشستر ولمو « الجهاد فى سبيل أوروبا » . والجميع يعلم أننا لم ننجح فى محاولتنا أن نعسكر فى منطقة متقدمة شمالى أرنهم ، ومن ثم فلم نتمكن من أن نستخدم الجيش الثانى ضد الجبهة الشمالية من الرور . إلا أن احتلالنا لغراف على نهر الموز ولنيماج على نهر الرين الأسفل أدى لنا مساعدة لا تقدر لاجتياز نهر الرين بالقوة اللازمة فى مارس ١٩٥٥ وللاستيلاء على رينانيا . ومع ذلك لا بد من الاعتراف بأننا لم ندرك غايتنا من عمليات مركت جردن .

فى ليلة ٢٤ سبتمبر وصلنى من الفوج الأول الذى كان قد نقل إلى أرنهم عن طريق الجو تعليمات يقول فيها من يخصه الأمر هناك أن البقاء فى المنطقة أصبح مستحيلا : لازاد، لا أسلحة ،لا عتاد . كل شىء كان قد نفد ، خسارات فادحة فى الأرواح ولا سيما من الضباط . لا طريق إلى هجوم قط ، وإذا هاجم العدو يحطم ما بقى من الفوج تحطيما . فنى هذه الحال ، تقتضى الأوامر أن يشق كل طريقه إلى صفوفنا المتقدمة فضلا عن أن يستسلم . وتنتهى الرسالة بهذه الكلمات : حاولنا إلى أقصى جهدنا وسنستمر نحاول بقـــدر ما نستطيع إلى الأمر سبيلا .

ولم نتمكن من الوصول إلى نجدة هؤلاء البواسل بالقوة اللازمة ، فأمرت بسحبهم ، فانسحبوا إلى خطوطنا فى ليلة ٢٥ سبتمبر وأسر منهم هناك نحو ٢٠٠٠ مقاتل مع أطبائهم وممرضيهم. وكان فى عدد الراجعين قائد الفوج أوركوهارت ، فبقى فى مقر قيادتى العسكرى مدة ثم سافر إلى انجلترا بعد أن طلب منى بياناً يقرؤه على الفوج بعد تأليفه من جديد . وفى ذلك البيان شكرت هؤلاء الشجعان وهنأتهم على نخوتهم وشجاعتهم وأكدت لهم بأن كلا منهم يستطيع أن يكون فخوراً فيما بعد لأنه كان فى عدد الذين استبسلوا فى أرنهم .

هناك أسباب عديدة حالت بيننا وبين أن يكون نجاحنا فى أرنهم نجاحاً تاماً ، وأننى لأذكر ، فيما يلى النقاط الرئيسية منها :

أولا : لم يعتبر أعضاء مقر القيادة الأعظم تلك العملية ، كالمرحلة المهمة من زحف جبار يقوم به الحلفاء فى الجانب الشمالى لعزل الرور واحتلالهم بعد ذلك . لا أشك فى أن ايزنهاور كان يريد ذلك وأصدر الأوامر اللازمة لتنفيذه ،إلا أن تلك الأوامر لم تنفذ والجميع يعلم الآن أن الزاد بالعتاد والأسلحة كان ، فى الواقع ، يوزع على قدم المساواة بين القوى الداخلة فىعمليات مركت جردن من ناحية والجيشان الأول والثالث الأمريكيان من الناحية الثانية . ونفد زادنا قبل الأوان لأننا لم نميز عن غيرنا فى توزيعه . وإنك لتتيقن من ذلك إذا قرأت كتاب تشيستر ولمو « الجهاد فى سبيل أوروبا » ص - ٥٣١ .

ثانياً : إن القوى المنقولة عن طريق الجو إلى أرنهم ، نزلت بعيداً

عن البحر ، وهو هدفنا الأول ، فقضت ساعات طوال لتصل إليه . وأنا المذنب هنا فأعترف بذنبي . كان على أن آمر بحيث ينزل لواء على الأقل قرب الجسر فيحتله بعد دقائق ويعسكر فيه حالا . ولكننى لم أفعل .

ثالثاً : كان الطقس عاطلا بعد اليوم الأول من مباشرة العملية . والطقس عامل لا بد من التقيد به فى الحرب . إلا أنه كان من الممكن أن نتفوق على ذلك المانع لو زودونا بما كان يلزمنا ولو تحولت العملية إلى عملية تهم الحلفاء كلهم فيشترك فيها الجميع ولا تترك على عاتق البريطانيين وحدهم .

رابعا : إن الفرع الثانى من الإس إس بانزرس كان يستعيد قواه فى منطقة أرنهم بعد انسحابه من نورمنديا حيث كان فت فى عضده . ولم أقم له الحساب الذى يستحق فقام بما لم نكن نظنه منه . وهو الذى هاجم فوراً الفوج الأول المنقول عن طريق الجو ،

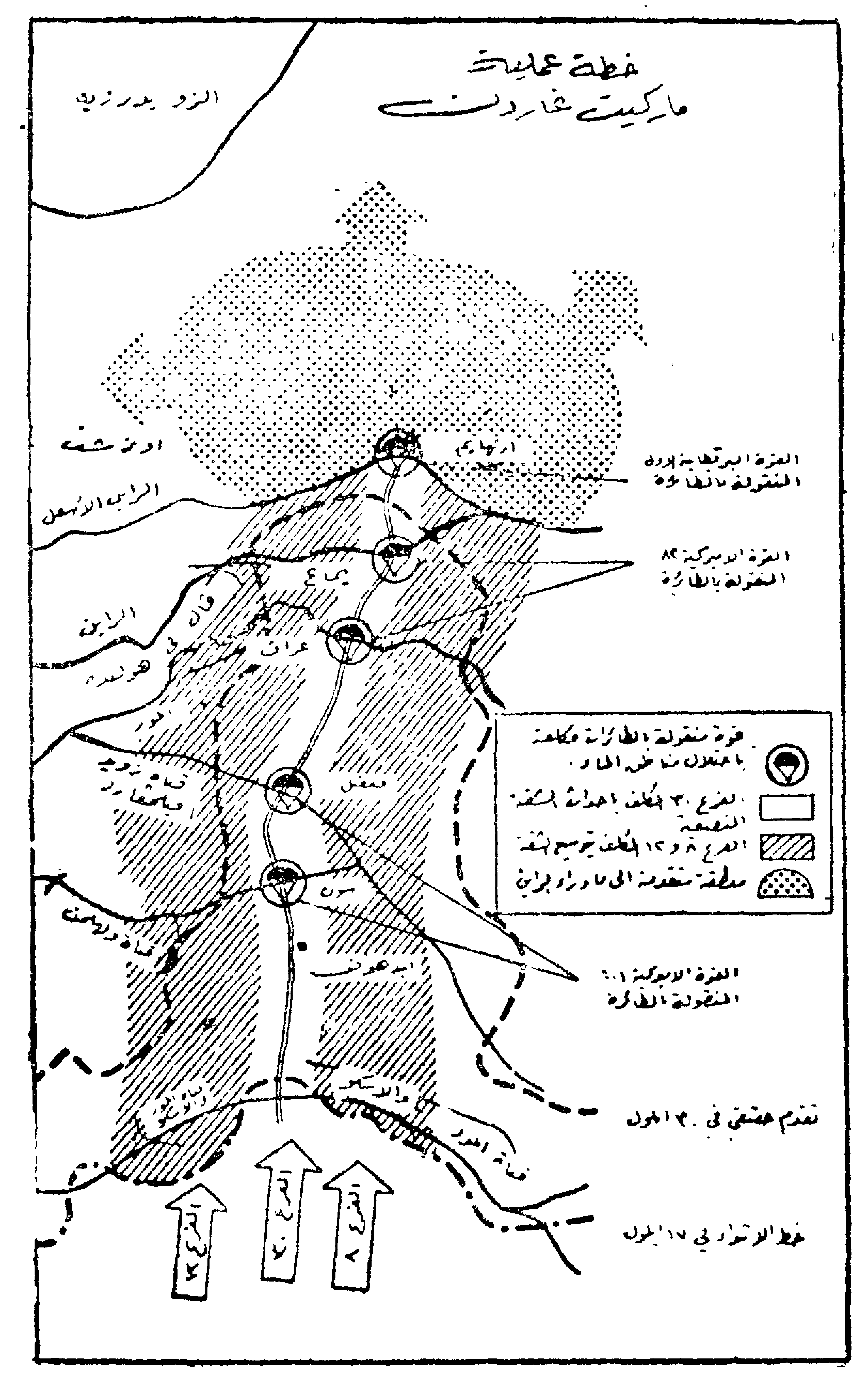
وهكذا كنت ساخطاً بعد أرنهم كما كنت ساخطاً بعد معركة نورمنديا . فإننا لم نحتل الرور فى الوقت الذى كنا نريده لندك الصرح الألمانى دكاً من أساسه . ولا بد لى من الاعتراف بأنى ما كنت مصيباً فى نظرتى. لم أقدر أن إنقاذ مرفأ إنفرس كان من الصعوبة بحيث لا نقوى على ترميمه بسرعة لاستخدامه ورأيت أن الجيش الكندى يستطيع أن أن يقوم بتلك المهمة إذ كان باقى قوانا يواصل زحفة نحو الرور . أجل ما كنت مصيباً فى تقديرى هنا .

وأريد أن أنهى هذا الفصل بمقطع استخرجه من كتاب ولمو «الجهاد فى سبيل أوروبا» ص ٥٢٨ .

«إنه لأمر يؤسف عليه كل الأسف أن يكون عاملا الضعف الرئيسيان فى قيادة الحلفاء العليا - خوف البريطانيين من الخسارات ونفور الأمريكيين من تكتل القوى - قد تضافرا ليؤثرا أسوأ التأثير على تلك العملية الحربية التى كان من اللازم ومن الممكن أن تقع كالضربة القاضية القاطعة فى الحرب فى المنطقة العربية . وما كان الوقت وقت تردد فى دفع الثمن غالياً، ولا وقت اعتبار نفوذ ومقام قادة يتنافسون فى أن يقدم بعضهم على البعض الآخر إنما أقل ما يقال فى الأمر هو احتلال الرور وإنهاء الحرب بسرعة مع كل ما يعنى ذلك من حيث مستقبل أوروبا»

وإننى لأرى أن العملية الحربية تلك لو سندت كما كان يليق أولا ولو خصص لها الطائرات ، والقوى البرية والإمكانيات الإدارية اللازمة ، لكانت نجحت بالرغم من أخطائى ، ومن الطقس المعاكس ، ومن وجود الفرع الثانى إس إس من البانزرس فى منطقة أرنهم .

فإننى لا أزال المحامى المصر لعملية موكت جردن .



خطة عملية
ماركيت غاردن
الزويدرزي
ارنهايم
اوترشت
الراين الأسفل
الفرقة البريطانية الأولى
المنقولة بالطائرة
الفرقة الاميركية ٨٢
المنقولة بالطائرة
الراين
نيمغ
غراف
قوة منقولة بالطائرة مكلفة
باحتلال مناطق الماء
الفيلق ٣٠ المكلف بحماية الشقة
المقتحمة
الفيلق ٨ و ١٢ المكلف بتوسيع الشقة
منطقة متقدمة الى ما وراء الراين
سون
الفرقة الاميركية ١٠١
المنقولة بالطائرة
تقدم حقيقي في ٢٠ ايلول
خط الانطلاق في ١٧ ايلول

الفصل السادس عشر

معركة الأردين ونهاية الحرب

إن معركة الأردين التي ابتدأت في ١٦ ديسمبر ١٩٤٤ وانتهت في ١٦ يناير ١٩٤٥ ، ولدت فيما بين البريطانيين والأمريكيين تنافراً لا أستطيع أن أهمل ذكره . غير أنه لابد لي أولا من سرد الحوادث التي سببته ، مما يبدو أن تلك المعركة كان تجنبها ممكناً .

في ٢٨ نوفمبر ، قصدني أيزنهاور ليقضي السهرة معي في مقر قيادتي العسكري في زنهوفن . فتباحثنا طويلا عن الحالة وهي أقل ما يقال عنها أنها ليست مرضية .

إن بقاء الحرب حتى الشتاء ، وهو بقاء ساقتنا إليه أخطاؤنا بعد معركة النورمنديا ، أدى إلى خسارات جسيمة في الأرواح والعتاد وشق كثيراً على الأمريكيين بنوع خاص .

وفي أثناء حديثي مع ايزنهاور قلت له إن مجموعة جيوش برادلي الثانية عشر كانت تظهر لي ضعيفة بعض الشيء ، فيجب أن يضاف إليها بعض أفواج تؤخذ من باتون، ويتوقف باتون عن الهجوم في الجنوب

وبلغ برادلى اقتراحى ذلك فلم يرض به معللا موقفه بأن جيش باتون مرابط فى جبهة طولها ما يربو على ٧٠ ميلا . فلا يمكن نزع فوج أو فوجين منه بدون إحداث ضعف يمنعه بعدئذ من أن يشترك فى الهجوم الذى لا بد من أن يقوم به الجيش السادس فى الجنوب تحت قيادة دوفر .

ثم ذكرت ايزنهاور بأن الخطة التى عرض لها فى بيانه فى ٢٨ أكتوبر والتى كانت تقضى باحتلال الرور والسار ، إن تلك الخطة إذن لم تنفذ فلابد لنا الآن من خطة أخرى .

وقبل افتراقنا فى ٢٩ نوفمبر اقترحت أن يعقد اجتماع بينه وبين تدر وأحضره مع برادلى ، فيعرض كل رأيه ويطلعنا على خطته المقبلة . فوافق على أن يعقد ذلك الاجتماع فى ميستريشت فى ٧ ديسمبر .

وقد افتتح هو مستعرضاً الحوادث التى جرت منذ أول سبتمبر، ثم ذكر العمليات الأخيرة مجاهراً برضاه عنها وما أراه صادقاً هنا ، وهو يحاول وصف تطور الحالة بحيث يخفف من شدة نقدى لها ، وهو يتوقع ذلك النقد منى ، عندما يسمح لى بالكلام . وختم ايزنهاور كلمته قائلا إن غاية اجتماعنا أن يبدى كل رأيه بالصراحة التامة ، فيساعدنا ذلك على تصميم الخطة التى نريد أن نتقيد بها . وعند ذلك طلب منى أن أعرض رأيى فى تطور الحالة .

فتناولت أولا المشكلة فى خطوطها العامة . وهى أن إنهاء الحرب بسرعة متعلق بعاملين أساسيين .. فالعامل الأول هو احتلال الرور

فنقطع على الألمان إمكانياتهم لمواصلة الحرب . والعامل الثانى لإرغام الألمان على حرب قائمة على الحركة والنقل ولا تتجمد فى مكان واحد ، فإن حرباً كتلك تتطلب أدوات نقل، ونفطاً ومصفحات ، ونحن أقوى من العدو فى كل ذلك . ولذا فإنه سيحاول جهد المستطاع أن تبقى الحرب جامدة . والعاملان هذان يقتضيان أن نكون مستعدين الاستعداد التام للعمليات فى أوائل الربيع والصيف وأن تتم تلك العمليات فى الشمال حيث تكون الحرب القائمة على الحركة والنقل ممكنة بحيث لا تكون فى الجنوب حيث يستطيع العدو أن يتحصن فى خطوط دفاعية فيرغمنا إلى الحرب الجامدة . وللقيام بهذا كله لابد لنا الآن من خطة جديدة نتقيد بها تقتضى فيما تقتضيه ، عمليات من شأنها تخلخل قوى العدو وتزعزعها أثناء الشتاء حتى نهزمها بسهولة فى أوائل الربيع والصيف عندما نقوم بهجومنا . وفى مقدمة القوى الواجب تخلخلها منذ الآن جيش الباترس الألمانى السادس . فهو الجيش المصفح الوحيد الباقى عندهم والممكن إستخدامه فى حرب قائمة على الحركة والنقل .

ثم انتقلت إلى عرض الخطة التى أراها ذاكراً بالتفاصيل اللازمة عمليات مجموعتى الجيوش الثانية عشر والواحدة والعشرين . ثم طلبت أن توحد القيادة فى الشمال فإما أكون أنا القائد وبرادلى تحت تصرفى وإما أن يكون هو القائد وأنا تحت تصرفه . وكنت مستعداً أن أرضى بالحل الأخير .

ولم يوافق أيزنهاور على ضرورة تركيز مجهودنا فى الشمال مدعياً أن المهم ليس احتلال الرور بل إتلاف الألمان حيثما حلوا . ولذلك

رجع إلى خطة الجبهة الموزعة الممتدة . ثم أضاف أنه لا يرى معنى بضرورة توحيد القيادة وختم كلامه قائلا إنه ولو كانت الخطة التي نسير الآن بمقتضاها فاشلة فإنه إذن من الواجب أن نعتبرها كناجحة وأن نستمر في تنفيذها .

وهكذا لم يسفر اجتماع ميستريش في ٧ ديسمبر عن نتيجة قط . وفي هذه الأثناء عسكرت مجموعة الجيوش الثانية عشرة ككتلتين رئيسيتين كل منهما معدة للهجوم . وبين الكتلتين فاصلة على بعد نحو ١٠٠ ميل يشغلها الفرع الثامن الأمريكي المؤلف من أربعة أفواج وهو تحت قيادة مدلتون في ١٦ ديسمبر كنت ألعب الجولف مع صاحبي دي ريس إذ بلغني الخبر أن الألمان اندفعوا بهجوم عنيف على جبهة الجيش الأول الأمريكي ، وأن الحالة تدعو إلى القلق . فودعت ريس ورجعت إلى مقر قيادتي الجزيرة في زونهوفن .

وقع الهجوم على الناحية الضعيفة من جبهة الجيش الأول الأمريكي في الاردين ، حيث كان فرع مدلتون الثامن معسكراً واستطاع العدو أن يتجاوز بعيداً في جبهة الأمريكيين . وإنني لأرى من الخير أن يكون قولي بتحفظ في شأن تلك المعركة إذ أنهم ، فيما أظن، سيؤلون كل ما أقوله إلى وجـــه قبيح ولكن لا بأس أن ذكرت ما ظهر لي من المراحل المهمة آنذاك .

تفاقمت الحالة بسرعة فقطعت مجموعة الجيوش الثانية عشرة إلى قسمين وفصل برادلي عن القسم الشمالي منهما . فبادرت إلى تأمين الحالة في

الجانب الأيمن والوراء الأيمن من مجموعة الجيوش الواحدةوالعشرين .
وفى الساعة ٣٠ر١٠ اتصل ايزنهاور بى تليفونياً وأمرنى بأن أتسلم فوراً قيادة القوى الأمريكية الموجودة فى القسم الشمالى وهو مؤلف من جيشين : الجيش التاسع (سمبسون) والجيش الأول (هودجس) وكلاهما عن يمينى . فما لبثت أن اجتمعت بقائدى الجيشين بعد محاضرة دارت بينى وبين دمبسى وكريرار فى الساعة ١١ وتباحثنامعاً فىالتدابير اللازم اتخاذها . وهما فى حاجة إلى الأمر إذ أنهما كانا قد فصلا تمام الانفصال عن برادلى منذ ابتداء الهجوم .

أما موقف الجيش الأول فكان حقاً حرجاً ، وهذا ما حملنى على أن اعتبر المعركة فى القسم الشمالى ككل لا يتجزأ . فأخذت أتأكد من تمكننا من المناطق المهمة وأدخر القوى الاحتياطية لهجوم معاكس ثم جعلت قوى بريطانية تحت تصرف الجيش التاسع وطلبت من ذلك الجيش أن يحتل جزءاً من جبهة الجيش الأول . وأخيراً جمعت وراء الجيش التاسع والأول قوى احتياطية بريطانية حتى تصل القوى الاحتياطية الأمريكية وأخذت الحالة تتحسن شيئاً فشيئاً ، وقام برادلى فى الجانب الجنوبى عن الجيش الثالث بعمل شبيه بالذى قمت به . ودلت الظواهر كلها على أن المعركة انتهت فى منتصف (يناير) ، وفى ١٤ منه كتبت إلى برادلى فى شأن إرجاع القوى الأمريكية إلى قيادته فهنأته على موقف تلك القوى وقوادها فى القتال وشكرته على عمله فى الجنوب مع الجيش الثالث وهو عمل خفف ولا شك ضغط الألمان علينا فى الشمال . هذا ولم أنس أن أذكركم كنت أعد نفسى مشرفاً بأن أسعدنى

الحظ وجعل تحت قيادتى بواسل مثل أفراد الجيشين الأمريكيين التاسع والأول .

والواقع هو أن معركة الأردين انتهت فى ١٦ (يناير) وفى ١٧ منه بلغنى من ايزنهاور الأمر بأن أرجع الجيش الأول إلى برادلى وبأن احتفظ بالجيش التاسع تحت قيادتى . فأجبته لأثبت له أننى انتهيت من من العمل الذى كلفنى به وأن الجيش الأول والثالث قد اتصلا فى هوفالبز وهما الآن يتجهان نحو الشرق . وختمت مؤكداً أننى أعتبره كشرف عظيم أن أكون قد عينت لأقود فى القتال جنوداً من طراز جنود الجيش الأول .

هذا ولا بد لى من أن أذكر أن الألمان ، أثناء إحدى غاراتهم الجوية على بلجيكا وهولندا ، كانوا قد دمروا طائرتى ، فأخبرت ايزنهاور بالأمر ، فجعل تحت تصرفى حالا طائرة أخرى .

وإن أنس لن أنسى البيان الذى أذاعته للصحف والصحافيين فى ٧ (يناير) فى شأن معركة الأردين. كانت الصحف البريطانية قد حملت حملة عنيفة على ايزنهاور . فاقترحت على رئيس الوزراء أن أروى أنا أمام الصحفيين ، قصة تلك المعركة مع تطوراتها طالباً من الجميع أن يعملوا على بعث روح التعاون والتآلف والتآخى بين الحلفاء . ووافق تشرشل على اقتراحى وهو يتوقع من عملى النتائج الجاليلة ، وشتان بين ما كنا نتوقع وما تم . فإن تصريحى للصحف ما كان فقط خطأ بمعنى أنى أدليت به فى حين كان الرأى العام مهيج الأعصاب ، بل أيضاً إن

الذى قلته التقطه العدو وأذاعه على معنى يناقض تمام التناقض ذلك الذى كنت أريده وأصبح بذلك كلامى كأنه موجه ضد الأمريكيين . فالتقط مقر قيادة برادلى تلك الإذاعة المزيفة الأخيرة ، وظنوها صادرة عن البيبيسى فعلا الصراخ .

وعلى كل حال فإننى أرى الآن أنه من الخير لى لو لم أقل ذلك البيان للصحف . فإن موقف القواد الأمريكيين منى حينذاك ما كان يسمح لهم بأن يرتاحوا إلى ما أقوله ، مهما كان . ثم إن كلامى كان يدل على ثقة عندى لا اعتدال فيها ولا توازن فأبدو معها فى ظواهر القائد المظفر المنتصر ، لا على الألمان بل على الأمريكيين الذين لم يتقيدوا بخطتى ، وكأن ما تم هو البرهان القاطع على صحتها وعلى فشل خططهم .

والحق هو أننى لم أذكر فى تصريحى الصحفى ذلك أن الحلفاء فى معركة الأردين أصيبوا بضربة عنيفة . فإن الأمريكيين خسروا فيها ٨٠٠٠٠ مقاتل . وهذا أمر ما كان يقع لو أننا تقيدنا بخطة حربية صحيحة بعد انتصارنا فى نورمنديا ، أو على الأقل لو كنا راعينا التوازن التكتيكى فى معسكرات القوى البرية عندما أخذ القتال يسير ويتطور أثناء الشتاء . هذا علاوة على أن تلك المعركة التى كان يمكن تجنبها أخرتنا ستة أسابيع ولذلك التأخير مالا يخفى عن العواقب السياسية الوخيمة فى حين نريد اقترابا . يوماً بعد يوم ، من نهاية الحرب والتخلص منها .

وكل هذا ، راجع أبداً ودوماً إلى سبب واحد وهو مشكلة القيادة

وتنظيمها بعد أول سبتمبر ١٩٤٤ . والجميع يعلم أنى ماكنت راضياً بها وأنى صارحت بدل سميث وايزنهاور بفكرتى ، ولم أخفها على مارشال نفسه . فإن القيادة العليا لتسيير العمليات فى البر تتطلب رأساً واحداً يكون على اتصال مستمر مع قادة الجيوش والفروع والأفواج حتى يقبض على زمام المعركة ويوجهها إلى حسن الخاتمة. ولم يوافق ايزنهاور على فكرتى هذه بل يرى أن الأوفق أن تعمل مجموعة فى منطقتها بعد أن تعين لها مهمتها ولا يقوى على تعيين ذلك إلا القائد الأعظم فيكون القتال قائماً بسلسلة معارك ولا بمعركة واحدة وهو أمر مستحيل على جبهة تمتد من سويسرا إلى بحر الشمال هذا علاوة على أن ثمة نعرات قومية لا بد من مراعاتها .

فكانت تلك الفترة المؤلمة بعد ٢٣ أغسطس وأدى عدم تقيدنا بخطة واحدة سديدة إلى حالة يرثى لها أحرجت موقف ايزنهاور وأقلقته. فامتنعت عن كل مناقشة فيما يختص بتوحيد القيادة واطلعت ايزنهاور على نيتى المخلصة فى أن أكتفى بالقيام بما يطلبه منى فقط بدون كلام ولا تعليق فأجابنى على الفور معرباً عن شكره الجزيل .

إلا أنه كان لا بد لنا من خطة حكيمة يتقيد بها أثناء الحرب فى الشتاء ، ومن تسديد وتوجيه رشيد لجهود الحلفاء حتى لا يتوزع ويذهب سدى ونحن قادمون على المعركة فى رينانيا . فما تم شىء وكانت حوادث الاردين ، وهى فى طبيعة الأمور وسيرها الذى لا مرد له . فأرغمت أيزنهاور إلى العمل بما كنت أطالب به . وعينى كقائد أعلى للقوى فى الجانب الأيسر وجعل تحت تصرفى جيشين أمريكيين . وهو

أمر من طبيعته أن يزيد فى استياء خصومى من مقر القيادة الأعظم وفى استياء القـادة الأمريكيين المخالفين لآرائى ، فاشتد حنقهم وسخطهم على .

وجاءنى أيزنهاور زائراً فى ٢٨ ديسمبر وتباحثنا طويلا وعدت أصارحه بأن هدفنا الأول هو احتلال الرور .

وبأن لابد من تركيز كل مجهودنا عليه ومن جعل القوى كلها تحت قيادة واحدة لتأمين نجاحها فيه .

وفى ٢٩ ديسمبر كتبت له أذكره بحديثنا بالأمس وأطلب منه أن يكون صاحب عزم وحزم ولا يكتفى بأن يفرض « التعاون » « والتآلف » بين القوى الموجودة ، بل يأمر بتوحيد تلك القوى تحت قيادة واحدة ويعيننى أنا لتلك القيادة ، ولو كان برادلى قد لا يرتاح كل الارتياح لذلك التعيين .

ثم إن أيزنهاور ، عند رجوعه إلى مقر قيادته ، استلم تعليمات من مارشال يعرب فيها هذا عن ثقته التامة وثقة رئيس الولايات المتحدة به هو أيزنهاور .

والموقف هذا جواب على ما ورد إلى من بعض الصحف البريطانية من التحامل على قيادة أيزنهاور . وأضاف مارشال قائلا إن كل محاولة ترمى إلى جعل برادلى تحت قيادتى ، ستعتبر فى أميركا كمحاولة مرفوضة فى الأساس .

وكان ده جنجان فى مقر قيادة أيزنهاور عندما وردت التعليمات الآنفة الذكر .

فتباحث الرجلان فى الأمر وبدت عند إيزنهاور علائم الانزعاج والقلق . وأطلعنى ده جنجان على التفاصيل كلها فكتبت فوراً لأيزنهاور أهدىء من روعه مؤكداً أننى فى كتابى السابق اقترح عليه حلا للمشكلة التى نتخبط فيها فإننى لست مصراً على موقفى بل لا أزال مستعداأن أعمل بما يراه هو من خير الجميع لا سيما وأنه مطلع على أمور قد أجهلها أنا وأشير بذلك إلى تعليمات مارشال . واعتقادى ، حتى ذلك اليوم ، أن أيزنهاور ما شعر قط بأننى اطلعت على مضمون تلك التعليمات .

وفى تلك الأثناء كان أيزنهاور قد انصرف إلى تصميم خطة من عنده . فأرسلها إلى فى ٣١ ديسمبر مرفوقة بكتاب فيه يعتذر من أنه لا يستطيع أن يحقق رغبتى فى توحيد القيادة مع أنه فى الوقت نفسه يعمل بما اقترحته وهو مجهودنا على احتلال الرور ويجعل تحت تصرفى جيشاً أمريكيا .

وتلك الخطة تقتضى قبل كل شىء تحطيم العدو فى الفرجة التى كان قد أحدثها فى الاردين ، ثم مواصلة الهجوم حتى غابات ريشوالد حيث يتحتم علينا أن نجتاز نهر الرين .

وبذلك حصلت على ما كنت أرغبه ماعدا توحيد مراقبة العمليات وتسييرها ، وهو أمر أصبح خارجا عن البحث بعد برقية مارشال .

فإن مجهود قوانا يركز فى الشمال ، ويضاف الجيش التاسع الأمريكى إلى مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين .

هذا علاوة على أنه يعترف لى بأن رأيى يقدم على رأى برادلى فى حين إذا وقع خلاف بينى وبينه فيما يتعلق بتعيين المهمات لكل من مجموعتى الجيوش الثانية عشر والواحدة والعشرين . فماذا أريد بعد ذلك ؟ .

فكتبت إذن لأيزنهاور معربا عن شكرى وطالباً من أن نتريث ونتحين الفرصة المناسبة للتعديلات المقررة فى القيادة .

ثم ذكرت أن العمليات الحربية فى الاردين لابد من أن تتطلب مدة قد تطول بعض الشيء ، ولن نتمكن من القيام بهجوم قط بعد الانتهاء إلا بعد استعداد وافر .

إلا أن ذلك لا يمنعنا عن المباشرة حالا بتنفيذ عملية فريتابل فى بعض مراحلها .

أما عملية فريتابل هذه فهى عبارة عن هجوم يتم من ناحية غابات ريشوالد ، والغاية منه أن نوطد أقدامنا فى منطقة غرب نهر الرين كله . وبعد ذلك ننتقل إلى المرحلة الثانية وهى اجتياز الجيش الثانى لنهر الرين فى حين نواصل تطور عمليات فريتابل فى مراحلها الأخرى .

ابتدأنا بتلك العمليات فى غابات ريشوالد ، شرقى نيماج ، فى ٨ (فبراير) واتجهنا نحو الجنوب ، نحو نهر الرين عن جانبنا الأيسر . وفى

١٠ (مارس) كانت قوى الجيش التاسع الأمريكى ومجموعة الجيوش الواحدة والعشرون معسكرة على الضفة الغربية من نهر الرين منذ نوس إلى نيماج، والجسور جميعها مدمرة . ولكن قبل ذلك بقليل ، فى ٧ (مارس) كان الجيش الأول الأمريكى استطاع أن يستولى فى ريماجن على خط القطار الحديدى وهو لا يزال صالحاً تمام الصلاح فنتمكن عن طريقه من أن نعسكر فى منطقة متقدمة إلى ما وراء الرين على ضفته الشرقية. ولا يخفى ما كانت عليه أهمية تلك المنطقة المتقدمة لأنها أولا شغلت جانباً قوياً من أفواج العدو الباقية ، وثانياً أتاحت لنا بعد تمسكنا أن نواصل هجومنا بسرعة وسهولة . وهكذا فى الأسبوع الثالث من (مارس) كانت جيوش الحلفاء قد اقتربت من نهر الرين على طول امتداده من سويسرا حتى البحر .

فى (فبراير) ١٩٤٥ أثار رئيس الوزراء من جديد مشكلة قيادة القوى البرية إذ طلب مناقشتها ، فيما أظن، مع رؤساء الأركان الحربية البريطانية . ولشد ما كانت دهشتى للأمر لأنها مشكلة كنت أنا - كما يعلم الجميع - قد سبقت وأبديت رأيى النهائى فيها سنة ١٩٤٤.

والمناسبة فى ذلك هى أن تشرشل كان يسعى أن يبدل تدر بالكسندر كمعاون وبدل لايزنهاور فى مهمته كقائد أعظم . أما أنا فما فهمت قط الدور الذى كان يلعبه تدر ، إلا أنه لم يلبث أن انصرف انصرافاً تاماً إلى مجرد التأليف فيما بين العمليات الجوية . وأرى أن الذى ساقه إلى

ذلك هى المناقشات المستمرة بين قادة القوى الجوية كما أن ايزنهاور كان عرضة للذعات تناله من قبل قادة القوى البرية .

ومهما كان من أمر فإن المسؤولين فى لندن كانوا على يقين من أن الكسندر أصلح من تدر أن يكون بدلا للقائد الأعظم ، لأن مقدرته الفنية فى العمليات البرية ، وهى مقدرة لم تكن عند تدر الطيارى ، تمكنه من تخفيف وطأة همومها على ايزنهاور .. واستشارنى رئيس الوزراء ورئيس الأركان الامبراطورية فى الأمر فأجبتهما على الفور أن الأصلح هو أن ندع الحالة على ما هى ولا نغير فيها شيئاً . ومع ذلك فانهما عرضا فكرتهما على ايزنهاور ، فطلب منى أن اجتمع به فى ١٤ (فبراير) وكان اجتماعنا فى مقر قيادتى الحربى فى زنهوفن .

وكان وفدا الامريكيين والبريطانيين إلى مؤتمر يلتا (أوائل — فبراير — ١٩٤٥) قد عقدا بعض اجتماعات فى مالطا، وهى احدى محطاتهم فى طريقهم إلى بلاد القرم ، وانتدب ايزنهاور بدل سميث ليحضر تلك الاجتماعات . فقيل هناك كلام من شأنه أن يجرح ايزنهاور وشعرت باستياء ايزنهاور منه عند اجتماعنا. والذى عرفته هو أن تشرشل قال حينئذ للرئيس أو إلى ما رشال أن أيك ما كان يجتمع بى ، ويعنى بذلك أنه يهمل البريطانيين . هذا علاوة على أن مارشال والقادة الأمريكيين يشكون من ميل ايزنهاور نحو البريطانيين ومن اهماله للبريطانيين . ثم إنه كان ثمة أمر آخر يقلق ايزنهاور وهو تنظيم القيادة طلب منى أن أبدى رأيى فى الأمر فأجبت اننى الآن راض على ما نحن

فيه وهو تعيين شخص يكون مسؤولا هو وحده عن العمليات فى الجانب الشمالى حيث يكون المجهود الرئيسى . ولا ضير بعد ذلك إذا كان ثمة عدة جبهات كلها متعلقة بايزنهاور. وأحسست أن ايزنهاور أبدى بعض الارتياح والاطمئنان عندما أعربت عن رضاى على تنظيم القيادة وما كنت لأعرف لماذا وجه إلى ذلك السؤال .

إلا أننى علمت بعد ذلك أنه بعد تيقنه من اننى موافق على تنظيم القيادة كما كانت عليه ، كتب إلى رئيس الأركان الامبراطورية طالباً منه أن يتقيد بالاعتبارات التالية قبل أن يبدل تدر بالكسندر :

(ا) إن ايزنهاور الذى يسير المعركة . أما بدله فيهتم بأمور الطيران والأمور الإدارية وراء الجبهة وغير ذلك من الأمور الثانوية.

(ب) لن يرضى أبداً بأن يحل أحد بينه وبين قادة مجموعات جيوشه .

(ج) إن تبديل تدر بالكسندر من شأنه أن يثير المناقشات والأسئلة المغرضة .

ثم اجتمع بى ايزنهاور فى ١ (مارس) واستشارنى هو أيضاً فى الأمر ، فأعدت نصيحتى بأن تترك الحالة على ماهى ، فيبقى الكسندر فى ايطاليا وتدر حيث هو حتى نهاية الحرب .

وجاء رئيس الوزراء فى ٢ (مارس) فاطلعته على الحديث الذى جرى بينى وبين ايزنهاور . ولم يكن تشرشل راضياً كل الرضى. ولكنه

بعد اجتماعه بايزنهاور فى ١١ (مارس) كتب لى ليخبرنى أن الامر أصبح الآن « خارجاً عن البحث » .

فى ٢٣ (مارس) أذعت لجيوشى بياناً أطلعهم فيه على أن الحلفاء كانوا قد باشروا فى الليلة السابقة بعمليات بلوندر وهى مصممة لاجتياز نهر الرين . فإن الجيشين الأمريكيين التاسع والثانى ، والجيش الكندى كانوا قد عبروا النهر بين رينبرج وريس . والآن جاء دور مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين فإلى الامام والله معنا .

وكان رئيس الوزراء معى ، فى صباح ٢٤ (مارس) يراقب عن كثب نزول الافواج المنقولة عن طريق الجو على الضفة المقابلة من نهر الرين ، وقوانا حينذاك معسكرة فى مناطق متقدمة فى الاراضى الالمانية . فطلبت من تشرشل أن يوجه بياناً حماسياً لجنودى ففعل . ثم قفل راجعاً إلى لندن فى ٢٦ (مارس) .

بعد اجتيازنا نهر الرين أخذت أفكر ، مع ايزنهاور ، فى الخطط الحربية المقبلة والجميع يعلم اننى كنت وما ازال أقدم الزحف السريع نحو برلين على غيره من العمليات الجارية . وكان ايزنهاور قد وافق على ذلك أول الامر ، فى عام ١٩٤٤ ؛ إلا أنه فى ٣١ (مارس) ١٩٤٥ كتب لى ليصارحنى بأن برلين ليست فى نظره إلا نقطة جغرافية لا غير وأن هدفه الرئيسى بل الوحيـــد هو تحطيم قوى العدو أينما وجد .

فلا جدوى بعد ذلك من طول المجادلة . أما هزيمة ألمانيا فهو أمر أصبح الآن لاشك فيه ، ولكن المهم هو أن يستسلم الألمان ونحن - الأمم الغربية - فى مراكز نستطيع أن نحقق معها ذلك التوازن السياسى فى أوروبا الذى يمكننا من أن نوطد السلم والأمن فى ربوعنا .

وهذا يعنى أنه لابد لنا من أن نسبق الروس إلى احتلال مراكز سياسية هامة ، ولا سيما فيينا ، براغ وبرلين .

وكان الأمر ممكناً لو تهيأنا له وأقمنا له حسابه . فماذا جرى ؟ إن عمليات دراجون فى جنوبى فرنسا خففت من قوى الحلفاء فى إيطاليا وحالت بين تلك القوى وبين أن تصل إلى فيينا قبل الروس .

وكان ستالين قد وافق بدون تردد على عمليات دراجون . ولماذا لا يوافق عليها وهى تؤدى إلى صالحه وصالح بلاده .

أما فيما يختص ببراغ فإن الجيش الثالث الأميركى أمر بالتوقف على الحدود الغربية لتشكوسلوفاكيا ، ليدع تلك البلاد للروس . ولو لم يتلق تلك الأوامر ، فان باتون كان يستطيع أن يصل إلى براغ فى ظرف ٢٤ ساعة أما برلين فاننا خسرناها منذ (أغسطس) ١٩٤٤، إذ لم نقبل على تصميم خطة حربية عامة سديدة . فإن الأمريكيين ماكانوا ليفهموا أن لاقيمة لحرب ربحت إذا أدت بعد ذلك إلى هزيمة من الناحية السياسية . فإن الحرب أداة سياسية ، فلا بد من أن تشرف السياسة على تسييرها بعد التيقن من أننا سنخرج منها ظافرين .

ولم يبق شىء أقوله بعد كل الذى قاله غيرى . فاننا ، بعد اجتيازنا

نهر الرين أخذنا نندفع إلى الأمام نحو البلتيك ، حتى نسبق الروس إلى مدخل ذلك البحر ونمنعهم من الدخول إلى الدانمرك . وحتى نزيد من سرعتنا كانت أفواجنا تتجاوز بعيداً وهى تتقدم فى خطوط ضيقة أما المناطق التى يقاوم فيها العدو فكانت المصفحات تطوقها ، وتهاجمنا بعد ذلك وحدات أخرى تتبع المصفحات .

وفيما كنا نسعى هكذا إلى الشرق أصبح رئيس الوزراء وايزنهاور يخشيان على ألا أستطيع أن أقطع الطريق على الروس وأمنعهم من الدخول إلى الشلسويج ـ هولشتين والدانمرك . فأبرقا لى فى هذا الشأن وهذا ما أسخطنى بعض الشىء ، ولربما ظهر سخطى فى جوابى لهما . أما ايزنهاور فقلت له أننى على بصيرة بما لابد من القيام به . إلا أنه من الواجب عليه أن يفهم أن إبطائى فى العمليات فى الجانب الشمالى راجع إلى أنه نزعنى الجيش التاسع الأمريكى فى ٣ (ابريل) . وعلى كل حال فاننا سبقنا الروس بست ساعات وقطعنا عليهم الطريق إلى الدانمرك .

وهكذا استطعنا أن نشكل أولا جبهة شرقية تمتد من وسمار على البلتيك إلى دوميتز على الألب ، وهناك أيضاً جبهة غربية تمتد من لوبك نحو بآدالدسلو وجنوبى نهر الألب . وبين هاتين الجبهتين جنود ومدنيون من الألمان يهربون من الشرق أمام الروس . وارتفع عدد الأسرى عنـــد الجيش الثانى إلى نحو نصف مليون فيما بين ٢ و ٣ (مارس) .

إن القوى الألمانية ، بعد معركة نورمنديا استطاعت أن تستعيد نشاطها وتقاتل ، أما الآن فما عاد لها سبيل إلى ذلك ، وسقطت على ألمانيا الهتلرية الضربة القاضية مع ماتجره من هلاك وخراب .

فى ٢٧ (ابريل) بلغنى من المكتب الحربى أن هملر كان قد عرض طلباً للاستسلام عن سبيل الصليب الأحمر الأسوجى، وذلك فى ٢٤ منه وكان هملر يدعى أن هتلر فى حالة لا أمل فيها، وأنه هو أصبح صاحب الأمر. فما عبئت بكل ذلك بل رأيت أن العدو الآن أصبح الجيش الروسي فلابد من أن أواصل زحفى حتى أسبقه إلى حدود الدانمرك وبحر البلتيك ثم توالت الحوادث بسرعة . ففى ١ (مايو) التقطنا من إذاعة ألمانية أن هتلر كان قد مات فى مقر قيادته وأنه عين الاميرال دونيتز كخلف له بعد موته . أما هملر فلم يذكر قط وعرفت بعدئذ أنه كان قد عزل من منصبه

وفى ٢ (مايو) أبرق الجنرال بلومنتريت ، قائد القوى الالمانية بين البلتيك والويزر إلى مقر قيادة الجيش الثانى عارضاً الاستسلام غدا ، لكنه عاد وأبرق بأن المباحثات جارية ليتم ذلك الاستسلام عن طريق مستوى أعلى ونطاق أوسع .

وفى ٣ (مايو) انتدب الفلد - مارشال كيتل وفدا إلى مقر قيادتى فى الونبرج للمباحثة فى شروط الاستسلام مع موافقة دونيتز . ووصل الوفد فى الساعة ١١٫٣٠ وهو مؤلف من :

ـ الجنرال ـ أميرال فون فريد بورج ، القـــائد الاعلى للبحرية الالمـانية .

ـ الجنرال كنزل ، رئيس اركان الفلد ـ مارشال بوش ، القائد الأعلى للقوى البرية الألمانية فى جانبي الغربي والشمالى

ـ الكونترا ميرال فاجنر .

ـ الماجور فريدل . ضابط أركان . ثم اجتمع إليهم ضابط أركان آخر وهو الكولونيل بولك .

وصلوا إلى مكتبي واصطفوا تحت العلم البريطانى ، فتباطأت قليلا ثم خرجت ، فأخذوا جميعهم السلام العسكرى تحت العلم البريطانى ، وكانت ساعة جد مؤثرة .

فسألت المترجم : « من هؤلاء الرجال ؟ » فذكر أسماءهم فقلت : « ماذا يريدون ؟ » .

فقرأ الأمير فريدبورج على كتاباً من الفلد ـ مارشال كيتل عارضاً أن أقبل استسلام الجيوش الثـــلاثة المنسحبة أمام الروس بين برلين وروستوك ، ومعرباً عن قلقه فى شأن سكان إقليم المكلمبورج الذى دخله الروس واستولوا عليه .

فأجبت بالنفى فيما يختص باستسلام الجيوش ، وقلت إن كل تدبير فى الجبهة الشرقية بين وسمر ودونيتز ، لابد وأن يتفق عليه الألمـان مع الروس . وإذا كانوا ليخافوا منهم ، فلماذا دخلوا الحرب ولماذا اصطدموا بالروس فى ١٩٤١ ؟

كل ذلك كان يجب أن يفكروا فيه قبل ابتدائهم بالحرب. ثم طلبت

منهم إن كانوا يريدون أن يبحثوا معى فى كيف يكون استسلامهم فى الجبهة الغربية ؟

فأجابوا بالنفى مضيفين أنهم مع ذلك على قلق فيما يختص بالمدنيين المقيمين فى تلك المنطقة ويريدون أن يتفقوا معى على خطة يتم بمقتضاها سحب جيوشهم أمام زحفى المستمر .

فرفضت وعزمت على تشديد الموقف وعرضت عليهم أن يتم بين يدى استسلام جميع القوى الألمانية الموجودة على الجانب الغربى والشمالى بما فيها من قوة لاتزال فى هولندا وجزر الفريز والهليجولند والشلسويج هلستين والدانمرك وذلك بدون قيد ولا شرط ؟

فأجاب فون فريدبورج أنه ليس منتدباً للاتفاق على هذه المنطقة بل للباحثة فى تأمين شؤون المدنيين من تلك المناطق . فرفضت المناقشة فى هذا الموضوع .

ثم هددتهم بمواصلة القتال إن أصروا على عدم الاستسلام بدون قيد ولا شرط ، وهم يعرفون ماينتج عن المواصلة تلك من خسائر بين الجنود والمدنيين الألمان .

ولدعم كلامى بسطت خريطة أمامهم لأطلعهم على الحقيقة فى الجبهة الغربية ، وهم لافكرة لهم عنها فاشتد اضطرابهم وشعرت أننى سأصل إلى غايتى معهم بدون كبير صعوبة . غير أننى أردت أن أريحهم قليلا ودعوتهم إلى تناول الغذاء تحت خيمة معدة لهم ، عسى أن يفكروا ويتروو بما يدلهم عليه الواجب . وتناولوا الغـــذاء وحدهم فيما عدا ضابط

من ضباطى أقام معهم . وعرفت أن فريدبورج بكى أثناء الغذاء ، أما الآخرون فلزموا الصمت .

وبعد الغذاء طلبتهم إلى الخيمة المخصصة للمحاضرات والاجتماعات فبسطت الخريطة على الطاولة للمرة الثانية وعرضت عليهم الاستسلام بشدة على نحو ماذكرت آنفاً ، فإذا رضوا بالاستسلام كنت مستعداً أبحث معهم فى كيف يتم احتلالنا لمناطق القتال بدون أن يلحق المدنيين ضرر . وإلا فالقتال مستمر .

ومالبثوا أن رأوا أننى مستعد أن أقرن القول بالعمل ، وهم على يقين من هلاكهم فأجابوا أنهم لم ينتدبوا للمفاوضة فيما كنت أطلب . إلا أنهم سينصحون فون كيتل بقبول شروطى واستسلام القوى الألمانية الموجودة على الجانب الغربى والشمالى ، فيرجع اثنان منهم إلى مقر قيادة كيتل ليحصلوا على اتفاقه .

فكتبت مستنداً لخصت فيه التقريرات السابقة الذكر التى بحثنا فيها ، على أن نوقع ذلك المستند أنا وفون فريدبورج فيحمل إلى فلنسبورج حيث يعرض على كيتل ودونيتز .

فرجع فون فريدبورج وفريدل بسيارة إلى فلنسبورج ورافقهم العقيد ترومبول وارن ، مساعدى العسكرى الكندى وبقى فى مقر قيادتى كنزل وفاجنر . وطلبت من فون فريدبورج وفريدل أن يكونا عائدين إلى فى الغد ، ٤ (مارس) فى الساعة ٦ مساء .

وكنت على يقين من أن السلطات الألمانية ستوافق على مطالبي فدعوت الصحافيين فى ٤ (مارس)، الساعة ٥ مساء وذكرت لهم ما كان قد تم، وما كنت متوقعاً أن يتم فى الساعة ٦ من المساء نفسه. وأثناء تصريحي وصل فون فريدبورج وفريدل ورأيت الكولونيل ايوارث مقبلا إلى ليطلعنى على الخبر. إلا أننى واصلت فى إلقاء تصريحي. ثم سألت إيوارث إذا كان الوفد الألمانى قد وصل، فأجابنى بالإيجاب فقلت للصحافيين إننى أسمح لهم بأن يرافقونى جميعاً إلى خيمة المحاضرات ليروا بأنفسهم المشهد النهائى.

اصطف الوفد الألمانى تحت العلم البريطانى ثم طلبت إلى فون فريدبورج أن أنفرد به فى خيمتى. وهناك سألته إذا كان مستعداً أن يوقع على شروط الهدنة. فأجاب بالإيجاب. حينئذ أمرت بأن يتم كل شىء كما قررت، الساعة ٦ مساء، فى الخيمة المعدة لتلك الحفلة وحيث كانت أجهزة التصوير والتسجيل وفيما بينها إذاعات للبيبيسى.

وسبقنى الألمان إلى تلك الخيمة والجميع ينظرون إليهم، ثم وصلت أنا فنهض الالمان وجلسنا جميعاً بعد ذلك إلى طاولة بسيطة مثل التى توجد فى المعسكرات.

فقرأت حينئذ شروط الاستسلام بالانجليزى مضيفاً أننى مستعد، إذا لم يوافق الالمان على تلك الشروط، أن أواصل القتال.

ثم وقعت باسم ايزنهاور. ودفعت إلى الالمان نسختين من ترجمة النص الاصلى الانجليزى الالمانى. أما الورقة التى كتب عليها النص

الانجليزى فهى من الورق العادى المستخدم فى الجيش ، وطلبها منى مقر القيادة الأعظم فلم أرسل إلا صورة شمسية لها . وإننى لا أزال محتفظاً بها لقيمتها التاريخية .

نص استسلام جميع الجيوش الألمانية

فى هولندا وفى شمالى غربى ألمانيا بما فيها الجزر كلها ، وفى الدانمرك

١ — إن القيادة العليا الألمانية موافقة على أن تستسلم بدون قيد ولاشرط ، لقائد مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين الاعلى جميع الجيوش الألمانية الموجودة فى هولندا ، وفى شمالى ـ غربى ألمانيا بما فيها جزر الفريز والهليجولند وسائر الجزر ، وفى الشيلسويج ـ هلشتين وفى الدانمرك . ويشمل ذلك الامر بالاستسلام لجميع السفن الحربية فى تلك المنـاطق فإن تلك القوى جميعها تسلم أسلحتها وتستسلم بدون قيد ولاشرط .

٢ ـ إن كل المعارك ، فى الـبر والبحر والجو ، التى كانت القوى المسلحة فى المناطق المذكورة أعلاه داخلة فيها تنتهى فى الساعة ٨ ، بمقتضى التوقيت الصيفى البريطانى صباح السبت ٥ (مايو) ١٩٤٥ .

٣ ـ إن القيادة العليا الألمانية تنفذ على الفور ، بدون مناقشة ولا تعليق ، كل أمر يصـدر ، فيما بعد ، عن القوى المتحالفـة ، فى أى شأن كان .

٤ - إن التمرد على الأوامر تلك أو عدم تنفيذها يعتبران كنقض لشروط الاستسلام ، ويحكم عليهما بمقتضى قوانين الحرب وسننه .

٥ - إن نص الاستسلام هـذا نص مستقل لايمس قط ، كما أنه لا يحل محله ، كل نص استسلام آخر أعم تفرضـه القوى المتحالفة أو يفرض باسمهـا ويطبق على المانيـا وعلى القوى المسلحة الألمانية فى كاملها .

٦ - إن نص الاستسلام هذا كتب باللغتين الانجليزية والألمانية والنص الانجليزى هو الذى يعتبر النص الصحيح .

إن تأويل القوى المتحالفة لذلك النص يعتبر كالتأويل القاطع فى حال أنه يحدث شك أو مناقشة على معنى شروط الاستسلام .

ب . ل . مونتجمرى	فريدبورج
فلدر مارشال	كنزل
٤ — ١٩٤٥	فاجز
١٨٫٣٠	فريدل .

ولم يبق على قيد الحياة إلا واحد فقط من الألمان الأربعة الذين وصلوا إلى مقر قيادتى العسكرى فى ٣ (مايو) ، وهم الكونترأميرال فاجنر وهو حالياً الرئيس المساعد لجزء البحرية فى وزارة الدفاع فى المانيا الغربية . أما الآخرون فماتوا جميعاً « قتلا » ففون فريد بورج تسمم ، وكنزل انتحر برصاصة ، وفريدل قتل بعـــد ذلك بقليل فى حادث سيارة .

وتراكمت على الأشغال بعد توقيع نص الاستسلام . فإننى قد أمرت بالتوقف عن كل هجوم فى ٣ (مايو) عندما جاءنى الألمان للمرة الأولى ، كنت شاعراً أننا أدركنا النهاية فاردت تجنب الخسارات الجديدة فى الأرواح التى كنت مكلفاً بها . وعند ذاك أمرت بوقف اطلاق النار على أن ينفذ أمرى ذلك يوم السبت ٥ (مايو) ١٩٤٥ الساعة ٨ .

ثم بدا لى أنه من الواجب على أن أذيع بياناً للقوى التى حاربت تحت قيادتى من قادة وجنود . فابتدأت ببيان لقادة جيوشى شاكراً همتهم وإخلاصهم فى المجهود الجبار الذى كان مطلوباً منهم ومعرباً عن افتخارى بأننى كنت قائداً لهم إلى النصر . ثم أضفت أننى لى الأمل بأن أعود وأشكرهم للمرة الثانية بشكل أبلغ مما أفعل الآن ، إلا أننى كنت أرى من الواجب على أن أوجه إليهم كلمة قصيرة فى الموضوع .

ثم انصرفت إلى تأليف بيان لضباط وجنود مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين . فإن كثيرين من بينهم كانوا معى فى الجيش الثامن فطلبت منهم أن يذكروا متخشعين رفاقنا الذين استشهدوا ويشكروا الله على أنه حفظنا فى الحياة . ثم أشرت إلى أن كيف الامبراطورية البريطانية وقفت وحدها ضد العدو بادىء الأمر قبل أن ينضم إليها الروس والأمريكيون . ثم نبهتهم إلى المشاكل التى لا بد من أن تعترضنا بعد نهاية الحرب . وإلى أن بريطانيا قد تكابد أياماً شاقة . فمن الواجب علينا أن نستعد منذ الآن لها وأن ينوى كل منا مخلصاً على أن يضحى

بنفسه كفرد فى سبيل المجتمع ، مهما كلفه الأمر ومهما كانت الظروف التى يجتازها .

وأخيراً شكرتهم على ما اخلصوا لى من ولاء وطلبت منهم أن نستمر سائرين إلى الامام فنربح السلم كما كنا قد ربحنا الحرب .

ولابد لى من الاعتراف بأن تأليف بيانى هذا ما كان أمراً يسيراً وطالما فكرت وترويت قبل أن أقول ان ثمة اياماً شاقة قد نكابدها وانه من الواجب علينا أن نربح السلم كما ربحنا الحرب . واننى لا ازال اتساءل حتى اليوم هل ربحنا السلم حقاً . لا أعتقد .

بقى على توجيه شكرى إلى القوى البحرية والجوية للمساعدة الجليلة التى أدتها للقوى البرية منذ ابتداء الحرب فى سنة ١٩٣٩ . فكتبت باسم أفراد القوى البرية جميعهم كتاباً إلى السر أندرو كوننجام اميرال الاسطول البريطانى ، وكتاباً إلى السر شارلس بورتال القائد الأعلى للطيران الجوى . فاجابانى على الفور مقدرين شكرى لهما ومعربين عن اعجابهما بالعمل الذى قامت به القوى البرية تحت قيادتى .

والآن وقد استسلم الألمان وانتهى القتال ، أصبحنا أمام مشكلة من أعنف المشاكل . وقع بين أيدينا مليون ونصف مليون من الاسرى ومليون من الجرحى الالمان وليس لدينا الادوات اللازمة لمعالجتهم . هذا علاوة على المليون من المدنيين الهاربين أمام الروس والذين كانوا قد انتشروا فى القرى والارياف يأكلون من النهب والسرقة .

وتجمدت التجارة والزراعة في معظمهما ، ونفد الزاد واشتد خطر الجوع والوباء وليس هناك من حكومة أو مراكز ادارية لتعيد سير الحياة العادية فى البلاد . أما أنا فكنت جنديا ، وما كان لى اختبار بمثل تلك الأمور . ومع ذلك فكان لابد من القيام بعمل ما وعلى ما يمكن من السرعة .

الفصل السابع عشر

مراقبة ألمانيا بعد الحرب

فى ٨ مايو ١٩٤٥ انتهت الحرب بصورة رسمية فى أوروبا إذ وقع ممثلو القيادة العليا الألمانية على شروط الاستسلام . إلا أن ذلك التوقيع كان توقيع سلطة عسكرية ولا توقيع الحكومة الالمانية التى يرأسها دونيتز وهو يدعى ، بعد موت هتلر ، انه يمثل الأمة الالمانية. والحق أن الحلفاء لم يعترفوا بتلك الحكومة وما لبثوا أن اعتقلوا دونيتز فى فلنسبورج .

ومن ثم أصبحنا فى موقف غير الذى اعتبر فى مؤتمر يلتا بين تشرشل وروزفلت وستالين إذ بحث تنظيم مراقبة الحلفاء لألمانيا بعد نهاية الحرب وقد اتفقوا آنذاك على أن يشكلوا لجنة مراقبة تتألف من عضو أمريكى وعضو روسى وعضو بريطانى وعضو فرنسى. فكل من هؤلاء الأعضاء له قائمقامه وأركانه الحربيـــة والمدنية ويصل بينهم جميعاً مركز عام يقيم فى برلين ، ثم إن الأعضاء الأربعة الموجودين فى برلين يفرضون على الحكومة الألمانية كيف تحكم البلاد ، هذا علاوة على أن المانيـا كانت قد جزئت الى أربع مناطق، لكل عضو منطقة فيها يراقب فيما إذا

نفذت أوامر لجنة المراقبة وهى لجنة تشكل إلى أن توقع الحكومة الالمانية على نص الاستسلام .

إلا أن الحلفاء لم يعترفوا بحكومة قط ، فيما بعد ، فما أمكن تحقيق تشكيل لجنة المراقبة . ثم إنه لم يكن ثمة حكومة إدارية مركزية يعهد اليها لتسيير الأمور المدنية فى المانيا وان برلين كانت قد دكت فى أساسها فلا تقوى على إقامة حكومة تدير شؤون البلاد .

وأخيراً ان ايزنهاور كان قد عين كعضو فى لجنة المراقبة من قبل الأمريكيين ، غير أن البريطانيين والروس لم يعينوا أحداً ليمثلهم . ، فاضطررنا والحالة على الأمر هذا، أن نحكم المانيا بادىء الأمر عن طريق السبل الادارية العسكرية .

ذكرت حالة المنطقة التى كانت مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين معسكرة فيها : من مدنيين هاربين أمام الروس، وأسرى حرب ومقاتلين استسلموا ، ثم لا مواصلات ، لا أمكنة للسكن ، خطر الجوع ، خطر الوباء . كل ذلك مالم يعالج قبل الشتاء ، لابد من أن يحدث الاضطرابات العنيفة فى مناطق الحلفاء الغربيين .

لابد إذن من الإقبال على تلك المشاكل بحزم وفى أسرع وقت ممكن فقبل انتهاء الحرب ، فى ٢٤ (أبريل) ، طلبت من المكتب الحربى أن يعين حالا الرجل المتوقع أن يكون القائد الأعلى فى المنطقة البريطانية والعضو البريطانى فى لجنة المراقبة .

كانت تعقد المباحثات المختصة بتلك اللجنة يومياً فى مقر قيادتى ،

وفى لندن ، ومع ذلك كنا لا نزال نجهل الرجل المعين لتلك الوظيفة ، مع أن الحرب كانت قد علمتنا أن العمل الذى يتم أثناء غياب الرئيس هو عمل لانفع فيه .

إلا أننى ما كنت أستطيع أن أحمل هويت هول على تحديد موقف ما فى هذا الشأن . وبما أننى كنت أنا المسؤول حالياً قررت أن أباشر العمل من تلقاء نفسى ، فان انتدبت رسمياً له فيما بعد ، كان به ، وإن عين غيرى له فإننى أكون قد مهدت له الطريق ثم أدعه وشأنه داعياً له بالتوفيق .

وأول شىء تدعو إليه الحاجة هو إصدار الأوامر الشديدة لمنع النهب واستخدام أدوات المواصلات الالمانية.فإن هناك أعمالا يتساهل فيها أثناء المعركة ولكنها آثام أثناء السلم . فأذعت بياناً أمنع فيه النهب الفردى واستخدام سيارات الجيش الألمانى وغيرها من أدوات الشحن والنقل ، وهددت بأشد العقوبات كل عصيان لتلك الأوامر مضيفاً أن كل ما يبدو ضروريا للبريطانيين ، يجب أن يطلب ويحصل عليه من الطرق القانونية .

أما خطتى فى تدبير شئون المنطقة البريطانية فكانت قائمة مبدئياً على استخدام السلطات العسكرية الألمانية . تصل أوامرى الى الفلد ـ مارشال بوش فينفذها هو عن طريق الدوائر التى تسير بمقتضى توجيهاته . ولذا طلبت أن تتناسب حدود السلطات فى الجيش البريطانى ثم أمرت بنقل كل الأسرى الالمان الى السواحل الالمانية . وهناك أجريت عليهم عمليات الاحصاء ووزعت عليهم المستندات والبطاقات

المدنية . فأخذنا بعدئذ نجردهم من أسلحتهم ونوزعهم أفواجا أفواجا على المناطق المدنية للعمل فى الزراعة أو المعادن أو البريد الخ . . . وكان يذهب كل الى منطقته وهو مرتد الألبسة المدنية ، أما الأسلحة والعتاد فالأصلح ، فيما رأيت ، أن نحتفظ بها ، عسى أن يصبح الغربيون فى حاجة اليها .

ثم قسمت المنطقة البريطانية الى تقسيمات إدارية موافقة لوحدات الجيش من فرع وفوج ولواء وكتيبة ؛ وعن طريق هذه التقسيمات أخذنا نعمل على تأمين المرافق المعاشية المدنية بالترتيب التالى:

الزاد والأكل، السكن، الاحتياط ضد الوباء . فان تأمين الزاد والأكل كان أشد الامور أهمية ، ولذلك أصدرت الأوامر إلى القوى البريطانية بألا تأخذ شيئاً للأكل من الالمان وبذلت كل جهد فى أن يكون موسم الزرع المقبل موسماً ناجحا .

وهكذا أخذت أنظم منطقتى منعاً لتعميم الفوضى . فإننى كنت أصبحت مسئولا عن ٢٠ مليون نفس من الألمان ورأيت من الواجب على أن أتخذ التدابير اللازمة فى شأنهم قبل أوائل الشتاء ، وإلا مات الكثيرون من بينهم من الجوع والبرد والوباء .

وفى ٥ يونيو ، اجتمع قادة الحلفاء فى برلين لتوقيع المذكرة المتعلقة بسحق ألمانيا ، فأخبر يوكوف ايزنهاور وأخبرنى أيضاً أن ستالين قرر أن أقلد وسام النصر وهو وسام سوفييتى جديد لم يعط بعد لاجنبى قط وتمت حفلة التقليد فى ١٠ يونيو فى مقر القيادة الأعظم فى فرنكفورت

وكنت قـــد طلبت من ايزنهاور أن أقلد ذلك الوسام معه إذ حصل لى الشرف أن أخدم تحت أوامره فرضى وعندما وصلت علق على صدرى وسام « الدستنجوبشد سرفيس ميدال » وهى أرفع وسام يقلده جندى غير أمريكى ثم وصل الروس قبل الظهر فابتدأوا بايزنهاور وبى ثم انتقلوا إلى تـكريم ٢٤ ضابطاً أمريـكياً وبريطانياً ومصوروهم أثناء ذلك يتزاحمون بدون نظام ولا أدب لالتقاط الصور .

وقبل الغذاء مرت فوق رؤوسنا فى الجو ١٧٠٠ طائرة أمريكية وبريطانية منظمة بحسب أسرابها ، وهو استعراض مؤثر كان له وقعه فى نفوس الروس ورافقت الغذاء حفلة موسيقى ورقص على « الجاز » أثارت إعجاب الروس الذين لم يشاهدوا مثيلا لها قبل تلك المرة .

وأخذت الأيام تتوالى بعد انتهائنا من الحرب فى ألمـانيا وأنا أزداد هماً لعدم التنظيم اللائق فيما يختص بإدارة شؤون ألمانيا ، نعم كنت قد أخبرت بطرق غير رسمية أنى سأكون المـكلف بالمنطقة البريطانية من قبل حـكومة جلالة الملك ، ولـكنهم أرجأوا تاريخ تعيينى الرسمى لتلك الوظيفة . وأدى ذلك إلى عدم انسجام فيما بين لجنة المراقبة البريطانية المقيمة فى لندن والتنظيمات الإدارية التى تتممها فى ألمانيا السلطة العسكرية وهى تعمل تحت تصرفى . فركبت الطائرة فى ١٤ مايو إلى لندن لأطلع رئيس الوزراء على ضرورة تعيين المسئول عن الوظيفة تعيينا رسمياً حتى يمكنه بأسرع وقت أن يوافق بين خطط لجنة المراقبة وتصرفات الحـكومة العسكرية فى ألمانيا فوافق تشرشل على الأمر وعينت قائداً

أعلى لقوى الاحتلال فى ألمانيا ، وطلبت أن يكون مندوبى السر رونالد ويكس الرئيس المساعد للأركان الامبراطورية فى المكتب الحربى. وأعلن التعيينان رسمياً فى ٢٢ مايو .

وفى صباح الغد جمعت أعضاء لجنة المراقبة البريطانية رغبة منى أن أعرفهم بحالى أولا وأن أطلعهم على المشكلة التى تعترضنا . فقلت لهم أنه لابد من حكومة عسكرية الآن فى ألمانيا ، ولكن يجب ألا تبقى تلك الحكومة مدة طويلة حتى لا تختل الإدارة المدنية محلها . ولذا فإنه من الخير للجميع أن تنتقل لجنة المراقبة البريطانية بأسرع وقت ممكن إلى ألمانيا ، فتقيم فى المنطقة البريطانية من ألمانيا .

وعند رجوعى إلى ألمانيا بلغنى أن الألمان ، من مدنيين وعسكريين كانوا على حالة استياء واضطراب وهم يتساءلون فيما عسى أن يكون مصيرهم . ولابد لى من أن أذكر هنا أننى كنت قد احتفظت وقتياً بالتنظيم العسكرى الألمانى تسهيلا للأمور حتى تباشر لجنة المراقبة البريطانية أعمالها .

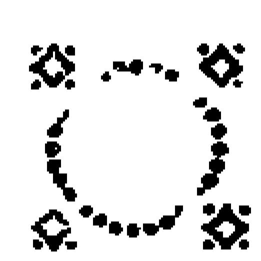
أما القادة الألمان ، فإنهم بعد أن فروا من أيدى الروس ، كانوا على استعداد إلى مساعدة البريطانيين إلى أقصى حد ممكن وهم يريدون فى مقابل ذلك ، أن يعاملوا كحلفاء ، فأخذوا يناقشون بعض أوامرى ويرجئون تنفيذ البعض منها . فاستدعيت بوش فى ١١ مايو وصارحته بأننى لن احتمل ذلك منه ، وأنه من الواجب عليه أن يكون موقفه منى موقف العدو المستسلم ليس أكثر . وبعد هذا التوضيح لم أجد صعوبة قط فى علاقاتى مع بوش أو غيره من قادة الألمان .

أما الألمــان المدنيون فعزمت على أن أذيع عليهم بيانات أطلعهم فيها على خطتى فى تسيير أمورهم ، كما كنت أفعل مع جنودى أثناء الحرب . وما أحدثت بياناتى لجنودى تعليقاً سياسياً قط ؟ أما بياناتى للمدنيين الألمان ، فإنها فيما يظهر ، أقلقت بعضهم فى هوايت هال . وشكت حكومة حزب العمال فى ضرورة تلك البيانات . مع أننى ما كنت إلا لأدعوهم إلى الرجوع إلى العمل بنظام ، وأعدهم باعادة الأسرى فى أسرع وقت ممـــكن إلى حياتهم المدنية ، ولاسيما المزارعون منهم ، وبإبلاغهم عن طريق الراديو كل ما يختص بتدبير شؤونهم وإصلاحها.

وفى مارس ١٩٤٥ فى وقت أن كنا نجتاز نهر الرين وأصبحنا على يقين من انتصارنا ، صرت أتساءل فيما عسى أن يكون من علاقاتنا مع الالمان بعد استسلامهم . ولابد فى الامر من موقف سديد ، فأذعت على الجنود والضـــباط تعليمات انصحهم فيها ألا يسترسلوا إلى كثير من اللطف والبشاشة فى علاقاتهم مع الالمـان أول الامر خوفا من أن يؤدى بهم ذلك إلى حرج بعد ذلك. فالاولى أن يتخذوا أولا موقف الحذر والتباعد ، ثم يتساهلون فى الامر شيئاً فشيئاً بعد ذلك .

ففهم الجنود مقصدى من هذه النصائح وعملوا بها . ثم ما لبثنا أن رأينا أنه لابد من تغيير موقفنا من هذه الناحية . فاذعت للبريطانيين نصائح فى هـذا الشأن وأذعت للألمان بيانات أخرى أشرح لهم موقفنا السابق وأعرض لهم خطتنا الجـــديدة وهى خطة استرسال فى الإخاء والصداقة ..

هذا وأن الالمان إجمالا ، عسكريين ومدنيين . اتخذوا منا موقفاً لائقا ، وكانوا مستعدين الاستعداد التام أن ينفذوا كل ما نأمرهم به ، ولا خوف منهم إلا من أن يقذفوا من جديد إلى المنطقة الروسية . أما الرأى العام عندهم هو أن البريطانيين اليوم . بعد هزيمة ألمانيا ، لابد من ان يتفقوا معهم ضد الروس وهم يظهرون كالخطر الكبير المقبل من اقاصى آسيا والمنذر أوروبا بالكوارث والمصائب . وهو بالضبط الرأى الذى صارحنا به هملر بعد أن قبضنا عليه وهو متنكر . وبعد قوله هذا عض على أنبوبة صغيرة فيها سم ومات مسموماً .



الفصل الثامن عشر

الصعوبات تبتدىء مع الروس

فى ٢٣ (مايو) قلدنى الملك السلطة المطلقة لتوقيع بيان الحلفاء فيما يختص بهزيمة ألمانيا واستسلامها وللمفاوضة مع كل دولة أخرى فيما يتعلق بكل أمر له اتصال بالاستسلام . وكلفت ، بعدذلك . بأن أحرص على ان أتقيد ببنود ذلك البيان .

وعين ٥ (يونيو) لحفلة التوقيع ولاجتماع لجنة المراقبة فى برلين . فوصلت فى اليوم نفسه الساعة ١ بعد الظهر ، إلى مطار تمبلهوف واستقبلنى جماهير من الصحافيين، ثم استعرضت فرقةشرف من الروس. إلا أنه طال انتظارى ليوكوف ، فطلبته فأجابونى أنه مشغول . فألححت فى السؤال وهددت بأننى سأرجع إلى المنطقة البريطانية. فأخذونى إليه وهو نازل فى طرف حى معمور بالمنازل الحديثة كان قد عين لنا . وهناك اقتراح أن يوقع الحلفاء الأربعة على البيان فى الساعة ٤ مساء ثم يلى ذلك عشاء ويغادر أيزنهاور برلين بعده . فوافقت على كلا الامرين لأننى أنا أيضاً كنت عازماً على أن أغادر برلين فى المساء نفسه.

فأخذنا نتباحث ، انا ويوكوف ، فى شـــؤون لجنة المراقبة

وتسييرها . واقترحت أنه من الضروري إحداث سكرتيرية لتلك اللجنة في برلين ثم جمع أعضائها في أسرع وقت ممكن لدرس المشاكل الحرجة ولتمهيد الأمور قبل اجتماع رؤساء اللجنة الأربعة . فلم يوافق يوكوف مدعياً أننا لن يمكننا أن نأتي بعمل قط قبل أن يسلم الحلفاء الغربيون المناطق التي احتلوها والتي كانت قد قسمت للروس في مؤتمر يلتا بين تشرشل وروزفلت وستالين . فأجبت أن هناك مشاكل كثيرة يجب حلها قبل انسحاب القوى الغربية إلى المناطق المعينة لها.فوافق يوكوف ولكنه قال إن برلين لا يمكنها الآن ، وهي على ما كانت عليه من حال ، أن تأوي جزءاً قط من أجزاء لجنة المراقبة إلا بعد إعداد قد يستغرق الأسابيع فأخذ مني القلق مأخذه عندما سمعت كل ذلك .

وبعد مغادرتي ليوكوف أسرعت إلى أيزنهاور قاصداً اطلاعه على ما جرى بيني وبين زميلنا الروسي . فان تحديد المناطق الألمانية لكل من الحلفاء الأربعة كان قد اتفق عليه في لندن ١٢ (سبتمبر) ١٩٤٤ ، وأعلن اعلاناً نهائياً مؤتمر يلتا ؛ في ١١ (فبراير) ١٩٢٥ . مع العلم أن منطقة احتلال الفرنسيين كان قد أرجيء تحديدها إلى اتفاق آخر بين الحكومات الأربع ، ولكنه لم يعلن إلا في ٢٦ (يوليو ١٩٤٥ بعد اجتماع مؤتمر پوستدام في ١٦ (يوليو) من السنة نفسها فمن الواضح ، والأمر على الحالة تلك ، أننا لن يمكننا أن نأتي بعمل ما لم ننسحب من المناطق المعترف بها للروس إلى مناطقنا وكنا قد تجاوزناها أثناء كان القتال جارياً .

إلا أن تشرشل كان مصراً على أن تبقى قوانا حيث وصلت عند نهاية القتال . وغايته من ذلك الا يتخلى للروس عن المناطق المقسومة لهم مبدئياً ما لم يعدلوا موقفهم فيما يختص ببعض المشاكل التى كانوا عازمين على حلها فى اجتماع برلين (بوستدام) بين رؤساء الحكومات البريطانية والامريكية والروسية . وفى مقدمة تلك المشاكل ، اعتبار المانيا كوحدة اقتصادية غير قابلة للتقسيم ، والمسائل المتعلقة ببولونيا والبلقان والنمسا وغيرها من المشاكل الثانوية. أما الحكومة الامريكية فانها كانت قد جاهرت بانها لن تتأخر عن سحب جيوشها من المناطق المذكورة إذا ألحت روسيا على أن ينفذ كل ما اتفق عليه فيما يختص بتقسيم مناطق الاحتلال .

وما كنت لأرتاح لكل ذلك وباحثت مع أيزنهاور فى اختلاف وجهتى نظر حكومتينا من هذه الناحية . أما هو فكان يرى أن لابد من أن نقف موقف الصدق من الروس فنتخلى لهم عما وعدوا به وإلا فلن تطول مدة صداقتنا معهم . وهو على صواب فيما يرى إلا أننى كنت مقيداً بتعليمات حكومتى وقد استلمتها فى الامس فقط ، وهى تنص على ماسبقت وذكرت . فاقترحت على ايزنهاور أننا إذا ما الحوا علينا فى مسألة المناطق ، سنقول معاً إن هذا أمر راجع إلى حكوماتنا ولابد من أن يبت فيه بين الحكومات تلك فقط . فوافق على ما اقترحت .

وفى تلك الاثناء كنت انتظر بفارغ الصبر ، مع ايزنهاور ، أن نبلغ أن وقت توقيع البيان قد حان . وتباطأ الروس فى الأمر

وازددنا استياء وسخطاً أنا وايزنهاور ، ثم اتصلنا بالروس وهددنا بأننا سنرجع فوراً كل إلى منطقته ما لم يتم فوراً الاجتماع الموعود به بين قادة الجيوش الأربعة . فما لبثنا أن دعينا إلى ذلك الاجتماع ولكن هناك حدث ايضاً تأخير من أجل كلمة فى النص الانجليزى لم يرض بها الروس. فاقترحت أن تحذف الكلمة المقصودة وهكذا صار .فتم التوقيع على بيان الحلفاء الأربعة فى الساعة ٤ر٣٠ مساء تحت أضواء لاقطات الصور وبحضور عدد غفير من ممثلى الصحف .

وبعد التوقيع إنسحب أعضاء اللجنة الأربعة لمباحثات سرية فيما بينهم وهم كل مع مستشاريه . وافتتح ايزنهاور المباحثات قائلا ان قادة الحلفاء الأربعة ، يؤلفون ، بمقتضى البيان الموقع ، وحدة حكومية . فما عليهم إذن إلا الاتفاق على شكل الحكم الذى يريدون أن يطبقوه. والاوفق فى الامر أن يجتمع أعضاء أركان الحلفاء ويتباحثون فى القضية ثم يعرضون نتائج تباحثهم على القادة ويطلب هؤلاء الآخرون موافقة حكوماتهم على ما يكون قد اقترح عليه .

إلا أن يوكوف صارحنا فوراً بأن لجنة المراقبة لن تباشر أعمالها ما لم ينسحب الأمريكون والبريطانيون كل إلى المنطقة المخصصة له .فقلت ان ذلك الانسحاب لن يتم الا بعد مدة . فسأل يوكوف: كم ؟ فأجبت ثلاثة أسابيع على الأقل فاقتنع حالا وأضاف أن تلك المدة كافية لتشكيل الأركان اللازمة للعمل فى لجنة المراقبة ، وأنه سوف لا يرى مانعاً ، من تباشر تلك اللجنة اعمالها فى برلين نفسها . ورفع ايزنهاور الجلسة

بكلمة لائقة بالموقف قال فيها إنه لابد لنا الآن من مباشرة العمل قبل التخلى للروس عن مناطقهم ، من الاتصال كل بحكومته لطلب تعليمات جديدة تسير الأمور بمقتضاها . وبعد ذلك ذهبنا إلى قاعة مجاورة لتناول الطعام وكانت الساعة ٦ مساء . فلم نبق ، انا وايزنهاور ، إلا للساعة ٧ وألححنا فى أننا مضطران لمغادرة الحفل إلى مقرينا ، فرافقنا يوكوف إلى مطار تمبلهوف حيث كان فيما بيننا وداع قلبي ودى لا غش فيه .

وعند وصولى الى مقر قيادتى إنصرفت الى تدوين بيان لحكومتى اطلعها فيه على موقف الروس الواضح : فهم لا يريدون أن تباشر لجنة المراقبة باعمالها ، او أن يبحث فى مشكلة قط تختص باحتلال المانيا مالم ينسحب الأمريكيون والبريطانيون من المناطق المعترف بها للروس مبدئياً فى يلتا . صرحت بأننى أرى من الخير أن ننسحب لاننا ليس لدنيا داع عسكرى الى أن نبقى فى تلك المناطق ، إن الدواعى السياسية كثيرة الى أن نتخلى عنها . واذا لم نفعل نصبح لا سبيل لنا إلى مراقبة ألمانيا بعد احتلالها .

لم يوافق تشرشل على اقتراحى هذا للاسباب التى ذكرتها . واذكر اننى تباحثت فى الامر مع ايزنهاور فى واشنطن عام ١٩٤٦ اذ كان رئيس اركان الجيش الامريكى وكنت رئيس اركان الامبراطورية . فقال إنه اصبح يرى أنه كان من الواجب علينا أن نقف موقف الشدة قبال الروس . حتى اننا لو اصروا على عنادهم ، لكنا دخلنا معهم فى حرب وما أرى ذلك من الصواب : فان البريطانيين لم يكونوا على استعداد

الى الدخول فى حرب جديدة لانهم اولا كانوا يهابون الروس الذين أبلوا البلاء الحسن أمام الالمان ، وثانياً لأنهم كانوا منهوكى القوى بعد انتهائهم من الحرب ضد الالمان . اما الامريكيون ، فكان لا بد لهم من جمع قواهم لانهاء الحرب مع اليابان . واما فرنسا ، بالرغم مما قلته فى ٢٦ (مايو) فانها كانت لا تزال مطروحة على الحضيض لا قيمة لها ولجيشها . .

وما كنت استطيع أن اهمل امور جيشنا . والمهم هنا ، فيما رأيت هو ألا يشمئز الجندى من عمله الدائب القائم على حرس مستمر. فقررت أن أخفف عليه تلك المهمة وأمرت بأن يؤمن له على الاقل ٣ ليال على ٤ ، ينام أثناءها فى سريره . ثم عرضت الحالة على الجنود ذاكراً أن الالمانيين خاصة والاوروبيين عامة يعانون الجوع والشقاء ، فمن اللائق الا نظهر أمامهم مظاهر الرفاهية المتجاوزة الحدود ، ثم إن بريطانيا لا تزال تحارب فى الشرق الاقصى ، ولا بد لنجاحنا هناك ولترميم وطننا من الاقتصاد وشيء من الحرمان . وكانت ثمـــة اخيراً مشكلة الزوجات فان اوامرى فى الموضوع كانت واضحة : لا عائلات ولا زوجات تنقل إلى المانيا لتعيش ، مع رجالها . اما النساء القائمات بمهمات فى الجيش ، فانهن سيخدمن فى مناطق بعيدة عن التى يخدم فيها أزواجهن . وهى خطة تطبق على الجميع تأميناً لنجاح العمل ولو كانت ممقوتة عند الجميع أو اكثرهم . الا انى تساهلت الى الحد الاقصى مع الجنود والضباط فى الترخيص لهم بالذهاب الى منازلهم بين الحين والحين

وكان يستفيد من ذلك الترخيص نحو ٧٥٠٠ جندى وضابط كل يوم هذا وانى قد أمسكت عن التصريحات للصحف لان الجو السياسى فى المانيا كان متلبداً ولان السياسيين اخذوا ينظرون الينا بعين الحذر والاستياء بعد انتهاء الحرب ، فكلفت رئيس اركانى أن يسلم للصحف التعليمات المهمة وهو المسؤول وحده عن تلك التعليمات واخيراً بعد اجتماعنا فى برلين فى ٥ (يونيو) ، قررت توزيع الاعضاء البريطانيين قررت توزيع الأعضاء البريطانيين فى لجنة المراقبة على عدة نواح من المنطقة البريطانية فيما بين هانوفر وأسنابروك ، ثم جعلت مقر قيادتى فى فرانكفورت قرب ايزنهاور حتى اسير أنا واياه فى ركاب واحد .

وبعد إصدار أوامرى فى تلك المسائل كلها ، ركبت الطائرة الى لندن فى ١٦ (يونيو) لاحاول أن اجعل الحكومة تحدد موقفها بالنسبة الى المشاكل الثلاث التالية :

١ — ضرورة انسحابنا الى المناطق المعينة لنا والتخلى للروس عن المناطق المعترف بها لهم فى مؤتمر يلتا ، على نحو ما سبقت وذكرت .

٢ — ان تصريح أفراد الجيش يعرض بعض أقسام من الأركان إلى أن تحرم من ضباط محنكين مدربين لا يمكن أن يحل محلهم غيرهم بسهولة .

٣ — إن الكميات الكبيرة من أسلحة العدو لا تزال باقية عملا بالأوامر التى صدرت بعدم إتلافها وليس من السهل على الجيش البريطانى تأمين الحرس على تلك الأسلحة ، فهى دائما فى خطر أن ترجع إلى العدو فالرأى إذن فى إتلافها بأسرع وقت ممكن .

أما فيما يختص بالمشكلة الأولى فإننى مالبثت أن جاءنى فى ١٩ يونيو من المارشال ستالين . بعد مفاوضات جرت بين الحلفاء ، قبل بأن يلتزم كل من هؤلاء الحلفاء المنطقة المخصصة له فى ألمانيا والنمسا وبأن ترابط فى برلين قوات انجليزية ـ فرنسية أمريكية ، ويباشر بالعمل هذا منذ أول يوليو وكانوا يعلقون أهمية كبيرة على ذلك القرار لأن مؤتمر الكبار الثلاثة كان من المتوقع أن يعقد فى برلين فى منتصف يوليو والكل يفكرون أن الحلفاء جميعهم يكون كل منهم قد التزم منطقته عند ذلك التاريخ .

فبعد ذلك الاتفاق قصد الجنرال وينكس (من قبل البريطانيين) والجنرال كلاى (من قبل الأمريكيين) المارشال يوكوف يتفاوضا معه فى كيفية تسليم المناطق للروس . ودخول الحلفاء الغربيين إلى برلين ، وحدثت مناقشة مهمة فيما يتعلق بالمواصلات بين المنطقتين البريطانية والامريكية من ناحية وبرلين من الناحية الأخرى ، فوافق الروس على أن يترك طريق وسكة حديدية للبريطانيين والأميريكيين فيتصرفون بها كما يشاؤون على أن يقوم الروس بالحرس عليهما وبتأمين صيانتهما ثم اتفق الطرفان على الاعتراف للحلفاء الغربيين بطريق جوية تتسع إلى نحو ٢٠ ميلا شرط أن يخبر الروس عن مرور كل طائرة قبل مرورها بساعة على الأقل فى منطقتهم فابتدأ انسحاب الجيوش كل إلى منطقته فى أول يوليو وفى اليوم نفسه توجهت وحدات الحلفاء الغربيين إلى برلين وكان الفوج السابع المصفح يمثل الجيش البريطانى .

أما مستقبل ألمانيا ومهمة لجنة المراقبة فهما أمران أرجىء البحث فيهما إلى مؤتمر الثلاثة الكبار المقرر انعقاده فى برلين يوم ١٦ يوليو وكان قد اتضح لى أن الروس لن يوافقوا على ترميم المانيا كبلاد لها وحدة اقتصادية غير قابلة للتجزؤ ، فإن الجيوش الروسية كانت تعيش على نفقة المناطق النازلة فيها فنهبوها نهبا .

ثم إنى عندما عينت كعضو بريطانى فى لجنة المراقبة ،كنت تسلمت التعليمات المتعلقة بوظيفتى وهى تنص على أن حل المشاكل التى قد تعترضنا بعد الرجوع إلى إجماع أعضاء تلك اللجنه فى تحديد كل موقف وبما أن اللجنة المذكورة لم يتسن لها أن تباشر أعمالها علاوة على أنه لم يكن ثمة سلطة ألمانية مركزية يعول عليها لتسيير الأمور فى ألمانيا ،فإن حكومتى سمحت لى ، فيما بعد ، أن أتصرف بحسب ما أراه موافقا فى كل حالة تمع بشرط أن تميد ما استطعت ،بخطة أمريكيين لتوحيد موقفنا أمام الروس فانقلبت على العمل الجبار الذى كان ينتظرنى ويساعدنى فيه خيرة الرجال عسكريين ومدنيين .

تلك كانت أفكارى فى ذلك الصيف من سنة ١٩٤٥ ،إلا أن تلك الأفكار تتعلق بألمانيا كلها ، فى حين أن همى الآن فى الوقت الحاضر هو تنظيم الأمور فى المنطقة البريطانية وما كنت مستعداً أن أنصرف عن ذلك الهم بسبب مشاكلنا مع الروس .

الفصل التاسع عشر

العمل فى سبيل نهضة ألمانيا

فى منتصف يوليو ١٩٤٥ ألغى مقر القيادة الأعظم للقوى المحاربة المتحالفة ، إلا أن ايزنهاور بقى القائد الأعلى والحاكم العسكرى فى المنطقة الأمريكية . ولقد رأيت ولا أزال أرى أن ذلك الإلغاء كان خطأ كبيراً ، وانتهى بنا إلى أن الروس أصبحوا السادة على وجه الإطلاق فى ألمانيا الشرقية كلها ، فى حين أن ألمانيا الغربية جزئت إلى ثلاث مناطق مستقلة بعضها عن بعض فما عاد عندنا جبهة واحدة تقف بها أمام الروس . ونحن الآن نجنى ثمار تعصبنا القومى الأحمق .

وكتب لى ايزنهاور كتاباً بعد انتهاء ذلك المقر . يشكرنى فيه على مساعدتى له فى الحرب والسلم ، ويبدى إعجابه لى وللجنود البريطانيين ويقول أننا أثبتنا معا أننا نستطيع ، أمريكيين وبريطانيين ، أن نقاتل ونموت فى سبيل الأهداف الشريفة والحرية .

كنت أشعر نحو ايزنهاور بإعجاب عظيم لصفاته الإنسانية ، أما الآن فأخذ إعجابى يتحول إلى شىء من الإخلاص والولاء وهو لا يزال حتى اليوم من أعز أصدقائى. غادر ألمانيا فى نوفمبر ١٩٤٥ راحلا إلى واشنطن

حين عين رئيس أركان الجيش الأمريكى ، ففقدت برحيله نصائحه السديدة ومساعدته الجليلة .

عند انتهاء مقر القيادة الأعظم للقوى المحاربة المتحالفة كانت كل من الدول الأربع قد احتلت منطقتها من ألمانيا وأخذت تحكمها حكماً عسكريا أما مناطق الحلفاء الغربيين فالمواصلات بينها كانت حرة . أما الدخول فى منطقة الروس فكان لا يزال أمراً ممنوعاً . ثم إن الحلفاء الغربيين كان قد ترك لهم طريق وخط حديدى ومنفذ جوى للوصول إلى مناطقهم فى برلين ، أما داخل برلين فالمواصلات حرة بين المناطق كلها .

هذا وإن الحلفاء الغربيين كانوا يؤمنون اتصالا مستمراً فيما بينهم لتوحيد وجهتهم فى تدبير الأمور الألمانية ، والجنرال ويكس يمثل البريطانيين فى الاجتماعات المنعقدة فى فرانكفورت لذلك الشأن . أما بين الروس والحلفاء الغربيين فما حدث اتصال قط .

ووصل ترومان والمارشال ستالين وتشرشل إلى برلين فى ١٥ يوليو لمؤتمر بوستدام. فأسرعت إلى مواجهة تشرشل وهو برفقة إيدن ورئيس الأركان الامبراطورية لأطلعهم على حالتنا ولألح عليهم أن يبذلوا مجهودهم للحصول على تقريرات عاجلة فى عدة مشاكل . وأول هذه المشاكل ومصدرها هو السؤال الآتى . هل تعامل ألمانيا كبلاد واحدة أو كبلاد ذات منطقتين ؟ وإذا كانت تعامل كوحدة اقتصادية وإدارية فلا بد من فسح المجال لحرية المواصلات بين المناطق كلها ، وتأمين الاقتصاديات على نمط واحد فى جميع أنحاء ألمانيا .

وعندما ظهر أن أعضاء المؤتمر سيصلون إلى نتائج حاسمة مرضية اضطر الوفد البريطانى إلى الرجوع إلى لندن للاستطلاع على نتائج الانتخابات فى ٢٦ يوليو . وكان قد أعد كل شىء لرجوع ذلك الوفد فى ٢٧ منه ، فلم يرجع ، بل حل محله وفد آخر يرأسه مستر إيدن وبيفن فواجها المشاكل كلها بحزم وسداد ، وكان لهما التأثير العميق على كل من اجتمعوا بهما . وأسفرت اجتماعات المؤتمر عن نتائج لا بأس بها ، لا سيما من حيث اعتبار ألمانيا كبلاد لها وحدة اقتصادية ، ومن حيث معاملة الألمان على نمط واحد فى المناطق المحتلة كلها ، ومن حيث القبول بأن تعوض ألمانيا ببضاعتها بدلا من أن تعوض بنقدها ، وأخيراً من حيث السعى فى سبيل تأليف حكومة ألمانية يحل محلها فى الوقت الحاضر لجنة يشكلها وزراء الخارجية للأمم المتحالفة .

بقى الآن أن تنفذ تلك التقريرات فألح ايزنهاور على أن تجتمع لجنة المراقبة وتباشر العمل فعقدت اجتماعها الأول فى ٣٠ يوليو وقلت أنه لم يكن ثمة إدارة مركزية لتدبير الشؤون فى ألمانيا . فأخذ الجنرال ويكس يعمل جاهداً فى أن يحل محلها تقسيمات إدارية فى المناطق الغربية على الأقل ، حيث استطعنا أخيراً أن نسير الأمور على انسجام تام بين فرنسيين وبريطانيين وأمريكيين . وتم لنا ذلك خاصة فى الحقل الاقتصادى . ثم اضطر الجنرال ويكس أن ينسحب بسبب المرض ، ففقدت بفقدانه ليس فقط صديقاً حميماً بل صاحب النصيحة السديدة الصائبة فى كل مايتعلق بشؤون ألمانيا . ولقد أسعدنى الحظ أن حل محله الجنرال سريريان روبرتسون الذى كان قد خدم معى فى الجيش الثامن .

وفى تلك الاثناء كنت أفكر ملياً بمشكلة توجيه العقلية الألمانية . وكان لا بد لذلك من خطة فعزمت على تصميمها على نحو ما يلى :

١ - فسح المجال للألمان إلى أن يتناقشوا فيما بينهم وأن يتخذوا هم بأنفسهم التدابير اللازمة التى تقيم الرجوع إلى ما فيهم .

٢ - ابعاد واتلاف كل ما من شأنه أن يساعد النازية ، ولا سيما البطالة ، والملل ، والخوف من المستقبل ، وتبديله بكل ما من شأنه أن يوحى الأفكار السليمة الصحيحة مع الأمل .

٣ - قبل كل شىء التأثير على الشباب الألمانى .

وقلت فى ذلك الشأن بياناً لالمان المنطقة البريطانية ولم أذعه إلا بعد انفضاض مؤتمر بوستدام ؛ وكان ذلك البيان مؤرخاً من ٢٥ يوليو ١٩٤٥ . ولم ينشر إلا فى ٦ أغسطس من السنة نفسها . ذكرت فيه للألمان الدور الاول من عملى فى منطقتهم وهو تسريح الجنود وإعادتهم إلى الجد والنشاط فى الحقل المدنى ثم بذل المستطاع لتأمين السكن والزاد للجميع . وانتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الطور الثانى من ذلك العمل وهو الطور الذى أريد أن أباشر به فأعيد إليهم حرية التفكير والنشر فيما عدا الامور المتعلقة بأمانة الجيش قاصداً من وراء ذلك الوصول إلى تشكيل حكومة ديموقراطية ونظام عدلى سديد بعد التطهير من كل ما يمت إلى مذهب النازية بصلة . ومن هذه الناحية قلت أننى سأشجع كل مجهود يبذل فى سبيل التربية والثقافة والتعليم فى سبيل العناية بالشباب ، ولذلك سمحت لجنودى أن يدخلوا فى المباحثات

معهم حتى يتم التفاهم فيما بيننا . وأنذرتهم أخيراً بالشتاء القاسى المقبل واعداً اياهم بأننى أخذت التدابير اللازمة له وطالباً منهم أن يحتاطوا هم أيضاً لانفسهم حتى يتقوا شره على قدر الإمكان .

فى ٢٢ (أغسطس) ركبت طائرة صغيرة إلى حيث كان الفوج الثالث الكندى فى زيارة له ، فسقطت الطائرة عند وصولها فوق المطار ولم يصب أحد بضرر إلا أنا . فإن فقرتين من فقرات سلسلة ظهرى كانتا قد انشعبتا . فلم أستطع أن أقول الكلمة بكاملها التى كنت قد أعددتها لالقائها على ضباط ذلك الفوج واضطررت إلى الرجوع إلى مقرى وأرادمنى الكنديون أن يتم ذلك الرجوع بسيارة ولا بطائرة خوفاً من حادث ثان . فلم ارض. وعدت إلى مقر قيادتى بالطائرة . وفى سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ أكرهت على ملازمة الفراش غير مرة من وراء حادث الطائرة ذلك وانتهى بى الأمر إلى أن قضيت فى سويسرا شهراً كاملا للاستعفاء التام ، ولم أحصل عليه إلا بعد سنوات .

وفى أوائل (أكتوبر) ١٩٤٥ انتهى مؤتمر وزراء الخارجية فى لندن على خلاف . كان قد عقد لتمهيد المعاملات لتوقيع اتفاقية السلم مع البلدان العدوة ، فاسفر عن صعوبات تكاد لا تقاوم .

واصطدمت لجنة المراقبة الرباعية بالحواجز التى منعتها فيما بعد عن القيام بمهماتها . والسبب الرئيسى فى ذلك هو أن فرنسا أبت أن تشكل حكومة موحدة مركزية ألمانية ، عن طريقها تدبير الشؤون فى ألمانيا فان فرنسا كانت لا تزال تخاف من طمع الألمان فيها ، فترى أن

تجزؤ ألمانيا هو الوسيلة الوحيدة للحفظ على أمنها . هذا علاوة على أن الفرنسيين كانوا يرون فى منطقة الرور المصدر الأقوى للجهاز الحربى الألمانى فيريدون فصل تلك المنطقة عن ألمانيا وتدويلها .

وبعد فشل مؤتمر وزراء خارجية الحلفاء الأربعة ، قدمت إلى لندن لأجتمع برئيس الوزراء المستر أتلى ، وأطلعته على وجهة نظرى فيما يلى :

ا) كنت أرى من الممكن أن تحكم ألمانيا الدول المتحالفة الأربعة معاً فعدلت عن رأيى اليوم . فإن الحلفاء ليسوا على وئام هناك ولقد هدد الأمريكيون بأن يطالبوا باطلاق الحرية لكل دولة متحالفة أن تتصرف كما تشاء فى منطقتها مالم توحد الكلمة فى لجنة المراقبة الرباعية ومع ذلك فإن يقينى هو أن الحلفاء الغربيين يجب أن يستعدوا منذ الآن إلى جهاد عنيف مع روسيا ، وستطول مدة الجهاد . فإن نصف ألمانيا بين يدينا اليوم ، ومن الواجب أن نتمسك به ولاندعه يفلت منا .

ب) أما مشكلة الرور فإننى أرى أنه لابد من تشجيع نهضته التجارية والصناعية شرط أن تسير تلك النهضة تحت مراقبة الحلفاء . فتؤمن بذلك اللوازم الغذائية لألمانيا والمواد الصناعية للحلفاء الغربيين .

د) يجب أن نحتفظ بقوى محاربة كافية حتى نستطيع أن نفرض إهابتنا ولا سيما على الروس ، فنسهل بذلك لنا الحصول على مطالبنا ثم نتساءل بعد ذلك فيما إذا كان من مصلحة بريطانيا أن توحد ألمانيا الآن

وعلى كل حال فإن المناطق المهمة بالنسبة إلينا هى ألمانيا الغربية مع المنطقة الشرقية من البحر المتوسط وليبيا . أما البلـكان فلا يدخل فى الحسبان لأن نفوذ روسيا هناك مطلق لاقيد له قط . وأوضحت لرئيس الوزراء أن المانع الحالى الذى يعترض لجنة المراقبة الرباعية فى أعمالها الآن هو مقاومة فرنسا لتحقيق كل إدارة ألمانية مركزية . أما المانع الحقيقى فهو «الستار الحديدى» الذى يقيمه الروس. فإن الإدارة الالمانية المركزية لا يمـكن أن تتم وتباشر أعمالها مالم يرفع ذلك الستار . فلابد إذن من وجود حل لمشكلاتنا هذه لإنقاذ ألمانيا من الفوضى الاقتصادية ، وذلك الحل يجب أن يتخذ عن سبيل إدارات منطقية مستقلة تعمل كل منها فيما يتعلق بالنقد والضرائب والمشاريع الإدارية الأخرى .

وفى أواخر السنة أخذت أفـكر فى حالتنا فى المنطقة البريطانية . . فاننا كنا سائرين إلى الأمام فى الاصلاح ولا يهددنا إلا تفاؤل أحمق يمنعنا من أن نسعى من الأحسن إلى ما هو أحسن منه وعن أن نسير الهوينا ، بدقة وحكمة فى اصلاحنا . فإن الالمان ، قضوا شتاء سهلا لاهم لهم إلا تأمين غذائهم والفحم لتدفئتهم . ولـكن بعد الشتاء سيخرجون منه ، ويرون حينئذ أنهم لا يستفيدون من نهضة بلادهم بل يذهب انتاجها كله الى الخارج . ثم إننا كنا قدعزلنا عن مناصبهم عدداً كبيراً من النازيين وهم رجال إدارة وحكم من الطبقة العالية الممتازة فلابد من أن تؤدى بهم بطالتهم الى أن يحدثوا شيئاً من القلق والاضطراب

فى البلاد . هذا علاوة على ما قد يحدثه الجنود المسرحون وعددهم لا يقل على المليونين والنصف مليون .

كنت قد بلغت رسمياً ، فى ٢٦ (يناير) ١٩٤٦ ، اننى قد عينت كرئيس للأركان الامبراطورية على أن أباشر أعمال وظيفتى فى ٢٦ يونيو وما فكرت قط بأننى سأحصل يوماً على هذا الشرف ، وأن أحداً ممن عرفونى لن يفكر، فيما أرى. فرحت أتساءل فيماعسى أن تكون علاقاتى مع رؤسائى السياسيين الجدد . أما أتلى وبيفن فان روابط الثقة كانت قد تمكنت بينى وبينهما، ولكننى ما كنت على نفس الاطمئنان من غيرهما من نواب حزب العمال . فإن اثنين منهم، وأحدهما وزير، كانا قد قصدانى فى المانيا لجولة أرادا أن يقوما بها فى الجيش » فى ١٥ أغسطس ١٩٤٥. فأحسنت لقاءهما فى مقر قيادتى ، ثم طلبنا أن يجمعنا بأفراد بعض الوحدات جنوداً وضباطاً. وعلمت فيما بعد ، أنهما فى أحد تلك الاجتماعات كانا قد طلبا من الضباط أن ينسحبوا قصداً منهما أن ينفردا بالجنود . فاستأت لذلك وأصدرت أوامر لكل القوى البريطانية فى المانيا مانعاً أن يعود ويتم عمل كهذا ، وصارحت النائبين بالأمر وأفهمتهما اننى أنا المسئول عن النظام فى الجيش ولن أتسامح بأن يواجه الجنود رسمياً فى غياب ضباطهم .

وعلى كل حال ، بما أننى كنت على قرب من مغادرة المانيا . أخذت أضاعف اهتمامى بالمشكلتين اللتين كنت أراهما فى أساس كل عملنا هناك ألا وهما : مشكلة الشعب الالمانى ، ثم المراحل الادارية التى لابد من قطعها لمجابهة تلك المشكلة .

كان من الواجب على أن أغادر المانيا فى ٢ مايو ١٩٤٦ لأتسلم فى يونيو وظيفتى الجديدة فى المكتب الحربى ، فإن المدة التى قضيتها فى المانيا منذ انتهاء الحرب كانت قد جعلتنى على يقين من أن توحيد المانيا أصبح أمراً مستحيلا اليوم ، لا بل أصبحت أشك فى أن يتم ذلك التوحيد بدون حرب . ومن الواجب عليهم أن يرفعوا مستوى الحياة ومعنوياتها فى مناطقهم فتنتعش تلك المناطق وتزدهر بحيث يصبح ألمان المنطقة الروسية ينظرون اليها ويودون لو كانوا فيها إذ يقابلون فيما بين بؤسهم والسعادة التى يتمتع بها مواطنوهم من هذه الناحية من الستار الحديدى .

وبهذا المعنى، ودعماً لتلك الأفكار والآراء التى عرضت لها فيما يتعلق بنهضة المانيا والألمان كتبت مذكرة قبل مغادرتى لألمانيا، وسلمتها لرئيس الوزراء يداً بيد عندما وصلت الى لندن فى ٢ مايو . وكانت خاتمة تلك المذكرة مايلى :

« ان المانيا إذا أصبحت بلاداً مطمئنة لها جهاز سياسى سليم ، لابد من أن يكون ذلك من المساعدات القوية الثمينة على صيانة أمن الامبراطورية البريطانية ، وتأمين السلم فى العالم » .

الفصل العشرون

استعدادى للدخول الى وايتهال

^^^^

فى بيان الوداع الذى وجهته إلى ضباط جيش نهر الرين ، أعربت عن حزنى على أننى لن أتسلم ، بعد ذلك ، قيادة تصلنى مباشرة بالجندى البريطانى ، إلا أن وظيفتى كرئيس الأركان الامبراطورية كانت تقتضى أن أصبح مسئولا عن تنظيم الجيش وتأمين الرفاهية لكل أفراده. فعزمت على أن أفكر فى واجباتى الجديدة وبعملى الجديد مدة الأسابيع السبعة التى تفصلنى عن يوم تسلمى منصبى فى المكتب الحربى .

أثناء وجودى فى المانيا استطعت أن أتتبع عن كثب كل ما جرى فى انجلترا فيما يتعلق بالسياسة والجيش فإن رجال الحكومة آنذاك كان لاهم لهم إلا التأمين الاجتماعى ، وتدويل المشاريع التجارية والصناعية الكبرى وغيرها من الأمور وكل ما تتطلب تلك التدخلات والعلاقات من قوى مسلحة تسير وتوجه بمقتضى خطة تمتد وتتسع على نحو ما تمتد الظروف وتتسع ، فكل هذه الامور كانت قد أرجئت الى وقت آخر لم يعين . فان صرف الاهتمام هكذا إلى مجرد الشؤون الداخلية أسخطنى سخطاً شديداً وعزمت على أن أوضح لنفسى الخطة التى أريد أن أتقيد

بها حتى أكون على بصيرة من أمرى عندما أتسلم وظيفتى فى ٢٦ (يونيو) ١٩٤٦ .

فما كنت أريد الجيش البريطانى أن يكون مصيره بعد الحرب العالمية الثانية مثل مصيره بعد الحرب العالمية الاولى فتهمل أموره ويصبح لامذهب له ولا سياسة .

عند رجوعى من ألمانيا ، عشت فى هندهاد ، عند أصدقائى الماجور والسيدة رينولدز اللذين كانا قد تعهدا تربية ولدى داود أثناء غيابى . وكنت قد نقلت مكتبى المتنقل من ألمانيا ، فركزته فى زاوية من البستان وأخذت التجىء اليه لاشتغل . وأول ما أردت أن أعالجه هو إيجاد أساس متين صحيح للجيش حتى لايسير هكذا مع الظروف بل يبقى ثابتاً على ماهو عليه مدة عشر سنوات أو خمس عشرة سنة . فلابد إذن من خطة تصلح لمدة طويلة . فشرعت فى دراسة موضوع : « مشكلة جيش مابعد الحرب » . فيها أعرض لما يجب أن نؤمنه حتى نجعل حياة الضباط والجنود ملائمة للعصر الذى يعيشون فيه فيشكلون جيشاً له معنويات عالية سامية يفتخر كل إنسان بالانتساب اليه .

ثم إنه كان لابد من تصميم خطة تكتيكية ذات خطوط عامة فقط فيسهل تطبيقها فى ميادين تختلف مع الازمنة والامكنة . ولذا قررت إحداث سلسلة تمارين فى مدرسة الاركان فى كمبرلى فيحضر تلك التمارين كل القادة البريطانيون الذين لايزالون تحت قيد الخدمة فى بريطانية

وفيما وراء البحار ، ويدعى اليها رؤساء أركان الدول الداخلية فى الكومونولث . وأول خطوة فى تحقيق ذلك هى أن أحصل على موافقة قائدى الطيران والبحرية ، فتم لى ذلك وباشرت بالعمل ستة أسابيع بعد تسلمى وظيفتى .

وأخيراً كنت أريد أن اؤمن لى نفوذاً فعلياً على الجيش الذى أصبحت رئيسه ، فيتلقى قادته الأوامر منى مباشرة . فأخذت أجمع كل ثلاثة أشهر ، فى المكتب الحربى ، كل قادة الجيش الداخلى . فنتباحث فى أمورنا ويحدد المكتب الحربى موقفه منها إذا اقتضى الأمر . وقررت أن أقضى شهرين فى انجلترا وشهراً فى ما وراء البحار ، بالتبادل والغاية من هذه السفريات إلى ما وراء البحار — وقد دامت حتى ١٩٤٧ — ان اتصل بكل ارجاء الكومونولث ، وبينها بلدان لم يزرها قط أحد من رؤساء الأركان الحربية وهو أثناء خدمته .

وكل هذا الذى أسلفت وذكرت انما هو يخصنى بصفتى كقائد للجيش البريطانى ورأيت أنى من هذه الناحية الأخيرة ، سأضطر حتماً إلى أن أبدى رأيى ، حال وصولى إلى هويتهـــال ، فى كل ما يتم ويحدث على وجه الأرض وهى الاضطراب الذى نعرفه ، فلابد لى إذن - حتى يكون رأيى مستنداً إلى الواقع متقيداً به - من الاطلاع المباشر على ذلك الواقع ، وذلك بدرسه فى المكان الذى يتم فيه ، مما ساقنى إلى التيقن من حاجتى إلى رحلة أقوم بها إلى كل أقطار البحر

المتوسط التي كانت الجيوش البريطانية معسكرة فيها . فغادرت هندهاد في ٩ (يونيو) على أن أعود إلى انجلترا في ٢٢ منه غير أني عند نزولي في القاهرة ، وصلتني برقية من صديقي القديم أرتشي وافل ، نائب الملك في الهند ، يطلب فيها إلى أن أقصده هناك ليتباحث هو واوشنلاك (القائد الأعلى في الهند حينذاك) معي في مسائل حرجة . فلبيت طلبه وما استطعت أن أعود إلى لندن إلا في مساء ٢٦ (يونيو) يوم تسلمي الفعلي لوظيفتي كرئيس للاركان الأمبراطورية . كان سفري مفيداً نعم ، ولكنه كان أيضاً متعباً وما كنت على مايرام من العافية والراحة عندما دخلت إلى المكتب الحربي في ٢٧ (يونيو) .

أما فيما يختص بمصر ، فإن المفاوضات المتعلقة بمعاهدتنا معها ، كانت عند زيارتي لها لا تزال جارية منذ زمن طويل . وهي آنذاك واقفة لا تتقدم ولا تتأخر . فإذا وقعت حرب ، أو هددنا بحرب ، كنت أعرف أننا لابد من ان نطالب بالحقوق المعترف بها لنا في المعاهدة البريطانية ، المصرية السابقة . أما الآن في وقت السلم ، فكنا في حاجة إلى قناة السويس لمواصلاتنا مع الشرق الأقصى ، وكنا في حاجة أيضاً إلى امكانية استخدام القواعد الاساسية حيث ترابط جيوشنا النازلة في الشرق الأوسط . إلا أن الوفد البريطاني في مصر كان قد علم أن كل محاولة للاحتفاظ بشروطنا تلك ، ليس من شأنها إلا تعقيد الأمور ، واستخدام القوة واللجوء ، نهائياً ، إلى مجلس الأمن في الأمم المتحدة . وعليه فالوفد يقترح سحب القوى البريطانية من

مراكزها فى مصر والتفاوض للحصول على اتفاقية مرضية ، ويرى أن حلا كهذا أخف الشرين وطأة . وأعلن تصريح بذلك المعنى ولكن بدون فائدة فإن المصريين بقوا على إصرارهم .

وعند مغادرتى لندن اجتمع بى بيفين وقال انه مصر على أن نتقيد بمطالبنا الأساسية ، إلا أنه طلب إلى أن استفهم ما عسى أن يكون موقف المصريين إذا ما عرضنا أن ننسحب من مدن الدلتا ، وأمله هنا أن يلين المصريون فى اصرارهم ويوافقوا على مطالبنا عندما يرون منا ذلك الاستعداد للتفاهم معهم .

وحال وصولى إلى مصر فى ١٠ يونيو اجتمعت بسفير بريطانيا فى مصر وبالقائد الأعلى للقوى البريطانية فى الشرق الأوسط ، ثم بالملك فاروق ورئيس وزرائه صدقى باشا وصارحت الملك ووزيره بأن مصلحة مصر تقضى أن تتعاون قوى بريطانية مع الجيش المصرى لصيانة كيان مصر والدول العربية إذا ما نشبت حرب ، وعليه فلابد للاعتراف بقاعدة حربية يخلى عنها للقوى البريطانية فى الشرق الأوسط وإلا دخلت بريطانيا ومصر الحرب وهما على غير استعداد لها ولا بد من أن تكون تلك القاعدة فى مصر .

وواصلت قائلا أن لابد من بحث تلك القضية فى جو ثقة متبادلة بين الطرفين ثم إنه من الطبيعى أن ترجع حراسة تلك القاعدة إلى المصريين قبل غيرهم إذ أنهم أصحاب الأرض ، غير أن المرغوب فيه هو أن يبقى ممثلون بريطانيون على اتصال مستمر مع هؤلاء الحرس بحيث أنه عندما

تظهر فى الآفاق تباشير أزمة دولية تتمكن من الإقبال على العمل معا لمقاومة تلك الأزمة وذلك بأسرع وقت ممكن

ولم يظهر لى الملك أنه مهتم بهذه القضية : أما صدقى فإنه أبدى تفاهما لا بأس به ووعدنى بمساعدته .

ثم أعلنت أننا سننسحب من مدن الدلتا بأسرع وقت ممكن وسيتم ذلك الانسحاب فى ظرف ثلاثة أشهر ،وفى مقابل ذلك نطلب ألا نتخلى عن قاعدة القنال إلا بعد ٥ سنوات على نحو التقريب ،وأمرت بعد ذلك السلطات العليا للقوى البريطانية بسحب تلك القوى إلى منطقة القنال معربا عن أملى أن أرى العملية متقدمة عندما أستلم وظيفتى فى هويتهال فى ٢٦ يونيو .

ثم أرسلت إلى هويتهال بيانا عن نتائج اتصالاتى فى مصر ، ورأيى بعد زيارتى لمالطا ومصر وقلت إننا نستطيع أن نحتفظ بسيطرتنا على المنطقة الشرقية من البحر المتوسط . بدون الحاجة إلى البقاء فى مصر ولكن بشرط أن نحرص على المقتضيات التالية ، وهى أولا الاحتفاظ بالحق فى أن نبقى القوى التى نريدها فى ليبيا ، فإن وجودنا فى ليبيا وفى مالطا كافيان لتأمين مصالحنا فى البحر المتوسط وفى أفريقيا الشمالية ويجب ثانيا أن نحتفظ بقوى برية وجوية فى قبرص وقوى جوية فى شرقى الأردن مع الاحتفاظ بكل حقوقنا العسكرية فى فلسطين ثم لابد لنا ثالثا من الحق بالرجوع إلى مصر فى حالة الحرب . فنستعيد القواعد التى يكون المصريون قد حفظوها لنا . ولكى يؤمن لنا ذلك الحق يجب

أن نبقى أقوياء فى السودان حتى نتمكن من مراقبة النيل وهو عرق مصر الحيوى .

ثم ركبت الطائرة إلى فلسطين حيث كانت الحالة على أسوأ ما يمكن من الاضطراب والإرهاب بسبب المنظمتين الإرهابيتين اليهوديتين الارجون والسترن. والذى زاد فى الاضطراب تقرير اللجنة الأمريكية- الانجليزية بالسماح لدخول فلسطين لـ ١٠٠٠٠٠ يهودى ، وعلم الناس بذلك التقرير وعيل صبر اليهود فى انتظاره .

هذا مع العلم أن المفوض البريطانى لم يكن رجل حزم وعزم . أما أنا فالذى كان يهمنى هو حالة الجيش ، فأريده متمتعاً بمعنوياته كلها حتى يستطيع أن يفرض على الناس هيبة السلطة المدنية ، لا سيما وأن الشرطة كانت عاجزة عن القيام بمهماتها وذلك بغير ذنب منها .

ولا شك فى أن ضعف موقف السلطة البريطانية ذلك كان من شأنه أن يجعل السلطة الفعلية بين أيدى اليهود ، يتصرفون كما يشاؤون وهم يتحدون كل من حاول مقاومتهم . فصارحت القائد الأعلى فى فلسطين أن تلك حالة لا يمكن أن تدوم فلا بد له من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لإعادة الأمن والطمأنينة إلى القلوب مهما كلف الأمر ولا بد من أن يقودنا ذلك إلى حرب ضد اليهود وهم منبثون فى كل مكان ، متنكرون فلا نعود ندرى أين العدو لنقاتله . فعلى كل حال يجب أن تعطى التوجيهات الشديدة لقمع الفتن أينما كانت وسأكون أنا إلى

جانب الجيش دوماً لأساعده فى مهمته الشاقة . ثم أبرقت إلى هويتهال لأطلعهم هناك على وجهة نظرتى تلك، وبعد أن جمعت عدداً من الضباط فى معسكر صرفند وقلت لهم ما قلت لزملائهم فى مصر ، ركبت الطائرة لمغادرة فلسطين .

ولم اتجه رأساً إلى الهند بل إلى عمان حيث استقبلنى الملك عبد الله استقبالا عظيما . والملك عبد الله صديق قديم وقد وعدنى بأن يدافع عن المصالح البريطانية فى الدول العربية . فوعدته بأن أطلع رئيس الوزراء رغبته وهكذا فعلت .

وابحرت بعد ذلك إلى إيطاليا ، وهناك نزلت فى نابولى ثم اتجهت إلى كازرت .

ثم غادرت إيطاليا فى ٢٦ (يونيو) ووصلت إلى لندن وقد أعيانى التعب . إلا أنى كنت مسروراً من رحلتى التى استطعت بها أن أطلع على صعوبات الجيش عن كثب . ومن شأن ذلك الاطلاع أن أتمكن من أن أبدى رأيى فى كل مشكلة بالرأى اللازم . أما الآن فكنت قد اكتفيت بأن أعيد الثقة والاطمئنان إلى قلوب الجميع واعداً بمساعدتى أمام المشاكل كلها علنا حتى نجد لها معاً الحلول اللائقة بها .

الفصل الحادى والعشرون

خطواتى الأولى فى هويتهال

عندما استلمت وظيفتى فى المكتب الحربى ، كنت داخلا إليه لأول مرة فى حياتى . ولا عهد لى قط بتنظيمه وكيفية العمل فيه .

أما الآن بعد خروجى منه فى ١٩٤٨ ، فإننى أرى أنه خير الوزارات فى هويتهال :

ولا بد لى من القول الآن بأننى خدمت هناك تحت أوامر سكرتيرى دولة ثلاثة الأول منهم لورد لوسون ، لا مثيل له من حيث اللطف والبشاشة ، كان يعمل فى المعادن أثناء أيام شبابه وهو مؤلف كتاب « حياة رجل » قلما قرأت كتباً من مستواه . فى خريف ١٩٤٦ اضطر لوسون إلى الاعتزال لأسباب صحية نخلفه فرد بلانجيه ومعه أيضاً كان العمل هيناً مع العلم أنه كان أوفر اطلاعاً على الأمور من لوسون وطالما بدا لى أنه لم يكن على وئام تام مع زملائه من مجلس الوزارة .

وكان سكرتير الدولة الثالث عمانوئيل شنوال . هو خير الثلاثة مع العلم أن قولى هذا ليس طعناً فى الاثنين الأولين . فإن شنوال كان

صاحب ذكاء قادح وعقل واضح، وقلب كريم : كان سريع الفهم، سريع العمل بعد الفهم، فيدافع عن كل تقرير اقنعناه به فى مجلس الوزراء والبرلمان.

فكل المشاكل الإنسانية هذه، كنت اقيم لها حساباً مهماً، وهى أولى المشاكل التى صرفت إليها انتباهى عند دخولى إلى المكتب الحربى.

وفى أول اجتماع عقده مجلس الشورى للجيش بعد تعيينى، قدمت المذكرة التى كنت قد أعددتها فى هندهاد فى مايو ١٩٤٦، فيما يتعلق « بمشكلة جيش ما بعد الحرب ». وفى أثناء قراءتى لتلك المذكرة ألفت انتباه زملائى إلى ضرورة تقيدنا بخطة بمقتضاها نسير لتعزيز جيشنا، وطلبت منهم أخيراً أن يوافقوا جميعهم عليها حتى تتخذ فيما بعد كقاعدة أساسية لعمل المكتب الحربى فى اختلاف مراحله.

أما النقاط الأساسية التى عرضت لها فى تلك المذكرة فهى ضرورة اتفاقنا على الجهاز الواجب إعداده للجيش أثناء العشر أو الخمس عشرة سنة المقبلة ، ثم العلاقات بين وحدات الجيش المقيمة فى المملكة المتحدة وبين جيوش دول الكومونولث، ثم أهمية الابحاث العلمية واستخدامها فى الجيش الذى لابد من أن يعد لاستعمالها، ثم تدريب الوحدات على القتال مع التقيد بكل الحاجيات العصرية، ثم ضرورة المدارس الحربية وتوسيع نطاقها بحيث يمكن تدريب القادة والضباط الكبار على مستوى يتناسب ورتبهم. وأخيراً أشرت إلى أهمية المعنويات فى الجيش وإلى أهمية التعاون الوثيق فيما بين القوى البرية والقوى الجوية الملكية.

والحقت تلك المذكرة بملاحظات عديدة، بمذكرة أخرى فيها أطلب تعديل النظام الذى عليه كانت تقوم علاقات القائد الأعلى بأركانه . فالنظام البريطانى يجعل القائد الأعلى مسؤولا عن تسيير العمل فى اركانه وكانت الحرب الأخيرة قد دلتنى أن نظاماً كذلك لايمكن أن يطبق اليوم . فإن واجب القائد الأعلى أن يدرك جوهريات المشاكل التى تعرض له مع بعض التفاصيل الأساسية ليس أكثر ، ثم على ضوء ذلك الذى سبق ذكره يصمم خطته ، ويصممها هو وحده فلا تفرضها عليه لا اركانه ولا الظروف ولا العدو . ولتأمين ذلك لابد له من أن يريح نفسه من الاهتمام بالتفاصيل فيدعها إلى اركانه التى تعمل تحت توجيه رئيس القائد الاعلى ويتيح له أن يفكر فى جو من الهدوء والطمأنينة وقوبلت فكرتى هذه بمقاومة عنيفة فى المكتب الحربى ، وسواء أكان من قبل المدنيين أم من قبل العسكريين . وانتهى بى الامر إلى أننى هددت بالاستقالة فأنهى ذلك التهديد كل مقاومة ونلت التعديل الذى كنت أرغبه ، ولكننى قضيت بضعة أشهر لأصل إلى نتيجتى .

ثم إننى مالبثت أن رأيت ، بعد أسابيع فقط قضيتها فى المكتب الحربى أن ليس هناك خطة واضحة فيما يتعلق بالابحاث العلمية وبضرورة الانتقال من البحث النظرى الى الانتاج الفعلى بعد مدة محدودة . وشعرت أن احداً لن يتجاسر على اتخاذ التدابير اللازمة فى ذلك المضمار . فبعد مراجعة المستندات ، قررت أنا أنه من الواجب أن يجهز الجيش العادى بكل لوازمه بعد خمس سنوات (١٩٥١) ، اما الجيش بكامله بما فيه قوى المملكة المتحدة وقوى ما وراء البحار ، فلا بد

من أن يؤمن تجهيزه بكامله فى سنة ١٩٦١ ، فيستطيع حينئذ أن يدخل فى كل حرب مهما كانت دامية وشديدة . وارتاح المكتب الحربى كله لذلك التقرير بعد أن وافق عليه رئيس الوزراء وسكرتير الدولة للحرب ولجنة رؤساء الاركان . ثم اطلعت ايزنهاور ورؤساء جيوش دول الكومونولث ، فوافقوا جميعاً .

وما لبثت أن تبينت أن أصحاب الامر فى هو يتهال لا فكرة عندهم عما سيكون اشتراكنا فى حرب عامة مقبلة . ففى مذكرة كنت قد كتبتها قبل دخولى المكتب الحربى، كنت أصف الشرق الاوسط على أنه فى مقدمة المناطق التى تهمنا . ولم يوافق أتلى على هذا الرأى بعد نقده نقداً شديداً فى أول اجتماع حضرته . فطلبت من زميلى فى البحرية والقوى الجوية أن يقدم كل منا مذكرة فى الموضوع إلى رئيس الوزراء . فرفضا مدعين بأننا لا نزال نجهل مدى قوى الأسلحة التى ستستخدم فى الحرب المقبلة وبأن أركانهما لا يتسع لها الوقت لتأليف مذكرة كتلك . فقلت إنى سأتكاف الأمر أنا بنفسى وسأقدم مذكرتى إلى المكتب الحربى . وبعد أن دونت ملاحظاتى فى خطوطها العامة ، دفعتها إلى أركانى طالباً من ضباطها أن يتقيدوا بالنقاط التالية .

ا) قصدنا أن نعود فنشكل قوة حلفائنا فى اوروبا فنجهز كتلة غربية ضد هجوم قد يأتى من الشرق . ومن الواجب أن نستعد أن نقاتل فى البر الى جانب حلفائنا .

ب) يجب أن نسعى بحيث نحتفظ بحرية التجول فى البحار، ولاسيما

فى الخط الساحلى لافريقيا الشمالية ، حتى تؤمن مواصلاتنا فى البحر المتوسط .

ج) يجب أن نسعى جهدنا فى أن يبقى الشرق الأوسط كما هو عليه فنتخذه مع افريقيا الشمالية والمملكة المتحدة كقاعدة متينة منها نشن هجوماتنا الجوية على كل عدو يأتى من الشرق فلابد للجيش من أن يحتفظ بمقر قيادة عام لفرع فى الشرق الأوسط بحيث يمكن توجيه ذلك الفرع إلى كل مكان تدل عليه الظروف .

وتم تأليف المذكرة بعد أسبوع ، فأرسلت نسخة منها لكل من قائد البحرية الأعلى وقائد الطيران الحربى الأعلى . فوافقا إلا على النقطة الأولى . ومع ذلك لم يرضيا بأن تقدم تلك المذكرة لرئيس الوزراء على أنها صادرة من لجنة رؤساء الأركان . وتلك كانت أوائل الجهاد الذى جاهدته فى هويتهال حتى أحصل على تحديد استراتيجية بريطانية ويوافق عليها الجميع ، وتلك كانت أيضاً أوائل الحزازات العديدة التى نشأت فى لجنة رؤساء الاركان .

وهناك نقطة خلاف أخرى فيما بين رؤساء الاركان الثلاثة ، وهى تتعلق بتصميم الخطط الحربية المقبلة . أما أنا فاقترحت أن يدلى رؤساء الأركان بتوجيهات عامة تتقيد بها فئة الضباط المختلفى السلاح (برى ، جوى ، بحرى) المكلفة بتصميم تلك الخطط ، لاسيما إذا كانت تجهز لحرب واسعة النطاق . أما زميلاى فكانا يريان من الخير لتلك الفئة أن تعمل هى بحد ذاتها وتستنبط الخطط بدون اعتماد الى تصورات

سابقة تؤثر عليها . وكنت أرى أنه غير معقول أن نطالب ذلك من ضباط لا يزالون قليلي الخبرة ، خاصة إذا ما كانت العمليات المفروضة تقتضي اشتراك الاسلحة الثلاثة (السلاح البرى، والجوى ، والبحرى) فى آن واحد . ولم يقتنع زميلاى بأدلتى ، ومع ذلك فاننى نبهتهم الى أننى سأتقيد بوجهة نظرتى فيما يتعلق بالقوى البرية . وبما أن ضباط السلاحين الآخرين ما كانوا يتلقون تعليمات فى الموضوع ، فإن توجيهاتى لضباط سلاحى فى شأن تصميم الخطط كانت تنفذ غالب الاحيان .

ولا ضير ان ذكرت خلافاً آخر وقع بين رؤساء الاركان الثلاثة : وهو خلاف يختص بكيفية توحيد موقفنا مع الامريكيين تجاه الظروف التى كانت تعترضنا فإن ضعوباتنا مع الروس جعلتنا نحس فى أوائل أغسطس بحاجتنا نحن والامريكيين إلى التقيد بمذهب واحد . وكانت قد جرت مفاوضات فى ذلك الشأن من الناحية الدبلوماسية . أما من الناحية الحكومية فما كان قد حدث شىء نهائى . على كل حال ؛ فإن زميلاى كانا يريان مع ذلك درس المشاكل الرئيسية وغير الرئيسية . وما كنت أرى هكذا أنا . فإنه ليس من الصواب أن نقف عند الصعوبات المحلية ، مثل التى فى فينيثيا وألمانيا مثلا ونركز عليها وحدها انتباهنا بصرف النظر عن خطة عامة نكون قد صممناها وأعددناها لحرب عالمية ثالثة قد تقع . فإن المعارك المحلية من شأنها أن تجر إلى حرب لن تلبث أن تصبح عامة , فلا بد من اعتبار تلك المعارك ضمن نطاق أوسع يشملها ويحدد تسييرها فى الوقت نفسه . فبعد مناقشة طويلة استطعت أن أستميل قائد البحرية الأعلى إلى وجهة نظر المكتب الحربى فعدل قائد الطيران الحربى الأعلى عن إصراره .

وكل ذلك الذى عرضت له كاف لإعطاء فكرة عامة عن نشاطى سواء أكان فى المكتب الحربى أم فى لجنة رؤساء الأركان ، وذلك حتى ١٩ أغسطس ١٩٤٦ ، يوم ركبت الباخرة فى ليفربول إلى كندا ، والولايات المتحدة الامريكية .

وصلت إلى الولايات المتحدة فى ١٠ سبتمبر ، وغاية جولتى هناك زيارتى للمراكز العسكرية المهمة وإقامة فى واشنطن للاجتماع بالرئيس وبرؤساء الأركان الأمريكية. وأثناء تلك المدة كلها كنت ضيف الجنرال ايزنهاور والجيش الأمريكى .

وعند وصولى إلى واشنطن بلغنى جواب رؤساء الأركان البريطانية على ما كنت أبرقت من كندا فيما يتعلق بمباحثاتى مع فكنزى كنج . وفحوى ذلك الجواب نصيحة بأن أتباحث فى الموضوع مع رؤساء الأركان الأمريكية بدون مفاتحة الرئيس الأمريكى به . ويضيف الجواب أن الوزراء البريطانيين لم يطلعوا على شىء قط من كل ذلك فلم أيأس ، بل فاتحت ايزنهاور بالمشكلة عند ما استطعت أن أنفرد به . فوافق على أن الوقت قد حان أن يقبل رؤساء الدول أنفسهم مسألة توحيد الصفوف والجبهة فيما بين البريطانيين والكنديين والأمريكيين ؟ أما هو فلا يريد أن يتباحث بذاته مع الرئيس فى الأمر ، إلا أنه شجعنى أن أتحدث عنه مع ترومان إذ أجتمع به غداً فى الدار البيضاء . وكنت عازماً على أن أفعل .

غادرت واشنطن إلى لندن عن طريق الجو بعد ظهر ١٩ سبتمبر . وفيما كنت فوق الأتلنتيك كنت أتساءل فيما عسى أن يكون الاستقبال الذى يعده هويتهال لى . وما كنت أتصوره فارشاً البسط أمامى .

الفصل الثانى والعشرون

غيوم سوداء فوق فلسطين

ذكرت فيما سبق كيف كانت زيارتى لفلسطين أياماً قليلة قبل استلام وظيفتى فى هوايتهال وما كان اضطرابى لما سمعت ورأيت . وإنى إذ أورد ما جرى منذ ذلك التاريخ حتى جلاء القوى البريطانية النهائى من فلسطين فى صيف ١٩٤٩ ، لن أتناول المشكلة إلا من الناحية العسكرية ، وهى ناحية استخدام الجيش لمساعدة السلطة المدنية . كان لابد من تحديد موقف بالنسبة لفلسطين ولا يعنينى ما عسى أن يكون ذلك الموقف إلا أن الترددات المستمرة فى هوايتهال وعدم التقيد بسياسة واضحة سديدة كل ذلك أدى إلى هلاك الكثيرين من الجنود البريطانيين الشباب . وهذا هو الذى جاهدت ضده . ليكون درساً مفيداً ، وخاصة للدلالة على كيف ينبغى ألا يتمبل اصحاب الأمر على مشاكل مثل تلك .

بعد زيارتى فى يونيو ١٩٤٦ إلى المنطقة الشرقية من البحر المتوسط كان دمبسى قد خلف باجيت على رأس القـــوى فى الشرق الأوسط ، وباركر لا يزال قائد القوى فى فلسطين وكانت الحالة العامة فى تلك البلاد

قد تفاقمت . فإن الجيش ، بعد محاولات إرهابيـــة ، كان قد هجم على الهاجانا وعلى الوكالة اليهودية وتوقف عدد كبير من زعماء هاتين المنظمتين . ثم بعد محاولة نسف فندق الملك داود فى أورشليم فى (يوليو) ١٩٤٦ عاد الجيش وقام بهجوم مفاجىء فى تل أبيب ضد الأرجون ، وتوقف عدد كبير من المشتبه فيهم . فازدادت الحالة استياء وأصبح الجنود البريطانيون لا يتجولون إلا مع أسلحتهم ، واتخذت التدابير الاحتياطية الشديدة لحماية الأشخاص والمساكن ضد الهجومات الإرهابية .

وفى أواخر (أكتوبر) ١٩٤٦ على نحو التقريب ظن سكرتير الدولة للمستعمرات أن زعماء الحركات الإرهابية إذا ما سرحوا ، وإذا بطلت التفتيشات للعثور على الأسلحة . فإن الجو قد يتحسن وتستنكر الوكالة اليهودية الأعمال الإرهابية وتدعو اليهود إلى الإقلاع عنها . وهكذا تم ، فيما عدا التدابير الواجب أخذها بعد حوادث إرهابية جديدة ، فضيق على القوى البريطانية فى فلسطين ولم ينقطع الإرهابيون عن قتل الجنود البريطانيين وأفراد الشرطة الفلسطينيين .

فامتلأت غيظاً لهذه الحـالة وقررت السفر إلى فلسطين بالطائرة فى ٢٨ (نوفمبر) ١٩٤٦ ، وقبـــل سفرى اجتمعت برئيس الوزراء وصارحته بالموضوع بلهجة ولطف فيها . وفحوى ما قلت له هو أن الجيش فى فلسطين عدد أفراده مايربو على الـ ١٠٠٠٠٠ وهو قادر على ضبط الأمور، ومع ذلك فإنه لا تترك له الحرية اللازمة فى تصرفاته .

فهو الذى يجب أن يباشر بالعمل ولا يدع ذلك لليهود . وإن سكرتير الدولة للمستعمرات ظن أن الجو يرجع إلى الهدوء بعد تسريح زعماء الإرهاب عند اليهود ، والذى تم هو العكس بالضبط ، ويرى سكرتير الدولة للمستعمرات أن وقوف الجيش هكذا مكتوف الأيدى لا يهتم للأمر إلا للدفاع عن نفسه ، لا أهمية له ؛ وهو مصر فى رأيه على أن الوكالة اليهودية لا تزال تنوى إلا على الخــــير . فإن كنا عازمين على ألا نوطد الأمن ونفرض احترام القانون وهيبته فى فلسطين فالخير لنا أن ننسحب .

وأضفت قائلا : إننى لن أطيق أن يقتل للاشىء جنود بريطانيون لا يزالون فى مقتبل عمرهم .

وكان لكلامى الوقع العميق ، فطلب رئيس الوزراء بياناً سريعاً عن الحالة . ثم مضيت إلى فلسطين .

وكان المفوض البريطانى فى فلسطين فى هذا الوقت السر ألان كوننجام ، هذا الذى كان قائداً للجيش الثامن فى الصحراء وعزله أوشنلاك عن منصبه فى ١٩٤١ . فاجتمعت بكوننجام ودمبسى فى ٢٩ (نوفمبر) واستعرضنا الحالة . فأقر كوننجام أن الجيش لا يمكنه أن يقوم بالمهمات المتعلقة به بسبب التضييقات المفروضة عليه بسبب تدخل الجهات العليا والنفوذ الصهيونى المنتشر فى لندن ، وأن هناك خططاً موضوعة بإحكام للقضاء على البقية الباقية من العرب فى فلسطين لتصبح فلسطين يهودية .

وصرت أزداد استياء للحالة فى فلسطين على قدر ما كنت أزداد عليها اطلاعاً . فإن المفوض السامى البريطانى كان لديه كل ما يلزم لتوطيد الأمن : الجيش والشرطة وكلاهما لم يستخدما بفطنة وحكمة . أما الشرطة فكان أفرادها يتجولون فى السيارات المدرعة وهم مسلحون مثل الجنود ، ولا يقوون على استعمال أسلحتهم مثل جندى من الرتبة الثالثة : فلا يحترمهم الشعب ولا يثق بهم مثلما كان الأمر فى انجلترا حيث يبدو الشرطى مازحاً ، متساهلا حتى فى تنفيذ أشد الأوامر .

ومع ذلك فإن المفوض السـامى كان لا يزال يظن أن الرأى فى ألا نستخدم القوة بكل عنفها ضد الإرهاب إذ أن الوكالة اليهودية والهاجانا قادرة على الاستيلاء عليه ، فإن استعمال القوة ، فى رأيه ، لا يؤدى إلا إلى زيادة اضطراب فى الحالة .

وبتعبير آخر لن نستطيع أن نحكم فلسطين إلا بصبرنا على اليهود ؛ وإذن فالانسحاب خير لنا .

وأبرقت إلى هو يتهال لأطلع أصحاب الأمر هناك على استيائى من الحالة . فطلب رئيس الوزراء إلى كل من المكتب الحربى ومكتب المستعمرات بياناً عن وجهة نظرته ، مشيراً بنوع خاص إلى كيف كانت القوى المسلحة مستخدمة . ولا عجب إن كان كل من البيانين مناقضاً للآخر ، مما أدى إلى تعيين اجتماع فى أول (يناير) ١٩٤٧ الغاية منه مناقشة البيانين ، إلا أنه فى ٢٩ (ديسمبر) جلد اليهود ضابطاً وثلاثة صفوف ضباط بريطانيين ، انتقاما لجلد فتى يهودى من الإرهابيين .

فأثار الحادث سخط الرأى العام البريطانى وأسفر اجتماع أول (يناير) بسرعة عن النتيجة الحاسمة : طلب منى سكرتير الدولة للمستعمرات أن أدون أنا بذاتى التعليمات اللازم توجيهها إلى المفوض السامى فى فلسطين . ففعلت مشيراً إلى أنه لابد من استعمال الشدة ولكن بحكمة وسداد ، وضد الارهابيين فقط ، على أن تكون المباشرة بالعمل بين أيدى القوى المسلحة البريطانية جيشاً وشرطة . وكل ما يقام به من ذلك القبيل فهو مدعوم مبدئياً من قبل حكومة صاحب جلالته . ووفق على تلك التوجيهات فأبرقت إلى المفوض السامى

وفى ٢٦ (يناير) ١٩٤٧ ، اختطف اليهود ضابطاً وقاضياً بريطانيين فأعلن المفوض السامى التشديدات اللازم اتخاذها مالم يرد الرجلان فى ظرف ٤٨ ساعة . فاستأت لذلك أيضاً قائلا إن العدو لا يطلع على التدابير المتخذة ضده . وأبرقت إلى دمبسى بالمعنى نفسه مضيفاً أنه من الواجب علينا أن نتصرف فى سياستنا بحيث لاتهان السلطة البريطانية من وراء شرذمة من اللصوص . فإننى سأسعى جهدى إلى تأمين ذلك هنا فى لندن ، وعليه هو أن يقدم بنفس المهمة فى فلسطين .

إلا أننى ارتكبت خطأ كبيراً إذ أرسلت إلى مكتب المستعمرات نسخة عن البرقية تلك ، فوقعت تحت منظر رئيس الوزراء . وكنت أتوقع منه أن يبدى فى الأمر استياء شديداً ، إلا أنه كان لطيفاً واكتفى بأن يقول لى إن تلك البرقية اذا ما عرف محتواها ستجعل الحكومة فى موقف حرج . ولذا فإنه سيكون لى شاكراً إذا سعيت

بحيث لا تقع إلا فى أيدى دمبسى فقط . فعملت فوراً بتلك الرغبة وأبرقت لدمبسى أن يبطل برقيتى وأن يتلف كل نسخة منها . إلا أنها ولا شك ، كان قد رآها غير واحد . ثم أصدرت الأوامر بأن تمنع عائلات الجنود البريطانيين من أن تنضم إلى رجالها فى فلسطين ، وتبع أمرى ذلك تعليمات من قبل المفوض السامى هناك تأمر بجلاء النساء والأطفال والرجال الذين لا عمل لهم ، عن فلسطين . فأصبحت المنطقة بذلك حرة للعمل فى ربوعها . وكان لابد من ذلك إذ أن المنظمات الإرهابية ومن بينها سترن ، أخذت توسع نطاقها وتقدم بأعمالها الإرهابية حتى فى أوروبا . مما دفع الحكومة إلى أن تعين لى شرطياً يرافقنى فى تنقلاتى ولربما كان هو الذى منع ، بمجرد وجوده إلى جانبي هؤلاء الإرهابيين من أن يضعوا فى طريقى أو فى منزلى قنبلة كنت قد هددت بها .

وفى صيف ١٩٤٧ عرفنا فترة صعوبات فى فلسطين واتضح لى أن الحكومة ، كانت عازمة على التخلى عن الانتداب وسحب القوى البريطانية من فلسطين فى أول (أغسطس) ١٩٤٨ . ولكن . فى تلك الأثناء ، فى أواخر (نوفمبر) ١٩٤٧ ، قرر المجلس العام لمنظمة الأمم المتحدة تقسيم فلسطين وكلف لجنة لتخطيط الحدود . فقررت الحكومة البريطانية أن تتخلى نهائياً عن الانتداب فى ١٥ (مايو) ١٩٤٨ ، وأن تسحب قواها فى أول (أغسطس) التابع ؛ ثم قدم ذلك التاريخ

الأخير فجأة إلى أول (يوليو) وتسلم فلسطين لليهود بناء على خطة مدبرة ووافقت عليها الجهات العليا .

وأخذت الحالة تتفاقم منذ (ديسمبر) ١٩٤٧ . إن اليهود أخذوا يحاولون جهدهم أن يؤمنوا لهم كل المواقع المهمة من الناحية الحربية قبل انتهاء الانتداب . وأما العرب ، ما عدا جيش التحرير ، فلم يدخلوا فى قتال بل اكتفوا بلم قواهم النظامية ، ثم أخذوا يحاولون أن يتفقوا على قيادة واحدة للجهاد المقبل ويوجهون إلى اليهود التهديدات .

وفى ١٥ (مايو) ١٩٤٨ سلمنا انتدابنا فى فلسطين إلى منظمة الأمم المتحدة وسحبنا جيوشنا فى أول (يوليو) .

ونتيجة عملنا هذا هو أننا جعلنا موقفنا ضعيفاً فى الشرق الأوسط وليس فقط موقفنا بل موقف العالم الغربى كله بصورة عامة ، إذ كان الغرب يساهم بصور ظاهرة وواضحة ويعمل على تثبيت اليهود فى فلسطين.

وفى ذلك التاريخ كنا قد فقدنا الهند التى جزئت بعدئذ ، ثم كنا على قرب من أن نطرد من مصر .

فلا بد لنا بعد ذلك من إيجاد معسكر قوى متين فى السودان وليبيا وما زلت ألفت انتباه الوزراء إلى أهمية وجودنا فى هذين البلدين .

الفصل الثالث والعشرون

فى سبيل وحدة الغرب

عند دخولى المكتب الحربى فى (يوليو) ١٩٤٦ ، تبينت أن ليس هناك فكرة واضحة عما عسى أن تكون الاستراتيجية البريطانية فى حرب عامة فى أوروبا إذا نشبت . وما كان زملائى يفكرون بتلك الناحية ولا يريدون أن ترفع مذكرة فى ذلك الشأن . أما أنا فأصررت على أن ترفع مذكرة مثل هذه وقدمتها فى ٢٥ (يوليو) إلى لجنة رؤساء الأركان ، مبيناً فيها ضرورة تشكيل كتلة أوروبية فى أسرع وقت ممكن وضرورة وجود انجلترا إلى جانب الدول الغربية فى دفاعها ضد كل عدو آت من الشرق .

وكانت تلك المحاولة الأولى ، فيما أعلم . فى البيئات البريطانية لاقناع الناس بضرورة وجود انجلترا للقتال فى البر الأوروبى فى حال حرب إذا نشبت . ولم يوافق زميلاى على اقتراحى ، وهذا طبيعى ، فلم ألح لأننى كنت جديداً إذ ذاك فى هويتهال .

وتبدلت الحالة فى ١٩٤٧ . فان وزراء خارجية أوروبا الغربية ، أثناء اجتماعهم فى لندن ، رأوا أن لاسبيل للاتفاق مع روسيا . وبعد رجوعى من جولتى فى أفريقيا ، استدعانى بيفن فى ٢٣ (ديسمبر) ١٩٤٧ ليخبرنى أنه اقترح على بيدو ، وزير خارجية فرنسا أن الوقت قد حان لتشكيل اتحاد فيـــدرالى أوروبى وحمل أمريكا على أن تدخل فيه ، وأضاف أنه من الواجب أن تتفق فرنسا وبريطانيا على خطة استراتيجية

بعد مباحثات تجرى على مستوى الأركان الفنى وكان ينوى أن يحدث مباحثـــات بين بريطانيا وأمريكا من ذلك النوع ، ولـكن بعد الوصول إلى حل مع فرنسا . وقد دعى الجنرال روفير ، رئيس أركان الجيش الفرنسى ، من قبل وزارة الخارجية البريطانية ، إلى لندن فتباحثت معه طويلا فى المشكلة .

وفى أثناء ذلك كان بيفن قد تقدم بمشروعه المتعلق بالوحدة الغربية وخطته مصممة على المرحلتين التاليتين : معاهدة بين فرنسا وبريطانيا من ناحية يدخل فيها بلدان البنلوكس (بلجيكا ، وهولنـــدا ، لوكسمبورج) ، ثم تمتد إلى إيطاليا والبلدان السكنديناڤية . ثم اطلع مارشال على نيته فى الموضوع ، فتحمس مارشال لتلك النية وشجع كل عمل على تـكتل غربى أوروبا والبحر المتوسط من الناحية السياسية والاقتصادية . فعرض بيفن على أمريكا الدخول فى ذلك المشروع فرفض أصحاب الأمر هناك لعدم استعداد الرأى العام الأمريكى للفـكرة .

أما وجهة نظرتى فى الأمر فكانت أن نوضح لأنفسنا نحن ، قبل كل شىء ، ماعسى سيكون موقفنا واستراتيجيتنا فى حال حرب فى أوربا وطلبت أن نهتم ببيان مشترك فيما بين الأسلحة الثلاثة عن الموضوع ، وأبديت استعدادى أن أباشر أنا بنفسى فأقدم بياناً عن وجهة نظر المـكتب الحربى . ورفض طلبى مع الادعاء بأن ضباط اللجنة المشتركة فيما بين الأسلحة الثلاثة كانوا منصرفين إلى درس خطة فى الموضوع . ووصلتنا تلك الخطة ، آخر الأمر وفيها يعتبر أصحابها عملنا فى أوروبا على ثلاثة وجوه : إما عملية عن سبيل الجو فقط ، وإما عملية عن سبيل البر ، وإما عملية نصف برية وهى تقوم على أن تدع كل البر الأوروبى

للعدو فى حال حرب ، ونحتفظ فقط باسبانيا والبرتغال ، ثم نسير من هذين البلدين فنحرر أوربا كلها بهجوم عن طريق البيرينيه .

اما العملية البرية فكانت المذكرة تنحيها ببعض كلمات فقط . فثرت لذلك ورجعت أولا إلى الملاحظة التى كنت سبقت وابديتها وهى خطأنا فى ان ندع ضباطاً يصممون خططاً حربية بدون توجيه يصل اليهم من قبل رؤساء الأركان . ثم قلت إنه من المستحيل أن نشكل وحدة غربية بدون أن تؤكد دول الغرب من أننا سننزل إلى جانبهم ، فى أوروبا البرية ، بكل قوانا الجـــوية ، والبحرية والبرية . ولا بد من أن نجعل ذلك نصب عيوننا عندما نقبل على تصميم خطة حربية للدفاع ضد عدو يأتى من الغرب . وان لم نفعل فلا أمل لنا بوحدة غربية ، علاوة على أننا نكون قد عرضنا بريطانيا العظمى إلى خطر هائل .

وتباحثت فى رأيى هذا مع زميلاى فى ٢ (فبراير) ، فلم يوافقانى عليه ، كما كنت أتوقع وهم يعلنون موقفهم بأن المقاتلة فى البر الأوروبى امر مستحيل على انجلترا ، من الناحية العسكرية ومن الناحية الاقتصادية ، ثم إنه من الواجب علينا أن ننتظر أمريكا حتى تحدد موقفها قبل ان نقبل على درس خطة ما لنا . فقلت إن أمريكا فى الحربين الأخيرتين انتهى بها الأمر إلى أن تمثلت بنا ووقفت موقفنا ، وأنها لا بد من أن تفعل هكذا فى الحرب المقبلة . ثم رفعت الجلسة فى جو تسوده الفوضى ولكن كنت قد حصلت على أن ترفع مذكرتى إلى رئيس الوزراء .

وعقد اجتماع مع رئيس الوزراء فى ٤ (فبراير) ١٩٤٨ فعدت إلى نظريتى ، فلم يوافق عليها أتلى مدعياً أننا لا نستطيع أن نرسل جيشاً

إلى البر الأوروبى . فقلت إن لنا جيشاً هناك وهو جيش الرين ، أيعنى أننا لا بد من أن نسحبه من هناك إذا ما انقلب الروس علينا ؟

فانضم إلى حينئذ بيفن ثم الكسندر فأخذوا يدافعان عن وجهة نظرى كل منهما بأسلوبه وطريقته . واتفقنا نهائياً على أن تدرس مقتضيات الخطة التى كنت أدافع عنها إذ ما ووفق عليها مع ما تتطلبه من ناحية تأليف القوى المسلحة وامتداد نفوذها .

وأخذ نشاطنا فى المضمار هذا يشتد يوماً بعد يوم طوال شهرى (مارس) (ابريل) ١٩٤٨ .وما زلت أقول وأذيع فى كل آن ومكان أن لا بد لنا من الاشترك فى الحرب فى بر أوروبا سواء أكان ذلك فى ١٩٤٨ أو بعد عشر سنوات أو بعد خمس عشرة سنة . فان فرنسا وبلدان البنلوكس ما لم تر بريطانيا إلى جانبها ، لن تتكتل لمقاومة العدو الآتى من الشرق لأنها لا تزال حديثة العهد بالاحتلال الألمانى ثم إن أمريكا لن تدخل حـــرباً جديدة ما لم تتيقن من أننا عازمون على المدافعة عن أنفسنا إلى أقصى حد ممكن . والحق هو أننى كنت أعمل بما قاله سموتس لى فى (مايو) ١٩٤٤ ، إلا أننى ما كنت أفكر بما قاله لى آنذاك بل أفعل ذلك من تلقاء نفسى لأننى ما كنت أرى خطة غير تلك التى أحاول حمل أصحاب الأمر على أن يتقيدوا بها . وأتى مجهودى ذلك كله بالثمار الصالحة . ففى اجتماع ١٠ (مايو) ١٩٤٨ مع وزير الدفاع تم الاتفاق على « الضرورة الجوهرية فى أن نقاتل فى أوروبا الغربية » وعلى كل مايقتضيه ذلك الاتفاق . فأحرزت حينئذ انتصاراً باهراً .

وتفاقمت الحالة فى أوروبا بسرعة أثناء النصف الأول من عام ١٩٤٨ وكنت قد وصلت إلى الموافقة على ضرورة نزولنا فى بر أوروبا للقتال

فى حال حرب إذا نشبت ، ولكن لابد لذلك القتال من تنظيم ولابد للقائلين من قيادة واحدة مربوطة برجل واحد . وإلا بؤنا بالفشل كما كان الأمر فى مقتبل الحرب العالمية الثانية . هذا علاوة عن ضرورة تلك القيادة . وذلك الرجل لحل مشاكل أخرى تدخل فى الاستعداد للحرب أثناء السلم فمن الذى يؤلف فيما بين جيوش أوروبا الغربية ليشكل منها آلة حرب فعالة ؟ وفى أول يونيو ١٩٤٨ نبهت زملائى إلى تلك الناحية فأجابوا متهربين أننا يمكننا أن نكتفى بلجنة ضباط أركان تقيم فى لندن ، وما كنت أرى ذلك أنا ، فما زلت ألح حتى كان ٢٤ يونيو ١٩٤٨ وحصار الروس لبرلين فأحدث ذلك على الفور رد فعله فى لندن وفى ٢٧ يونيو صرح رؤساء الأركان للحكومة أنه لابد حالا من تعيين قائد أعلى لقوى الاتحاد الغربى المتحالفة وذلك لاقناع الروس وأمم أوروبا الغربية من أننا عازمون على القتال فى بر أوروبا الغربية إلا أن قائد البحرية الأعلى تراخى موقفه من تلك الناحية فى اجتماع آخر فأعلن أن عزمنا على إحداث قيادة واحدة فى أوروبا الغربية ليس إلا عملا سياسياً متعلقاً بأزمة برلين وبما أن تلك الأزمة أخذت تتحلل . فلا حاجة إلى التجاوز من النية إلى تطبيقها عملياً .

فانفردت بتدر بعد الاجتماع ، وما لبث أن وافق على ضرورة توحيد القيادة التى كنت أسعى إليها وظللت أمضى حتى وافقت الحكومة فى ٩ يوليو على أننا فى حاجة ماسة .

ـــ إلى لجنة دفاع عن الاتحاد الغربى . تتألف من وزراء دفاع أوروبا الغربية .

ـــ إلى لجنة رؤساء أركان للاتحاد الغربى .

ـــ إلى تنظيم القيادة بصورة تقرر فيما بعد .

وفى ٢٠ (سبتمبر) ١٩٤٨ دعانى وزير الدفــــاع الى مكتبه فى الساعة ١٢٫٤٥ وكانت ساعة غير مألوفة . فأخـذت الظنون تشتغل وظن بعضهم أن الوزير قد بلغه خبر محاولتى فى أن أطلب عزله فيأخذ بثأره منى الآن . ولا أساس لذلك كله ، بل إن الوزير عرض على أن يعيننى رئيسا للجنة قواد الاتحاد الغربى .

وجمع الوزير فى الغد لجنة رؤساء الأركان وأطلعهم على الخبر فأجبت انى مستعد للوظيفة أذا كان هناك إجماع من قبل الحكومة ومن قبل زملائى من لجنة رؤساء الأركان ومن قبل حكومات اوروبا الغربية كلها .

ولكن على شرط : هو أن أبقى ضابطاً بريطانياً متعلقاً بالمكتب الحربى الذى تكلف العهدة بى منذ ٤٠ سنة وليس باحدى المنظمات الدولية التى لن تلبث أن تطالب بإقالتى ثم تلا ذلك مناقشة فى شأن تعيين قائد أعظم فى حال حرب إذا نشبت . فصرحت بأن ذلك إن تم أثناء رئاستى أنا فسأتخلى فوراً عن الوظيفة وأضفت أن منصب القائد الأعظم فى حال حرب يعود إلى ضابط أمريكى ، وستسهل على الأمور اذا ماقرر فوراً - انى لن أعين لذلك المنصب . فقبل اقتراحى وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٤٨ . اجمع وزراء دفاع دول الاتحاد الغربى الخمس على تعيينى كرئيس للجنة قواد قوى الاتحاد الغربى المسلحة - وتم فى اجتماعهم المنعقد فى باريس فى ذلك اليوم .

فوصلت هكذا الى الهدف الذى كنت أنادى به، ولكن بعد جهاد عنيف تركزت شدته بنوع خاص على السيد الكسندر . وكنا صديقين حميمين من حيث العلاقات الاجتماعية ولكن فى المشاكل الفنية، كنا على طرفى نقيض.

والحق يقال أنى أرغمت بعضهم على الاقتناع بحجة بعض المسائل الاساسية، الا أنى لم انجح فى مسعاى الا بعد جهاد عنيف .

خاتمـــة

قبل أن أنتهى من مذكراتى هذه أريد أن أعرض بوضوح لآرائى فى المستقبل وأن أتركها توصية .

لابد من الرجوع إلى سنة ١٩٤٥ لفهم المحاولات التى حققت فى سبيل خلق أوروبا الغربية . فإن الدول الأوروبية بعد هزيمة ألمانيا أخذت تتناسى بعضها بعضاً كل منها منصرفة إلى مشاكلها الخاصة إلا أنها مالبثت أن شعرت بالحاجة إلى أمانة مشتركة تتحالف هذه الدول كلها على تحقيقها فخرج من ذلك الشعور سلسلة من المعاهدات الأولى منها بين فرنسا وبريطانيا فى دنكرك عام ١٩٤٧ فى شهر (مارس) ، والأخيرة هى حلف الأطلسى الشمالى فى ١٩٤٩ ، وهى أهم المعاهدات التى تمت .

وكانت المعاهدة الفرنسية البريطانية فى ١٩٤٧ ضد هجوم ألمانى جديد إذا حدث ثم منذ ربيع ١٩٤٥ ، وأخذت الحالة الاقتصادية فى أوروبا الغربية تتفاقم وحلق خطر الشيوعية عليها . فاتضح أنه لابد من مساعدة تأتى من الخارج . فكانت خطة مارشال بعد خطبته فى جامعة هارفارد وفيها عرض مساعدة أمريكا على كل الدول الأوروبية فرحبت تلك الدول كلها بتلك الأريحية ما عدا روسيا فإنها فى (يوليو)

١٩٤٧، أعلنت رفضها ورفض الدول المنضمة إليها للمساعدة الاقتصادية الأمريكية التى تقتضيها خطة مارشال . ولا عجب فإن روسيا لا تريد الازدهار الاقتصادى لأنه يجعل الناس فى اطمئنان وهى تسعى إلى الاضطراب لتمهيد الطريق إلى نشر الشيوعية . ومع ذلك وبالرغم من رفض روسيا لها فإن مساعدة مارشال أخذ بها فى الولايات المتحدة وعين للإشراف عليها أفريل هاريمان .

ثم إنه بعد رفض الروس لخطة مارشال فى ١٩٤٧، ابتدأت الحرب الباردة ، وأخذت تستعد يوماً بعد يوم . مما دفع بعض البلدان الغربية إلى توطيد صفوفها أمام الخطر المقبل إليها من الشرق ، وكان البنلوكس وهدفه اقتصادى فقط أول الأمر ، ثم انضم اليه وبريطانيا فى معاهدة بروكسيل فى ١٧ (مارس) من عام ١٩٤٨ . والهدف دائماً اقتصادى مع العمل على نشر المبادىء الديموقراطية .

وباشر الروس بعد ذلك حصار برلين فى (يونيو) ١٩٤٨ ، فأحست دول الغرب الخمس بخطر الحرب المحدق بها وأجمعت كلمتها على توحيد دفاعها ، فأنشئت لجنة رؤساء أركان الاتحاد الغربى فى (سبتمبر) ١٩٤٨ ، وعينت رئيساً لتلك اللجنة مع الاعتراف برئاستى على القوى البرية والبحرية والجوية ، ثم عين فونتنبلو ، فى فرنسا ، مقراً للقيادة العليا لتلك القوى وعرف فيما بعد بمجموعة الحروف اللاتينية أو نيفورس .

وفى أثناء ذلك ، قليلا بعد ابتداء حصار برلين . كانت المفاوضات

مع أمريكا وكندا لضم هذين البلدين إلى الاتحاد الغربى ، وهو عمل لابد منه للحصول على أمانة تامة تقوم بمساعدة البلدين المذكورين وغيرهما لأوروبا الغربية عن طريق المحيط الأطلسى . فوقع نهائياً، فى ٤ (ابريل) ١٩٤٩ على الحلف الأطلسى الشمالى وهو حلف تنضم بمقتضاه ١٢ دولة بعضها مع بعض لتأمين السلم الدولى ولصيانة المواصلات والحياة العادية فى منطقة المحيط الأطلسى الشمالى . وعرفت المنظمة التى تشكلت بعد ذلك المعاهدة باللفظة « أوطان » .

ثم عين ايزنهاور فى ٣ (ابريل) ١٩٥٢ قائداً أعظم لقوى تلك البلدان التى انضمت اليها تركيا واليونان فى ١٨ (فبراير) ١٩٥٢ ثم ألمانيا الغربية فى (مايو) ١٩٥٥ فأصبحت تضم ١٥ بلدا بدلا من ١٢ .

وأخذت أتصل برؤساء أركان القوى البريطانية وطلبت من هؤلاء الرؤساء أن يرضوا على الأقل بإضافة لواء إلى جيش نهر الرين وهو جيش لا قيمة له فى حال الحرب ، حتى والإضافة هذه ليس لها إلا قيمة رمزية لعل الدول الغربية تطمئن إليها ، وما حصلت على طلبى ذلك إلا بعد جدال طويل فرفع إلى الحكومة وهو تكتنفه الاعتراضات من كل صوب وجانب فرفضته الحكومة ولا غرو بعد ذلك أن استمرت الظنون فى أوروبا الغربية ضد بريطانيا ولا أراها أنها زالت حتى اليوم . وتلك الظنون تتناول أمريكا فى الوقت نفسه . فإنها فى الحربين العالميتين الأخيرتين تريثت مدة طويلة قبل أن تدخلهما والدول الغربية تتذكر ذلك وهى لا تريد أن يتجدد ذلك الموقف .

ومع ذلك ، وبالرغم من كل الصعوبات التي اعترضت طريقنا ، فإننا توصلنا الى أن نضع ، من الناحية العسكرية ، أسساً متينة . فألغيت الآنيجورس وحل محلها « الشاب » وهو الاسم الجديد لمقر القيادة الأعظم للقوى الغربية المتحالفة ، وهو يعمل تحت رئاسة ايزنهاور كقائد أعظم ، وتم ذلك فى ٢ (ابريل) ١٩٥٢ . وعينت أنا كقائد معاون لايزنهاور . « والشاب » هذا همه اعداد قوى اوروبا الغربية للحرب التي اذا نشبت تحول « الشاب » إلى مقر تصمم فيه الخطط الاستراتيجيةالعامة حتى تطلق الحرية التكتيكية إلى قادة القوى المختلفة فى الأسلحة الثلاثة واللغتان المتداولتان فيه هما الانجليزية والفرنسية مع ميل أقوى إلى الانجليزية وخدمت فى «الشاب» تحت أوامر أربعة قواد ، ولا شك فى أننى الضابط الوحيد الذى تم له ذلك .

أول هؤلاء القواد الأربعة هو ايزنهاور والجميع يعلم علاقاتى به . ثم ما لبث أن انهمك بالانتخابات التي بوأته على رأس حكومة الولايات المتحدة . وكنت أحاول أن أرده عن ذلك أولا ثم رأيت أن من خير الجميع أن يكون رئيساً للولايات المتحــــدة فيساعدنا فى أوروبا مساعدة قوية .

وخلفه ريدجوى . وهو قائد ممتاز وخدم تحت أوامرى . إلا أنه ما كان يصلح للوظيفة . . فإنه ابتدأ باتخاذه ضباطاً أمريكيين لأركانه ، وأخذنا نشعر أن الرأى الأمريكى له وحده . الحساب فى المقر العام . وهناك أمور أخرى كانت تجعلنا نحس بانزعاج أننا أصبحنا جميعاً كقوة تتلاشى .

غادر ريدجوى أوروبا فى ١١ يوليو ١٩٥٣ وخلفه جروينتر الذى كان رئيس أركان « الشاب » فى أيام ايزنهاور . ونجح جروينتر نجاحا باهراً فألغى سيطرة النفوذ الأمريكى فى المقر العام وأرجع الثقة والاطمئنان إلى القلوب . وان علاقات الصداقة لاتزال تربطنى به وبامرأته

وحل محله فى نوفمبر ١٩٥٦ الجنرال نورستاد وهو ضابط المعى من الطيران الحربى الأمريكى وإنه صديق حميم لى وكنت سعيداً أن أخدم تحت أوامره .

تحت قيادة هؤلاء الرجال ، وايزنهاور على رأسهم ، أخذت قوانا تشتد يوماً بعد يوم ، لاسيما وأن الاختراعات العلمية جعلت بين أيدينا السلاح النووى . وبما أن الدول التى كانت تمثلها قوانا لم تكن مستعدة لتزويدنا بكل اللوازم من أعتدة وأسلحة ، لم يبق لنا ، حتى يكون عملنا منتجاً من ناحية تأمين السلم ؛ إلا أن نجاهر علناً بأننا لن نتراجع عن استخدام السلاح النووى إذا اقتضى الأمر للدفاع عن أنفسنا فى حال حرب إذا نشبت . فصرحت بذلك بعد الاتفاق مع الجنرال جروينتر ، فى باريس يوم ٢٤ مايو ١٩٥٤ ، ورددت كلامى فيه فى لندن يوم ٢١ اكتوبر عام ١٩٥٤ . وتناقش مجلس العموم فى الأمر بعد تصريحى وخرج من مناقشته أن العمليات الحربية قد تجرى على ماصرحت به بعد موافقة السلطة السياسية عليه . ولاعجب . فإن الرأى العام العالمى اليوم يجمع على أنه لايجب ألا يستخدم القائد الأعلى السلاح النووى إلا بعد التأكيد من أنه مرغوب فيه من حيث الاستراتيجية ، ومن أنه مفيد منتج من حيث العمليات التطبيقية التكتيكية ، ومن أنه مقبول من حيث

المبادىء السياسية . وهكذا توصلنا شيئاً فشيئاً إلى امكانية استخدام السلاح النووى للدفاع عن أنفسنا فى حال حرب إذا نشبت ، ونحن لا نزال على هذا الرأى اليوم فى سنة ١٩٥٨ . والآن أرى نفسى فى حاجة إلى أن أقول إن مستقبل المدنية العالمية متعلق بمصير الاتحاد الغربى المتبلور الآن بمنظمة « الأوطان » أى الحلف الأسيوى الجنوبى - الشرقى، إلا أن أهم المنظمات الثلاث بكثير، هى «الأوطان». لكنه اليوم ١٩٠٨ أصبح جامداً كأن لا حياة فيه ولا نشاط. وكان رؤساء الدول الغربية قد أحسوا بذلك فاجتمعوا فى باريس فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٧ ليعيدوا إليها نشاطها السابق ولكنهم لم ينجحوا فى محاولتهم إلا نجاحا نسبياً .

إن الاتحاد الغربى سببه الخوف من هجوم آت من الشرق . إلا أن اتحاداً مبنياً على مجرد الخوف لم يدم ، ولن يدوم ، إذ أن روابطه تنحل حالما يخف الخوف .

فإن أمم العالم الحر من الخير لها أن تضم صفوفها وتتعاون من كل قلبها وبدون تردد . إذا ما أرادت أن تحافظ على كيانها بالرغم من ضغط الشيوعية الدولية الشديدة ، يجب فيما يتعلق بالتعاون بين الحلفاء ، أن تكف عن الحديث عنه باللسان فقط ، بدون اشتراك القلب . بل من اللازم أن تدخل جميعها فى سياسة مناقشة صريحة متبادلة وتعاون بدون غرض ولا غاية . فإن التعاون يمكن أن يكون شيئاً أكثر من الموقف السياسى ، الذى به يقوم التعاون اليوم .

لا نكتفى بما هناك من وحدة سياسية ، بالمعنى الحقيقى ، بين أمم

الاتحاد الغربي ، أما الشعور القومى فهو ظاهر أكثر من اللازم . يجب أن يكون بيننا جميعاً رابط أقوى من رابط الخوف. رابط الاقتصاديات مثلا . ومهما كان من أمر فإن الرابط الجديد يجب أن يكون تآلف الأمم الانجليزية اللغة وعزمها على مساعدة أمم ب أوروبا على أن تدافع عن حريتها وتحتفظ بشكل انسجامها مع الحياة . ونواة ذلك التآلف هى الصداقة الانجليزية - الأم يكية ، وتحطيم ذلك الرابط يعنى النهاية لكل منا -- بما فيه الولايات المتحدة . والزعامة العالمية هى اليوم ، ولاشك ، بين أيدى الأمريكيين ، بعد أن كانت مدة طويلة بين أيدى البريطانيين . وهذا كلام يجرح ، مثل كل حقيقة تقال ، ولكن هذا هو الأمر الواقع . فليقدر الأمريكيون مسئوليتهم ،وليفهموا أن الزعامة لا تفرض بعدد الدولارات بل بشيء آخر هو من عالم المعنويات وهل يلائم المنطق موقفهم ذلك فى منظمة الأمم المتحدة . الذى بمقتضاه يدافعون عن الدول الاستعمارية فى أوروبا الغربية ، ثم يحاولون خلع نفوذها وقوتها فى آسيا وافريقيا . هذا ، من قبل الولايات المتحدة . سياسة لا منطق فيها ، وقد تؤدى ، إذا ما استمرت ، إلى تحطيم الاتحاد الغربى .

والاتحاد الغربى هو الشيء الوحيد الذى يخاف منه الروس ، وكل خططهم لاهم لها إلا ذلك الهدف الوحيد : تحطيم الاتحاد الغربى . فإن وحدة الغرب يجب أن ترمم وتؤمن مهما كلف الأمر .

هيئة قناة السويس

إعلان

تعلن هيئة قناة السويس عن طرح « عملية إنشاء أحواض ترويب من الخرسانة المسلحة بمحطة المياه المرشحة» بالاسماعيلية » فى مناقصة عامة تحدد لفتح مظاريفها جلسة ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٦ يناير سنة ١٩٦٢ .

ويمكن الحصول على مستندات العملية من مكتب المناقصات والعقود بإدارة الأشغال بالاسماعيلية نظير دفع مبلغ خمسة جنيهات مصرية يضاف إليها مبلغ خمسمائة مليم فى حالة طلب إرسال المستندات بالبريد .

وتقدم العطاءات داخل مظروفين يختم الداخلى منهما بالشمع الأحمر ويعنون المظروف الخارجى باسم السيد / رئيس هيئة قناة السويس « إدارة الأشغال » بالاسماعيلية ويرفق العطاء بتأمين مؤقت قدره ٢ ٪ من قيمة العملية .

كما يجب على مقاولى القطاع الخاص تقديم إقرار بعدم التعاقد حاليا مع القطاع العام على أعمال تزيد قيمتها بالإضافة إلى قيمة هذه العملية عن ٣٠٠٠٠ جنيه ولن يلتفت إلى العطاءات غير المستوفاة التأمين أو الإقرار المطلوب .


محطات التعاون
في خدمتك
في كل مكان
الجمعية التعاونية للبترول
٩٤ شارع القصر العيني - القاهرة



الكتاب ٢٤٣ الثمن ١٥
صدر يوم الاحد ٣١ ديسمبر (كانون الاول) سنة
الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبيد – روض الفرج
تليفون ٤٥٣٤٦ – ٤٥٤٠٥ – ٢١٦٢٥